البدو

وموقفهم من الحروب الصليبية

490-648هـ/1097-1250م

اشراف ومراجعة

بروفيسور دكتور قاسم حسن آل شامان السامرائي

محمد ابراهيم احمد الجبوري

الطبعة الأولى

2024 م – 1445 هـ



رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية (2023/10/5561)

956.0543

البدو وموقفهم من الحروب الصليبية (490- 648هـ/1097- 1250 م).

محمد ابراهيم احمد - عمان: دار دجلة ناشرون وموزعون ، 2023

ر. أ: (2023/10/5561)

الواصفات:/الحروب الصليبية // البدو //بلاد الشام //التاريخ الاسلامي//

أعدت دائرة المكتبة الوطنية بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية



المملكة الأردنية الهاشمية

عمان – شارع الملك حسين – مجمع الفحيص التجاري

تلفاكس: 0096264647550

خلوي: 00962795265767

ص. ب: 712773 عمان 11171 – الأردن

E-mail: dardjlah@ yahoo.com

www.dardjlah.com

ISBN:978-9923-53-040-5

بِسْمِ اللـهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُـوا اصْـبِرُوا وَصَـابِرُوا وَرَابِطُـوا وَاتَّقُـوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾.

صدق اللـه العظيم

سورة(آل عمران/ اية:200)

الإهـداء

الى من ارسله الـلـه تعالى هدى ورحمة للعالمين ونرجو شفاعته يـوم الـدين سـيدنا محمد عليه افضل الصلاة واتم التسليم

ومن ارضعتني الحب والحنان. . . ذات القلب الناصع البياض. . . ومن امرني الـلــه جل في علاه ان ارفق بها، واقترن رضاه برضاها. . . امي الحبيبة. . . (رحمها الـلـه)

ومن ارشدني إلى طريق الفضيلة والدي العزيز (بارك الـلـه في عمره)

و. . . من رافقتني في مسيرتي وانارت لي حيـاتي زوجـي العزيـزة. . . . لـك منـي كـل الحب والمودة.

ومن قصرت في حقهم، وأخذت من وقتهم الكثير. . . رياحين عمري وقرة عيني. . . . ولديّ (سجاد واياد) حفظهما الـلـه ورعاهما.

وعزوتي وسندي وقت الشدائد. . . ومن أظهروا لي ما هـو أجمـل مـن الحيـاة. . . . الشــموع التــي تربيــت معهــم. . . شــجرة الأمــل التــي تفيئــت بظلالهــا. . . إخــوتي وأخواتي،(حفظهم الـلـه).

والى. . . روح اخي الشهيد اياد تغمده الـلـه برحمته واسكنه فسيح جناته.

ومن جالسوني كمجلس الكتـاب وكـانوا لي خـير أصـحاب. . . أصـدقائي. . . واخـص منهم الدكتور ابراهيم محمد خلف الجبوري التدريسي في جامعة كركوك. . . لهم مني كـل التقدير والاحترام.

أهدي لكم جميعا ثمرة هذا الجهد

محمد الجبوري

قائمة المختصرات

الرمز	المصطلح
ه	السنة الهجرية
م	السنة الميلادية
ت	تاريخ الوفاة
ط	طبعة الكتاب
1/ 2	رقم الجزء / رقم الصفحة
د. م	دون مكان للنشر
تح	تحقيق
د. ت	دون تاريخ
ص	صفحة
ج	جزء

بسم اللـه الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسولنا الصادق الامين وعلى آله وصحبه أجمعين، وعلى من سار على نهجه وهديه الى يوم الدين أما بعد.

كانت حملات الغرب الصليبية مستمرة ومتواصلة طيلـة قـرنين مـن الـزمن والقـت بظلالها على كل مناحي الحياة في الجانبين، واسهمت فيها كل فئات المجتمع، ففي الجانب الاسلامي هب الجميع لمقاومة هذه الحمـلات العدوانيـة الشرسـة، فأسـهم في الـدفاع عـن اراضي ومقدسات العرب المسلمين كل شرائح النـاس، وكـان للبـدو اسـهام في مواجـه ذلـك العدوان، اذ شهدت بلاد الشام وفلسطين بوجه خاص حروب شرسة قادهـا الغـرب الاوربي في العصور الوسطى ضد المسلمين في المنطقة العربية واتخذوا من الدين شعاراً لهم يخفـي اغراضهم الحقيقية المتمثلة بالاستيطان والسيطرة الاقتصادية، فالحروب الصليبية تعد احد الظواهر الرئيسية المميزة لتاريخ العصور الوسطى، وقد استمدت اهميتها من انها امتـدت نحو قرنين من الزمن في بلاد الشام وان الجانبين الاسلامي والصليبي قد تأثرا بها في منـاحي الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية كافة.

وقـد أدى البـدو دوراً رئيسـاً في مقاومـة الحمـلات الصـليبية اذ أثبـت البـدو قبـل الاحتلال الصليبي لبلاد الشام وبعده أنهم أولوا بأس، وانهم يأبون الخضوع إلى حـاكم غـير شيخ القبيلة، صاحب الزعامة الشرعيـة في نظـرهم وعنـدما قصـد الصـليبيون بـلاد الشـام، كانت تلك الروح متأصلة تتملكهم والتي أبرزوا فيها مقاومة شعبية واضحة لهذه الهجمـة الجديدة.

والبدو قوم رحل يرتادون منابت الكلأ ومواقع الماء، لا يستقر بهـم المقـام، يرحلـون بأغنامهم الى حيث الاماكن التي تطيب لهم الاقامة فيها، غذاؤهم لحوم انعـامهم والبانهـا، ولباسهم من اصوافها، وحياتهم كفاف وقناعة؛ وبسـبب فقـرهم وشـقائهم كـثرت عنـدهم الغارات والحروب واهم ما يفتخرون به بطولاتهم وفروسيتهم وأنسابهم وكرمهم ولم يكـن لديهم نظام سياسي موحد تحكمه الدولة والقـانون وكـان السـائد عنـدهم النظـام القـبلي والاعراف القبلية فهم يعيشون في بيئة تكثر فيها المنازعات والحروب وكان لهـم دور مهـم طيلة الحروب الصليبية على المشرق الاسلامي. فهم في بعض الروايات ليس عند بعض البدو التزام فحيث ما تكون مصلحتهم تجدهم، سواء كان في الجانب الاسلامي او الصـليبي، والا أنَّ الدراسة اظهرت دورهم الفاعل مع اهلهم من العرب المسلمين.

وقد جاء اختيار الموضوع بعناية وتوجيه من المشرف الاستاذ الدكتور (قاسم حسن آل شامان السامرائي) ليكون ميداناً لدراستي، التي ستوضح دور هذه الشريحة الاجتماعيـة العربية الاسلامية في مقاومة الحملات الصليبية وانحراف بعضهم لخدمـة الصـليبيين، لأنـه يوضح دورهم الايجابي والأخر السلبي فالجانب الايجابي تمثل في اصطفاف البـدو مـع ابنـاء جلدتهم من العرب المسلمين في مواجهة الغزوات الصليبية منطلقين اساساً بمبادئ ديـنهم، والجهاد في سبيل الـلـه، وكان ذلك يتصاعد تارة وينخفض تارة اخرى.

اما الجانب السلبي يتضح بتقديم البعض من البدو المساعدة للصليبيين في منـاحي شتى ومنها: ارشـادهم الى الطـرق ومخـابئ المسـلمين وفي المقابـل كـان للقيـادة الاسـلامية موقفها منهم وردعهم.

وقد واجهت الباحـث الكثـير مـن المعوقـات والمصـاعب في اعـداد هـذه الدراسـة ومنها شحة المعلومات التـي تخـص الدراسـة وصـعوبة الحصـول عـلى المصـادر والمراجـع

التي تخص هذه الدراسة المتمثلة بدور البدو في هـذه المرحلـة مـن الدراسـة وقلـة المادة التاريخية عنها، لأنها لم تتطرق عن الموضوع فضلاً عـن قلـة الدراسـات بـل وشـحتها التي تعنى بالموضوع، واقتضت طبيعة الدراسة الى تقسيمها على ثلاثة فصول مـع مقدمـة وخاتمة، فضلاً عن ملاحق وملخص باللغة الانكليزية وقائمة المصادر والمراجع.

تنـاول الفصـل الاول اسـهامات البـدو في مقاومـة الحملـة الصـليبية الاولى(490-493هـ/1096- 1099م) وشمل ثلاثة مباحث تناول المبحث الاول: البـدو لغـة واصـطلاحاً، اما المبحث الثاني فدرس القبائل العربية والبدوية في بلاد الشام زمن الحـروب الصـليبية في حين تناول المبحث الثالث الحملة الصليبية الاولى ومقاومة القبائل البدوية لها

اما الفصل الثاني فدرس اسهام البـدو في مقاومـة الغـزو الصـليبي في العهـد الـزنكي (521هـ- 569هـ/1127- 1173م)، وشمل اربعة مباحث، تناول المبحث الاول: ظهور دولـة الاتابكه، اما المبحث الثاني: فتخصص في اسهام البـدو في مقاومـة الصـليبيين في عهـد عـماد الدين زنكي، وتناول المبحث الثالث: اسهام البدو في تحرير امارة الرها من الصليبيين بقيادة عماد الدين زنكي، فيما درس المبحث الرابع اسهام البدو في مقاومـة الحمـلات الصـليبية في عهد نور الدين محمود.

اما الفصل الثالث فـدرس إسـهام البـدو في مقاومـة الحمـلات الصـليبية في الـعصر الايوبي(569هـ- 648هـ/1173- 1250م) اذ حوى اربعة مباحث، تناول المبحث الاول نبـذة عن الدولة الأيوبية، اما المبحث الثاني فدرس اسهام البدو في مقاومة الحملات الصـليبية في عهد السلطان صلاح الـدين الاوبي، وتطـرق المبحـث الثالـث الى مشـاركة البـدو في معركـة حطين، اما المبحث الرابع فتحدث عن اسهام القبائل العربيةـ والبدو مـن بينهاـ في مصر في العصر الايوبي ومشاركتها في معركة المنصورة.

وأفادت الدراسة من مجموعة مصادر ومراجع مهمة تنوعت في اهميتها وقيمتها في الدراسة وتميزت في رفدها بمعلومات انفردت بها عن المصادر الاخرى، وفيما يأتي نستعرض اهم مصادر الرسالة مرتبة بحسب تاريخ وفاة مؤلفيها:

تحليل المصادر والمراجع:

1- **احسن التقاسيم في معرفة الأقاليم،** لأبي عبدالله محمد بن أحمد المقدسي (ت385هـ/995م)، وقد تمت الافادة منه في كافة فصول الرسالة ويعتبر هذا الكتاب من اهم الكتب الجغرافية التي اعتمدت عليها في كثير من الجوانب المتعلقة بموضوع الدراسة فقد استفد من كتب المقدسي في ما يتعلق بجغرافية بلاد الشام.

2- **تاريخ دمشق**، لحمزة بن أسد بن علي بن محمد، أبي يعلى التميمي، المعروف بابن القلانسي، (ت: 555هـ/1160م) وتمت الافادة من هذا المصدر في الفصل الاول اذ تناول مشاركة البدو في مقاومة الحملة الصليبية الاولى وما أبدوه مع سكان عكا من تعاون لمقاومة محاولة الفرنجة للسيطرة عليها، كذلك افادنا في الحديث عن ارسال البدو رسالة الى طغتكين اتابك الموصل يطلبون منه المساعدة في صد هجمات الفرنجة. ثم امدنا بمعلومات في الفصل الثالث، عن اق سنقر الذي حكم إمارة حلب و أحسن في أهلها السيرة، وأقام الهيبة، وأنصف الرعية، وتتبع المفسدين، فأبادهم.

3- **الفتح القسي في الفتح القدسي:** للعماد الاصفهاني، محمد بن محمد بن حامد الكاتب (597هـ/1200م) ويعد كتاب الفتح القسي من الكتب المهمة لدراسة الحروب الصليبية في عصر الملك المظفر صلاح الدين اذ تناول الاحداث من (سنة 583هـ-589هـ)، وتاتي اهمية هذا الكتاب في كون المؤلف معاصر وشاهد عيان

لأحداث تلك الفترة، وكان ملازماً لصلاح الدين، وافاد الباحث منه بمعلومات قيمة عن وجود الملك المظفر صلاح الدين في محاربة الصليبيين واسترداد البلاد الاسلامية منهم، فضلاً عن تفاصيل مهمة نادرة في هذا الجانب.

4-معجم البلدان: لياقوت الحموي، شهاب الدين ابو عبدالله (626هـ/ 1229م)، وأفادت الدراسات منه في التعرف على المدن وتحديد موقعها، وقد افاد فصول الرسالة جميعاً في تحديد مواقع المدن والجوانب المتصلة بأوضاع بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية فمن ذلك تناوله لمدن الساحل الشامي والوضع السكاني للمدن الشامية؛ لأنه يعد موسوعة جغرافية قائمة بذاتها، نظراً لوفرة المادة التي اوردها والتي تحدث عن البلدان والاقاليم والمدن والجبال والانهار، فضلاً عن أنه مرتب بحسب الحروف الابجدية.

5- - **المنتظم في تاريخ الامم والملوك**: ابن الجوزي شمس الدين آبي المظفر بن عبدالله (ت597هـ/1200م) وتمت الإفادة من هذا المصدر في موضوعات كثيرة من الدراسة وعن المعلومات المتعلقة بحصار الصليبيين للمدن الاسلامية ومقاومة البدو للصليبيين وان المعلومات التي تمت الإفادة هي متشابه للمعلومات التي اوردها ابن القلانسي لأنهما كانا معاصرين لتلك الفترة.

6 - الكامل في التاريخ: لابن الاثير، عزالدين ابو الحسن علي بن ابي الكرم الشيباني(ت: 630هـ/1232م) الذي يعد من اهم المصادر الاسلامية التي تناولت الحديث عن الحروب الصليبية وقد تميز في كتابة بحسن الاطلاع، والرؤية الدقيقة للأحداث التي عاصرها ويعد هذا الكتاب من اهم الكتب التي تناولت الاحداث التاريخية. وتمت الافادة منه في الفصل الاول اذ تناول الدور الذي قام به السلاجقة في مواجهة الصليبيين، والتوغل الصليبي في الاراضي العربية واحتلال مدن الشام واحدة تلو الاخرى، وفي الفصل الثاني افادنا بمعلومات عن امراء السلاجقة اذ

اصبح لكل امير اتابك وكذلك الحديث عن استعانتهم بالقبائل العربيـة والبدويـة في كل من الموصل وحلب ودمشق، وفي الفصل الثالث قدم لنا معلومـات عـن الحملـة الصليبية التي قادها اسد الدين شيركوه ضد القائد الصليبي عموري في مصر.

7- **الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية:** لأبي شامة المقدسي، أبو القاسم شـهاب الـدين عبـد الـرحمن بـن إسـماعيل بـن إبـراهيم المقـدسي الدمشـقي (ت: 665 هـ/1266م) وتكمن اهمية هذا الكتاب في كونه مؤلفـاً معـاصراً لهـذه الفـترة وتمـت الافادة منـه في الفصـل الاول فقـد تنـاول في صـد هجـمات الصـليبيين عـلى القبائـل البدوية الحديث عن دور البدو في الفتك بالصليبيين الغزاة ونهبهم، وفي الفصل الثاني استفدنا منة بمعلومات عن تحرير المسلمين لمدينـة الرهـا وفشـل الحملـة الصـليبية الثانية في استردادها. وامدنا بمعلومات في الفصل الثالث تمحورت حول الدور السلبي لبعض البدو اثناء هذه الحملات.

8-**وفيات الاعيان وأنباء الزمان:** لابن خلكان أبي العباس شمس الـدين أحمـد بـن محمـد بن أبي بكر (ت: 681هـ/1282م) وقد تمت الإفادة من هذا المصدر في ترجمـة بعـض الشخصيات البارزة في العهد الزنكي

9- **الاعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة**: لابن شداد عز الدين محمد بن علي بن ابراهيم، (ت، 684هـ/1285م)اذ تكمن اهمية هذا الكتاب كون مؤلفه كان معـاصراً لفترة الدراسة، وتمت الإفادة منه في الفصل الاول اذ زودنا بمعلومات عن دور سـكان مدينة حيفا في صد هجوم الصـليبيين عنهـا كـما و لـدخول الافـرنج الى مدينـة حيفـا وقتلهم للرجال والنساء حتى الاطفال الذين لم يسلموا من قتل الافرنج.

10- مفرج الكروب في اخبار بني أيوب: لابن واصل: محمَّد بن سالم بن نصرالله بن سالم، أبي عبد الله المازني التميمي الحموي، جمال الدين (ت: 697هـ/1297م) الذي كان معاصراً لأحداث قريباً منها، وبالتحديد معاصر لعماد الدين زنكي وصلاح الدين الايوبي وتمت الإفادة من هذا المصدر في الفصل الثاني اذ افادنا الكثير عن عماد الدين زنكي وتوليته على الموصل والجزيرة الفراتية وما يفتح من بلاد الشام، وافادنا الحديث عن العداء الذي حدث بينه وبين الخليفة العباسي المسترشد بالله وهزيمته في معركة وقعت بالقرب من تكريت. وافادنا في الفصل الثالث بمعلومات عن الدولة الأيوبية و صلاح الدين الايوبي ودوره في صد هجوم الصليبيين على مدينة دمياط. وتعود اهمية الكتاب لما فيه من تفاصيل عن الايوبيين وقد استفادت من هذا المصدر في مواضع كثيرة اذ حوى معلومات اجتماعية واقتصادية كان لها اثر مهم في دراستنا.

11- مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع: ابن عبد الحق عبد المؤمن بن عبد الحق، ابن شمائل القطيعي البغدادي، الحنبلي، صفيّ الدين (ت: 739هـ/1338م) وقد تمت الافادة منه في فصول الرسالة جميعاً اذ تناول الحديث عن المدن الشامية والجزرية واعطانا تفاصيل كاملة عن تلك المدن.

12- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام: للذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان(ت: 748هـ/1347) يعد هذا الكتاب من اكبر الموسوعات التاريخية الشاملة التي تبحث في التراجم والطبقات، وتمت الإفادة منه في تعريف بعض شخصيات الاعلام في العصر السلجوقي، وتناول تعريف الخلفاء العباسيين والامراء الزنكيين والايوبيين واعلام ومشاهير المسلمين في فترة الدراسة اذ افاد هذا المصدر في معظم فصول الدراسة.

13- الـوافي بالوفيـات: للصـفدي صـلاح الـدين خليـل بـن أيبـك بـن عبـد اللـه (ت: 764هـ/1362م) وتمت الإفادة منه في تعريف الامراء والسلاطين في بلاد الشـام وقـام بترجمة بعض القادة الصليبيين وتطرق إلى الكثير من الروايات التاريخية التي تتعلق بغزو الصليبيين لبلاد الشام وذكر بعض المعارك التي جرت في بلاد الشام والتي شارك فيها امير العرب عيسى بن مهنا، مما رفد الرسالة بمعلومات قد لا نجـدها في مصـادر اخرى

14- **ابن خلدون، العبر وديـوان المبتـدأ والخـبر في تـاريخ العـرب والعجـم والبربـر ومـن عاصرهم من ذوي الشأن الاكبر:** (ت،808 هـ/1405م) هو عبد الـرحمن بـن محمـد بن محمد بن محمد بن الحسن بن محمـد بـن جـابر بـن عبـد الـرحيم الحضرمـي، الأشبيلي الأصل، التونسي ثم القاهري المالكي المعروف بـابن خلـدون، ولي الـدين أبـو زيد، مؤرخ، اجتماعي جغرافي من الحكماء، ولد في تونس ونشأ فيها، وطلب العلم، و تمت الافادة منه في الفصل الاول المبحث الاول في الحـديث عـن البـدو، وقـد افادنـا بمعلومات مهمة عن البدو، والبداوة، والقبائل العربية.

15- صــبح الاعشى في صــناعة الانشــا: للقلقشــندي: ابي العبــاس احمــد بــن عــلي (821هـ/1418م). الكتاب الاول هو كتاب طويل يقع في اربعة عشر جزءاً وفيه مادة على جانب كبير من الاهمية وهو يعطـي النمـوذج الامثـل للمـؤرخ المـدقق، وقـدم الكثير من المعلومات القيمة في كثير من العلوم وينفذ منه على الحوادث وقـدم لنـا معلومات عن القبائل البدوية.

16- نهاية الارب في معرفـة انسـاب العـرب: للقلقشـندي، ذكـر في هـذا الكتـاب القبائـل العربية بفروعها والتي سكنت في بلاد الشام وموقفها من الغـزو الصـليبي مـما افـاد دراستنا بمعلومات انفرد بها عن غيره.

17-**السلوك لمعرفة دول الملوك:** للمقريزي، تقي الدين أحمد بن علي (ت 845هـ / 1441م). وقد افدت من هذا المصدر في الفصل الاول إذ تناول الحديث عن القبائل العربية وتنقلها من مكان إلى آخر، وفي الفصل الثالث تناول الحديث عن الحروب بين الايوبيين والصليبيين وتناول الحديث عن الهدن التي جرت بينهما، فتعرض في هذا الكتاب بصفة عامة للكثير من الظواهر الحضارية، وبعض الجوانب التاريخية ضمن موضوع الدراسة

18- **البيان والاعراب عما بأرض مصر من الاعراب:** للمقريزي ايضاً و تضمن هذا الكتاب بعض التفاصيل المهمة عن القبائل التي سكنت جنوب فلسطين مما افادنا في التأكد من حقيقة العناصر التي سكنت بلاد الشام وموقفها من الغزو الصليبي.

19- الروض المعطار في خبر الاقطار: الحميري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم (ت: 900هـ/1494م)، وتمت الإفادة من هذا المصدر في المبحث الاول في الفصل الاول في معرفة المدن وموقعها الجغرافي.

ثانياً: المراجع العربية: وقد استفادة الدراسة من طائفه كبيرة من المراجع العربية والاجنبية التي اتصلت كثيراً في الفترة وكانت معلوماتها شحيحة عن البدو الا أنها فتحت لنا آفاقا نورت الدراسة وظهرتها في هذا الشكل وهي:

1-ماهية الحروب الصليبية: للدكتور قاسم عبده قاسم(طيب الله ثراه) مؤرخ الحروب الصليبية، وتمت الإفادة من هذا المرجع في الفصل الاول اذ تناول الحديث عن قادة جيوش الحملة الصليبية الاولى ومشاركة البدو الايجابية ضد الحملات الصليبية، اما في الفصل الثاني فتناول دور الفقهاء والعلماء في التعبئة

المعنوية للجيوش الاسلامية في عهد عماد الدين زنكي عندما اصبح عماد الدين زنكي اقوى حاكم مسلم في زمانه في الجهاد ضد الصليبيين.

2- **الحركة الصليبية**، لسعيد عبد الفتاح عاشور وقد افاد الباحث من هذا المرجع في جميع فصول الرسالة فقد حوت اجزاء الكتاب على معلومات مفصلة عن فترة الحروب الصليبة.

3- **اطلس الحروب الصليبية على المشرق الاسلامي في العصور الوسطى**، لسامي بن عبدالله المغلوث، اذ تمت الافادة من هذا المرجع في الملاحق التي استخدمها الباحث في تحركات ونشاطات جميع الاطراف المتصارعة في الحروب الصليبية.

4- **نور الدين والصليبيون**: لحسن حبشي، وتمت الإفادة من هذا الكتاب الفصل في الثاني من الرسالة اذ حوت اجزاء هذا الكتاب عن الخطر الذي كان يشكله عماد الدين زنكي على مملكة بيت المقدس الصليبية واستيلاء عماد الدين زنكي على العديد من الحصون الصليبية، وتحدث عن الهدنة التي حدثت بين حكام دمشق من المسلمين.

5- **تاريخ الحروب الصليبية:** لمحمد سعيد عمران، وتمت الافادة من هذا المرجع في فصول الرسالة جميعاً وقد تناول الانبعاث إلاسلامي الذي شهدته المنطقة العربية ودرس مبدأ الجهاد في زمن الحروب الصليبية في زمن عماد الدين زنكي وزمن المظفر صلاح الدين الايوبي.

6- **العلاقات الدولية في عصر الحروب الصليبية**: لمنذر الحايك وقد تمت الاستفادة منه في الفصل الثاني وقد افاد في دراستنا بمعلومات عن مشاركة البدو الى جانب عماد الدين زنكي في معركة بعرين التي حدثت سنة(531هـ/1136م) وكانت من اهم المعارك التي حدثت بين عماد الدين زنكي ضد الصليبيين ودرس عن

استرداد امارة الرها من يـد الصـليبيين، وفي الفصـل الثالـث درس دور القبائـل التـي كانت تسيطر على وسط وشمال فلسطين، ودور البدو في الدولة الأيوبية.

7- **خطط الشام**: لمحمد علي كرد، وتمت الإفادة من هذا المرجع في فصول الرسـالة جميعـاً اذ تضمن هذا الكتاب التفاصيل المهمة عـن دور عـماد الـدين زنـكي وصـلاح الـدين الايوبي في الجهاد ضد الصليبيين ودرس بعض المواقع والمدن الشامية والجزرية.

8- **تاريخ الحروب الصليبية**: لمحمد سهيل طقـوش، وتمـت الافـادة مـن هـذا الكتـاب في فصول الرسالة جميعاً اذ حوى الكتاب معلومات مهمة عن فـترة الحـروب الصـليبية ودرس ايضـــاً مشـــاركة البـــدو مـــع صـــلاح الـــدين الايـــوبي في واقعـــة عكـــا في سنة586هـ/1190م، ووضع الكمائن للصليبيين.

ثالثاً: الرسائل والاطاريح

1-مظاهر البداوة وصورها في الشعر الجاهلي، للدكتور احمد اسبيتان الشواورة (اطروحة دكتوراه غير منشورة) (جامعة موتـة سـنة 2015م)، وتناولـت هـذه الاطروحـة البـدو ورحلاتهم في الصحراء بحثاً عن الماء والكلأ كـذلك تنـاول بيـوت البـدو وصـناعتها مـن الوبر، وافادتنا بمعلومات نادرة عن طبيعة حياتهم.

2- **المقاومـة الشـعبية للاحـتلال الصـليبي في بـلاد الشـام**، للسـيد عبـد الحميـد جـمال الفراني(رسالة ماجستير غير منشـورة) (الجامعـة الاسـلامية غـزة سـنة م2005)، وتمـت الافادة من هذه الرسالة في دور البدو في الهجوم على الجيوش الصليبية، كـذلك تنـاول الدور السلبي للبدو ودورهم في نقل بعض الاخبار للصليبيين مقابل المال.

3- **الحيـاة الاجتماعيـة في بـلاد الشـام في العصريـن الايـوبي والمملـوكي**، ابـراهيم زعـرور، اطروحة دكتوراه غير منشورة(دمشق، 1990م) وقد افادتنا بمعلومات عن اوضاع البدو ومشاركتهم مع القوات الأيوبية ضد الاحتلال الصليبي

رابعاً: المصادر الاجنبية المعربة:

1- **تاريخ الحملات الصليبية**: لستيفن رنسيمان الذي يعـد مـن اغنـى المؤلفـات في مجـال الحروب الصليبية ويمكن القول: إنّ كتاب تاريخ الحروب الصليبية كان بالفعل معلـماً مهاً من معالم الكتابة التاريخية الغربية عن الحروب الصليبية في القرن العشرين ومما اكسبه مكانته عدة عوامل من بينها اسلوبه اللغوي المشرق، وجاد مؤلفه في اسـتعمال الاسلوب السردي بطريقة امتعت قراءه ويسرت لهم الدخول في عالم الحروب الصليبية بسهولة ويسر، وقد أفاد الباحث من هذا المصدر في مواضع كثيرة في الدراسة. ولاسـيما الفصل الثاني إذ تناول الحديث عن عماد الدين زنكي وعلاقته بالملك فولك.

2- **تاريخ الحـروب الصـليبية:** لـوليم الصـوري والـذي يعـد مـن اهـم مـؤرخي الحـروب الصليبية فهو رئيس اساقفة صور وقد اعتمدنا على الترجمة العربية التي قام بها حسن حبشي. ويعد هذا الكتاب موسوعة في تاريخ الحروب الصليبية وقد افاد منـة الباحـث في فصول الدراسة، نظراً لما يزخر به هذا المصدر من معلومات مهمة جداً عن موضوع دور المقاومة البدوية على الحروب الصليبية، واورد معلومات مهمة فيما يخص تعرض قوافل الحجاج الصليبية لهجمات البدو.

3- **رحلة الحاج الروسي دانيال الراهب**: وتمت الافادة من هذا المرجع في الفصـل الاول اذ تناول دور البدو في محاصرة مدينة القدس ودورهم في خطف جنود مـن الافـرنج مـن داخل المدينة اما في الفصل الثاني فتناول اختباء البدو في كهوف الجبال والهـروب مـن بطش الصليبيين.

4- **تاريخ الحملة الى القدس**:، فوشيه الشـارتري، وتمـت الافـادة مـن هـذا المرجـع في دور الصليبيين في تجنيد بعض السكان المحليين للتجســس عـلى المسـلمين ومعرفـة مـواطن الضعف. والقوة لدى الجانب الإسلامي.

وقد افاد الباحث من هذه المصادر كون اصحابها كـانوا اغلـبهم شـهود عيـان عـلى احداثها وما شاهدوه من مقاومة شديدة أثناء حصار الصـليبيين للمـدن الاسـلامية في بـلاد الشام في الحملة الصليبية الاولى.

وارجو من اللـه العلي القدير أن يكون قد وفقني في إنجاز هـذه الرسـالة المهمـة، واتمامها انه نعم المولى ونعم النصير.

المؤلف

الفصل الأول

اسهامات البدو

في مقاومة الحملة الصليبية الاولى

(490-493هـ/1096-1099م)

المبحث الاول: البدو لغةً واصطلاحاً

المبحث الثاني: القبائل العربية والبدوية في بلاد الشام زمن الحروب الصليبية

المبحث الثالث: اسهام البدو في مقاومة الحملة الصليبية الاولى

المبحث الأول

البداوة في اللغة والاصطلاح

البداوة هي احد انماط الحياة التي عرفتها وتعرفها المجتمعات البشرية، وظاهرة عريقة في المجتمع العربي، وجدت منذ أن وجد ذلك المجتمع، ولاتزال إلى يومنا هذا، ولعل وجودها واستمرارها كائن في وجود الصحاري العربية الواسعة المترامية الأطراف، هذه الصحاري التي تفرض على سكانها حياة الترحال؛ بسبب الظروف الطبيعية التي تكتنفها[1] ولها محتويات احداهما بشري والآخر مادي ويقصد بالمحتوى المادي مختلف الظروف والعوامل الطبيعية والجغرافية والاقتصادية التي شكلت سمة الحياة الرئيسة للمجتمع البدوي أما المحتوى البشري فهو الناس، اي: البدو بكل ما ينضم حياتهم من معتقدات، ففي البداوة افتتح الإنسان صلته بالبيئة من حوله، ينتزع بها رزقه، فطلبه متوافر على مائدة الطبيعة المبسوطة أمامه في كرم واسع حيناً، وفي ضيق حيناً اخر [2]. وللحياة العربية جذور قوية في البداوة، بل لاتزال العقلية العربية الحضرية شديدة الاتصال بالعقلية العربية البدوية بل ان الكثير من العرب المستقرين في القرى المحيطة بالبادية يرجعون بأنسابهم الى قبائل بدوية معروفة[3].

---

(1) مشارقة، محمد زهير، الحياة الاجتماعية عند البدو في الوطن العربي، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، (عمان، 1988م) ص 7.

(2) صابر محيي الدين، ولويس كامل مليكة، البدو والبداوة مفاهيم ومناهج، منشورات المكتبة العصرية، (بيروت، 1986م) ص 16؛غريب، عبد السميع غريب، عاداة وتقاليد البدو، مؤسسة شباب الجامعة (حلوان، دت) ص93

(3) جبور، جبرائيل سليمان، البدو والبادية، دار العلم للملايين، لبنان (بيروت، 1988م) ص34.

اولاً: مفهوم البداوة لغةً:

البدو وبدوت أبدو إِذا ظَهرت. وبدا لِي الشَّيْء بدوا وبـدوا إِذا ظهـر لَـك. وكـل شَيْء ظهر لَك فقد بدا لَك[1] وورد البدو في لسان العرب بمعنى يرتبط بالسبق ((بديت وابـديت لما خففت الهمزة اسرة الدال فانقلبت الهمزة يـاء ومنـه قـولهم في الحـديث السـلطان ذو عدوان وذو بدوان واهل المدينة يقولون بدينا بمعنى بدأنا والبدو والبادية والبداة والبداوة خلاف الحضر))[2]

وأورد الأزهري [3] فكرة التبادل بين البدوي والحضري: فقال ((ان البادية اسم للأرض التي لا حضر فيها، وإذا خرج الحضر إلى المراعي في الصحاري قيل: قد بدوا، والاسم: البـدو قلت البادية خلاف الحاضرة، والحـاضرة القـوم الـذين يـحضرون الميـاه وينزلـون عليهـا في حمارة القيظ، فإذا برد الزمان ظغنوا عن المياه، وبدوا طلبا للقرب من الكلأ، فالقوم حينئذ بادية، بعدما كانوا حاضرة، وبادون بعدما كانوا حاضرين، وهي مباديهم جمع مبدي، وهو المناجع ضد المحاضر، ويقال لهذه المواضع التي يبتدي إليها البادون: بادية أيضاً)).

أمـا القـاموس المحـيط فـورد فيـه:))والبـدو والباديـة والبـداوة: خـلاف الـحضر، وتبدي: اقام بهـا، وتبـادي تشـبه بأهلهـا، والنسـبة بـداوي وبـداوي بـالكسر، وبـدوي،

---

(1)ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن الأزدي (ت،321هـ)،جمهرة اللغـة،تح، رمـزي منـير بعلـبكي،دار العلم للملايين،(بيروت، 1987م)،ص302.

(2) ابن منظور، محمد بن مكرم،(ت،711هـ)، لسان العرب، دار صادر،(بيروت، 1997م)، ج14، ص67.

(3) أبو منصور محمد بن الأزهر بن طلحة الأزهر الهروي (ت370هـ) تهذيب اللغة، تح، محمـد عـوض مرعب، دار احياء التراث العربي، (بيروت، 2001م) ج14، ص132- 133.

محركة، نادرة، وبدا القوم: خرجوا إلى البادية، وقوم بدي وبدا: بادون وبدوتا الوادي: جانباه، والبدا، مقصورا: السلح)) [1].

وورد في مختار الصحاح في مادة بدا:)) والبدو والبادية والنسبة اليه بدوي وفي الحديث الشريف: ((من بدا جفا))[2] أي: نزل من البادية صار فيه جفاء الأعراب))، ويعني ذلك ان البدوي مثله مثل الاعرابي، على شي من الجفاء والخشونة وتبدى الرجل وصار من اهلها، والبداوة بفتح الباء وكسرها الإقامة في البادية وهو ضد الحضاره، والبادية الصحراء وهي خلاف الحضر[3]، وبالنسبة الى البدو بدوي بتسكين الدال، وقد ورد في محكم كتابه العزيز (**وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاء بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ**) [4]

اما القبيلة فهو تعبير يطلق على مجموعة بشرية ذات لغة او لهجة مشتركة بغض النظر عن استقرارها على منطقة ثابتة او ترحالها من مكان الى مكان اخر[5].

---

(1) الفيروز أبادي، مجد الدين طاهر محمد بن يعقوب (ت 817هـ) القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، ط8، (بيروت، 2005) ص1262

(2) القحطاني، سعيد بن علي بن وهب، فقه الدعوة في صحيح الامام البخاري، الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد (الرياض، 1421هـ) ج2، ص967.

(3) الرازي، زين الدين ابو عبدالله محمد بن ابي بكر الرازي (ت 666هـ) مختار الصحاح، تح، يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، ط5 (بيروت، 1999م) ص31؛ينظر جبور، البدو والبادية، ص32؛الجميل، مكي، البدو والقبائل الرحل في العراق، مطبعة الرابطة (بغداد، 1956م) ص19.

(4) سورة يوسف الاية/100

(5) اوبنهايم، ماكس، البدو، تر، محمود كبيبو، تح، ماجد شبر، شركة دار الوراق للنشر المحدودة، ط2 (لندن، 2007م) ص8.

فالقبيلة صغيرة كانت ام كبيرة هي الوحدة السياسية عند البدوي، والقبيلة جماعة من الناس ينتمون إلى أصل واحد مشترك تجمعهم وحدة الجماعة، وتربطهم رابطة العصبية للأهل والعشيرة، ورابطة العصبية هي شعور التماسك والتضامن والاندماج بين من تربطهم رابطة الدم، وعلى هذا النحو كان مصدر القوة والدفاعية التي تربط بين أفراد القبيلة، وكانت رابطة الدم فيها أقوى وأوضح ؛لأن العصبية تدعو إلى نصرة الفرد لأفراد القبيلة ظالمين أو مظلومين، وتقوم العصبية على النسب، لذا فهي تختلف باختلاف الالتحام بالأنساب، فالفرد البدوي يعتمد على شجاعته وقوته، وإلا أنه يجد ان ذلك لا يكفيه احياناً اذ قد يواجه من الخطر في طرق الصحراء ما لا يستطيع وحده ان ينجو منه فالقبيلة القوية قادرة على حماية ابنائها في اي مكان يذهبون اليه وانها تهدد بالثأر كل من يريد أن يعتدي عليهم. فاذا قتل أحدهم بيد فرد من قبيلة اخرى هبت القبيلة تطالب بثأره، فإن لم تتمكن من قتل القاتل عمدت الى قتل اي شخص من قبيلته بدلاً عنه وتنقسم القبائل التي تدين بدين واحد الى عدة فروع أو تجمعات بشرية[1].

ثانياً: البداوة إصطلاحاً:

لعل اول ما يتبادر الى الذهن عند ذكر كلمة بادية معنى الصحراء الشديدة الحرارة والقحولة، وهي بذلك إما أنها سهوباً شاسعة جرداء، أو كثبان رملية متحركة، فضلاً عن أن التنقل والترحال بحثاً عن الكلأ والماء هي السمات الرئيسة المميزة لسكانها الذين يسمون البدو الرحل أو الشعلة التي تضئ الصحراء اذ اعتمدت حياة

(1) الوردي، علي، دراسة في طبيعة المجتمع العراقي، دار الحياة (بيروت، 2002) ص56، 57؛مسعود ظاهر، المشرق العربي المعاصر من البداوة الى الدولة الحديثة، معهد الانتماء العربي، (بيروت، 1986) ص33.

البدو على تربية المواشي وحماياتها. وكانت تقوم في الازمان السالفة على هذه الامور وعلى الغزو والسلب [1].

وهناك تميز بين الانتجاع عن البداوة فالانتجاع هو بأن المجموعة البشرية لا تنتقل مع القطعان من مكان إلى آخر عكس مفهوم البداوة، فمنهم من يعرفها على أنها نمط الحياة القائم على التنقل للإنسان في طلب الرزق حول مراكز مؤقتة يتوقع مدى الاستقرار فيها على كمية الموارد المعيشية المتاحة من جهة، وعلى كفاية الوسائل المستعملة في أستغلالها من ناحية أخرى، وعلى مدى الأمن الأجتماعي والطبيعي الذي يمكن أن يتوافر من جهة ثالثة [2].

فالبداوة تنطبق على نمط حياة فئة من السكان الذين يمتازون بخصائص معينة، وسلوك ترسمه الطبيعة والبيئة المحيطة بهم، والتي لا تسمح بإقامة حياة سكانية مستقرة، فهي تعني الترحال، وعدم الاستقرار في مكان ثابت طوال العام، إذ تضطر بعض الجماعات الى أن تغير مناطق إقامتها من حين إلى آخر، أو من فصل إلى آخر، سعياً وراء الغذاء والماء والمرعي[3].

والبدو لايزالوا يعيشون على الفطرة يضربون في الصحراء بحثاً عن الماء والمرعى، لذ وصفهم ابن خلدون اقرب الى الخير من اهل الحضر وهم أصل للمجتمعات كلها وهم تبعاً لذلك أقدم من الحضر اذ إن الإنسان يبدأ أولاً بالسعي للحصول على ما يسد رمقه، ويكفل له استمرارية حياته، وهذه هي بداية كل التجمعات البشرية، ومنها تأتي كلمة بادية، التي قد تعني من بين معانيها الكثيرة البداية، وبما أن الحضر

(1) السعدي، أسماعيل، تجربة توطين البدو الرحل، ص 3؛جبور، البدو والبادية، ص32.

(2) بيار، جورج، معجم المصطلحات الجغرافية، تح، حمد الطفيلي، دار الكتاب الجامعي، ط2 (القاهرة، 2002م) ص 85.

(3) السعدي، تجربة توطين البدو الرحل، ص 4

منشغلون بالترف والكمال في أحوالهم، فمن المستحيل أن يكونوا بحال من الأحوال سابقين على البدو من حيث النشأة [1].

ويعرف ابن خلدون [2] البدو قائلاً:((إن أهل البدو هم المنتحلون للمعاش الطبيعي من الفلح والقيام عل الأنعام، وأنهم مقتصرون على الضروري في الطعام والملابس والمساكن، وسائر الأحوال والعوائد، ومقصرون عما فوق ذلك من حاجي أو كمالي، فمن كان معاشه منهم في الزراعة والقيام بالفلح، كان المقام أولى من الظغن، وهؤلاء هم سكان المدن والقرى والجبال وهم عامة البربر والأعاجم، ومن كان معاشه من السائمة مثل البقر والغنم فهم ظواغن في الأغلب، ويسمون شاوية، أما من كان معاشهم في الأبل فهم أكثر ظغناً وابعد في الفقر مجالاً، فكانوا لذلك أشد الناس توحشا، وتنزلوا من أهل الحواضر منزلة الوحش غير المقتدر عليه والمفترس من الحيوانات العجم)).

اما عن تعريف ابن خلدون للبدو فهو سعي منه لتشكيل حقل معرفي للمصطلح، قال ابن خلدون[3]: ((البدو هم المقتصرون على الضروري في أحوالهم وعوائدهم، ولاشك أن الضروري اقدم من الحاجي والكمالي، وسابق عليهما لأن الضروري أصل والكمالي فرع ناشئ عنه، فالبدو أصل للمدن والحضر سابق عليهما لأنه أول مطالب الإنسان الضروري)).

ومن خصائص ومميزات البدو، ((البساطة وعدم الاستقرار والتجمع القبلي والتوحش والجرأة والشجاعة والجود والكرم، والبدوي دائماً يريد نفسه غالباً لا

(1) ابن خلدون، عبدالرحمن محمد بن خلدون (ت 808هـ) مقدمة بن خلدون، تح، محمد الدرويش، دار يعرب، (بيروت، 2004م)، ص 57.
(2) مقدمة ابن خلدون، ص 193، 194.
(3) ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، ص 59.

مغلوباً في كل شؤون حياته، ويكون ناهباً لا منهوباً آمر لا مأموراً معتدياً لامعتدى عليه، معطياً لا قابضاً مقصوداً لا قاصداً مغيثاً لا مستغيثاً مجيراً لا مستجيراً حامياً لا محمياً، مرجواً لا راجياً))[1]

وفي بلاد الشام عصر الحروب الصليبية وجد البدو والذين كانوا يعيشون في الصحراء وقد أدو دوراً سلبياً ودوراً ايجابياً اثناء الغزو الصليبي لبلاد الشام وغيرهم من البدو وانقسموا على ثلاثة اقسام:

1- البدو الرحل: وهم اهل الوبر(الاصلاء، اوالاقحاح)[2]وسمتهم الاساسية هي ان يوظف الانسان في تلبية حاجاته المعيشية الاساسية لسكان الصحراء وكثرة تزايد الانتاج بقصد التجارة والربح وهم الأكثر، ويعرفون بأهل الوبر وكانت هذه القبائل دوماً تخضع للعامل الجغرافي ومحاولة التكيف معه، وهذه القبائل في حال ترحال دائم طلباً للكلأ والماء[3].

2- البدو نصف الرحل: وهم أهل الغنم من ذوي النجعة المحدودة وهم لم يفقدوا صفاتهم البدوية، بل هم أصلاء، ومن أهل الضرب والطعان والكرم والنخوة والارتحال، إلا أنهم لا ينتجعون إلا في مواسم معينة، وبالأخص في فصل الربيع، وهم على عكس البدو الذين يجوبون البادية (الصحراء) طيلة أيام السنة[4].

(1) الوردي، دراسة في طبيعة المجتمع العراقي،، ص34، 35.
(2) اوبنهايم، البدو، ص12.
(3) مسعود، المشرق العربي المعاصر من البداوة الى الدولة الحديثة، ص47.
(4) ابو السعيد، محمود سالم ثابت، القضاء العشائري عند قبائل بئر السبع فلسطين، ام الكتاب اللأبحاث والدراسات، ص12؛جبور، البدو والبادية، ص271.

3- القبائل المستقرة: وهم الفلاحون، وهم مـن اسـتقروا نهائيـاً، وتركـوا الإبـل، وتفرغـوا للزراعة، وتربية الماشية، وينظر إليهم البدو بنظرة معيبة[1]

(1) سواعد، محمد يوسف، البدو في فلسطين في الحقبة العثمانية، زهـران للـنشر، مكتبـة زهـران، غـزه، (فلسطين، 2004م)، ص20؛اوبنهايم، البدو، ص12.

المبحث الثاني

استقرار القبائل العربية والبدوية

في بلاد الشام زمن الحروب الصليبية

الأقسام الثلاث للبدو وجدت في بلاد الشام قبل الحروب الصليبية وأثناءها، وهي التي تفاعلت مع الصليبين سلباُ وإيجاباً، بحسب مقتضى الضرورة والحال والمصلحة، وهذا ما سنشير اليه لاحقاً وقد ساعدت طبيعة بلاد الشام وما تتمتع به من مياه وافرة، ومناخ معتدل على هجرات القبائل العربية من شبه الجزيرة العربية منذ القدم واستقرارهم فيها، وأصبحت منطقة جذب سكاني، ولعل أولى الهجرات العربية الكبرى للقبائل العربية إلى شمال بلاد الشام وباديتها كانت في الالف الثالثة قبل الميلاد واشهر هذه القبائل الاموريون ثم الكنعانيون - او الفينيقيون وثالث القبائل المهاجرة هي الاراميون (1)، وتلتها هجرة الكنعانيين الذين استقروا في الساحل اللبناني وفي فلسطين (2)، وما تفرع عن الكنعانيين من فروع مثل: الفينيقيين وغيرهم (3)،

---

(1) صالح، عبد العزيز، الشرق ألادني القديم في مصر والعراق، مكتبة دار الزمان، ط1، ص145؛مهران، محمد بيومي، دراسات في تاريخ العرب القديم، دار المعرفة الجامعة، ص187؛توفيق برو، تاريخ العرب القديم، دار الفكر، ط2 (بيروت، 2002م) ص146.

(2) كريم، جمعة محمود، الكرك عبر العصور، منشورا وزارة الثقافة، عمان، (الأردن، 2004م) ص 77.

(3) الملاح، هاشم يحيى، الوسيط في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار الكتب، ط1 (الموصل، 1994م) ص 58.

وشهدت بلاد الشام أواسط الألف الثاني قبل الميلاد هجرة القبائل العربية الآرامية إلى بلاد الشام، والذين سكنوا باديتها امتداداً حتى خليج العقبة [1].

وقامت هجرات عربية اخرى متتالية إلى بلاد الشام في النصف الثاني من القرن الثالث للميلاد ضمت قبائل تنوخ، وسليخ، والغساسنة، ولخم، وكلب، وبهراء، وعاملة، وجذام، وتغلب، واياد، ونمر، وبلي، [2]،

وفي فترة ما قبل الإسلام كانت بلاد الشام تابعة للإمبراطورية البيزنطية، وكانت سلامة الطرق التجارية، وحماية القوافل من الآعتداءات عليها، وبالأخص من القبائل البدوية، هي إحدى سياسات البيزنطيين [3]، لذا قربت الإمبراطورية البيزنطية القبائل البدوية التي نزحت إلى بلاد الشام، وأمدتها بالمال سنوياً مقابل أن تحمي هذه القبائل الحدود والمواقع التي يصعب على الإمبراطورية حمايتها، ودفع هجمات القبائل عنها، وفي بعض الأحيان كانت تشرك هذه القبائل في حروبها ولاسيما في الدفاع عن الحدود ضد أي عدو مراوغ، فمثلاً لما وجدت قبيلة تنوخ وتغلبت على اغلب القبائل، وأحكمت سيطرتها على العرب في بلاد الشام، ثم وردت قبيلة سليخ، وتغلبت على تنوخ، فملكتها على العرب، ولما وردت غسان وتغلبت على سليح، ملكتها على البدو في منطقة بلاد الشام، وقدمت لإمارة الغساسنة الإعانات السنوية[4] وقد وقفت الإمبراطورية

(1) الملاح، الوسيط في تاريخ العرب قبل الاسلام، ص58.
(2) الطبري، محمد بن جرير (ت، 310هـ) تاريخ الرسل والملوك، تح، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، ط 3(القاهرة، 1981م) ج1، ص 609؛جبور، البدو والبداوة، ص278.
(3) العريني، السيد الباز، الدولة البيزنطية، دار النهضة العربية، ط2 (القاهرة، 1980م) ص 289.
(4) مهران، تاريخ العرب القديم، ص145- 146.

البيزنطية حاجزاً يصعب اجتيازه فترة طويلة من الـزمن أمـام تحركـات وهجـمات القبائـل البدوية [1].

وفي الوقت الذي انتهت فيه الحروب الفارسـية البيزنطيـة، انهـار هـذا الحـاجز؛ نتيجة تحطيم وإنهاك قوى كل من هاتين الإمبراطوريتين بعـد الحـروب الضـارية التـي خاضتها كل منهما ضد الأخرى[2]، وجاء هذا الانهيار الذي اشتدت فيه الحاجـة في شـبه جزيرة العرب للتوسع، والقبائل البدوية العربية التـي انطلقـت مقتفيـة أثـر الجيـوش الإسلامية في حملاتهم العسـكرية، بـدافع قلـة المـوارد، قياسـاً لعـدد السـكان المتزايـد، والمعروف أن سكان الصحراء في هذه الفترة كانوا يهاجمون ما يحيط بهم مـن المنـاطق المأهولة، والزراعية الخصبة[3] وعندما ظهر الإسلام وفتحت بـلاد الشـام كانـت القبائـل العربية التي هـاجرت في الـعصر الراشـدي والـعصر الأمـوي والـعصر العبـاسي إلى بـلاد الشام في موجات متتالية فيما عرف بعرب الفتوح والقبائل البدوية التي كانت تقتفـي أثـــر الجيـوش العربيـة الإسـلامية في حملاتهـا العسـكرية وفتوحاتهـا في بـلاد الشـام، واسـتوطنت هـذه القبائـل في أغلـب قـرى وصـحاري بـلاد الشـام لاسـيما في النقـب وسيناء[4]، واستقر أكثرها في جبال نابلس والشام والسهول الداخلية ومن هـذه القبائـل غسان ولخم وجذام [5]ثم كانت هجرة قبائل بني هلال وبني سليم التي هـاجرت مـن

(1) توفيق، عمر كمال، الدولة البيزنطية، دار الفكر العربي، (لقاهرة، 1976م) ص 145.

(2) سالم، السيدعبد العزيز، التاريخ السياسي والحضاري للدولة العربية، دار النهضة العربية، ص 48.

(3) مهران، تاريخ العرب القديم، ص 147.

(4))سيناء: اسم موضع بالشام يضاف إليه الطور فيقال طور سيناء، وهو الجبل الذي كلّم اللــه تعـالى عليه موسى بن عمران، عليـه السـلام، ونـودي فيـه، وهـو كثـير الشـجر، يـاقوت الحمـوي، معجـم البلدن،ج3،ص300.

(5) دسوقي، محمد عزب، القبائل العربية في بلاد الشـام منـذ ظهـور الإسـلام إلي نهايـة الـعصر الأمـوي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (القاهرة، 1998م) ص186.

منطقة نجد إلى الشمال، وضغطت على قبائل أخرى، وأجبرتها على الهجرة[1]، ومثلت تلك القبيلتان الجانب السلبي في تعامل البدو مع الصليبيين[2].

ولنعرض لذلك بشيء من التفصيل، ففي بلاد الشام أتسع وجود القبائل العربية مع حركة الفتح الإسلامي بين سنتي (13-20هـ/643-640م)، ثم في اعقابها شاركت أعداد كبيرة من عرب الجزيرة العربية في الفتح، واستقرت اعداد كبيرة منها فيها[3]، ففي فلسطين انتشرت قبائل من لخم، وجذام، وعاملة، وكندة، وقيس، وكنانة،، أما في الأردن فحلت بطون من غسان، ومذحج، وهمدان، وكلب، والسكاسك، [4] والسكون[5] وهي قبائل من كندة، ونزلت في دمشق قبائل يمانية وقليل

---

(1) أبوضيف مصطفي أحمد، أثر القبائل العربية في الحياة المغربية خلال عصري الموحدين وبني مرين، (الأسكندرية، 1982م) ص276.

(2) الحايك، منذر، العلاقات الدولية في عصر الحروب الصليبية، الاوئل للنشر والتوزيع، دمشق (سورية، 2006م)، ص67

(3) كانت غالبية هذه القبائل من اليمن وهم همدان، واسلم، وغفار،، ومراد، والأزد، وحمير، ومذحج، وخولان، وخثعم، وكنانة، وقضاعة، وجذام، وكنده، وحضرموت ؛ابن أعثم الكوفي أبي محمد أحمد بن أعثم الكوفي (ت 314هـ) الفتوح، دار الكتب العلمية، (بيروت، 1986م) ج1، ص 53

(4) السكاسك، قبيلة عظيمة تنتسب الى السكاسك، وهو حميس السّكسك ابن أشرس بن ثور، وهو كندة بن عفير بن عدي بن الحارث بن مرّة بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ. من بطونها خداش، وصعب، وضمام، والاخدر، وهجقم وينسب إليها مخلاف باليمن، وهو آخر مخاليف اليمن؛ القرطبي أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري (ت، 463هـ) الإنباه على قبائل الرواة، تحقيق: إبراهيم الأبياري دار الكتاب العربي (بيروت، 1985م) ص115؛ كحالة، عمر بن رضا بن محمد راغب بن عبد الغني (ت: 1408هـ) معجم قبائل العرب القديمة والحديثة (بيروت مؤسسة الرسالة، 1994م) ج2، ص527.

(5) السكون، بطن من كندة، من القحطانية، وهم: بنو السكون بن أشرس بن ثور، وهو كندة بن عفير بن عدنان بن الحارث بن مرّة بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ. كان من هذا البطن فرقة بحضرموت، وفخذ تجيب. وكان للسكون ملك بدومة الجندل؛ ابن حزم الاندلسي، ابو محمد علي بن احمد سعيد(ت،456هـ)، جمهرة أنساب العرب، دار الكتب العلمية، (بيروت، 1983م)،ص431.

من قيس ونزلت قبائل قيسية ولاسيما في الغوطة وحوران والجولان، ونزلت قبائل غسان في الغوطة، اما قبيلة كلب فحلت جماعات منها في السويداء[1] واخرى في البقاع[2] وسكنت في حمص قبائل يمانية قضاعية من طيء، وكندة، وحمير، وهمدان، وكلب، وبهراء، [3] وتنوخ، وقليل من قيس، أما قبيلة أياد فاتجهت إلى جبلة وما حولها[4]، وانتشرت جماعات من طيء وتنوخ وقيس في قنسرين [5]، أما بنو عامر فحلوا في المرج الذي عرف بأسمهم[6].

وكان تنزل في جنوب الشام في الصحراء الواقعة بينه وبين شبه الجزيرة العربية وحول دمشق طائفة من القبائل اليمنية التي نزحت إليه منذ زمن بعيد، وبعد فتح الشام دخلت هذه القبائل في الإسلام واعانوا المسلمين على فتح الشام ضد الروم

(1) السويداء، مدينة بقرب دمشق بينهما ستة فراسخ، وهي على رأس جبل، حصينة، وحواليها مزارع وأشجار الزيتون والكروم، وماؤها من عين تجتمع في بركة ؛الحميري، ابو عبدالله محمد بن عبدالله بن عبد المنعم (ت، 900) الروض المعطار في خبر الاقطار، تح، احسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافه، ط2، (بيروت، 1980)، ص330.

(2) خماش، نجدت، الشام في صدر الإسلام من الفتح حتى سقوط خلافة بني أمية، دار طلاس، ط1(دمشق، 1987م) ص84.

(3) بهراء، وهي قبيلة من قضاعة نزلت أكثرها في مدينة حمص بالشام، والمشهور بالنسبة اليها عبد الله بن دينار البهراني؛ السمعاني، أبي سعد عبدالكريم بن منصور (ت 562هـ/1166م) الأنساب، تح، عبدالله عمر البارودي، دار الفكر(بيروت، 1998م) ج2، ص373.

(4) البلاذري، احمد بن يحيى بن جابر(ت279هـ) فتوح البلدان، مكتبة الهلال، ط5 (بيروت، 1988م) ص 324،

(5) المسعودي، ابي الحسن علي بن الحسين (ت 346هـ) مروج الذهب ومعادن الجوهر، مكتبة دار الكتاب الجامعي، (بيروت، 1988م) ج3، ص 249.

(6) خماش، الشام في صدر الاسلام من الفتح حتى سقوط بني امية، ص 64.

البيزنطيين، وبقيت معظم مواطنهم التي كانوا فيها قبل الفتح الإسلامي هي نفسها لم يشاركهم فيها أحد من قبائل الفتح العربي، وكان مركز قبيلة غسان بالشام هو منطقة اليرموك وفي بصرى[1] وحوران[2]حيث يقيم معظمهم، و سكنت جماعات منهم في البلقاء وحمص، وسكن مزيقياء قبائل من الازد اليمنية[3].

وبنو لخم من قبائل كهلان القحطانية، ولخم هو مالك بن عدي بن عمرو بن سبأ[4]، وبطونهم كثيرة منهم: بنو الدار بن هانئ رهط تميم الداري [5]وبنو نصر، وديار لخم متفرقة بالشام أكثرها بين الرملة ومصر في الجفار وفي الجولان، وما يليها من البلاد نوي والبثنية وشقص من نواحي دمشق من ارض حوران، يخالطهم في هذه المواضع جهينة وذبيان وبعض القبائل من العرب[6].

---

(1) بصرى، من أرض الشام من أعمال دمشق وهي مدينة حوران وفي شرقي هذه المدينة بحيرة تجتمع فيها مياه دمشق وتسير منها في صحراء ورمال مقدار خمسة عشر فرسخاً فتدخل دمشق؛ الحميري، الروض المعطار، ص109.

(2) ياقوت الحموي، شهاب الدين ابو عبد الله (ت626هـ) معجم البلدان، دار صادر، ط2(بيروت، 1995م) ج5، ص 434

(3) ابن حزم الاندلسي، جمهرة أنساب العرب، ص 372.

(4) ابن حزم الاندلسي، جمهرة أنساب العرب، ص 372.

(5) تميم الداري: هو تميم بن اوس بن خارجة بن سودة بن جذيمة بن ذراع بن عدي بن الدار بن هاني؛ ابن سعد، ابو عبدالله محمد بن سعد بن منيع (ت، 230هـ/818م) الطبقات الكبرى، تح، محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية (بيروت1990). ج3، ص464.

(6) الاصطخري، ابو اسحاق ابراهيم بن محمد (ت، 346هـ) المسالك والممالك، دار صادر (بيروت، 2004م) ص26.

وبنو جذام هم ولد عدي بن الحارث بن مرة بن أدد من قبائل عريب بن كهلان، ومن بطون جذام بنو غطفان وبنو قصي، وجذام أخو لخم وعم كندة[1]، وسكنت جذام في الشام المنطقة الممتدة من مدين إلى تبوك وأذرح [2]، ومنها فخذ مما يلي طبرية من أرض الأردن إلى اللجون وهي بلدة بالأردن قرب طبرية [3]، ومن حشم بن جذام بطن يقال لهم بنو جري ينزلون بالرمل قريب من الفرما[4]

ويغلب على العريش بنو الثعل من بني جري، ومنهم أيضا بعبسان وهي قرية بداروم غزة[5].

أما طي فهي قبيلة عظيمة من كهلان القحطانية تنسب إلى طيء بن أدد بن زيد بن عريب بن كهلان، وبطونها وأفخاذها كثيرة من ولديه قطرة والغوث نزلوا جنوب فلسطين، حتى ملؤوا الجبل والسهل والوادي حجازاً وشاماً وعراقاً[6] وعاملة من

---

(1) القلقشندي، ابو العباس احمد بن علي(ت،821هـ) نهاية الأرب في معرفة انساب العرب، تح، ابراهيم الابياري، دار الكتاب، ط2(بيروت1980م) ص 191.

(2) اذرح، مدينة على بحر القلزم، محاذية لتبوك، وأذرح بلد في أطراف الشام من أعمال الشراة من نواحي البلقاء؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج1، ص 129.

(3) ابن عبد الحق، عبد المؤمن بن صفي الدين (ت،739هـ) مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، مكتبة دار التراث، (بيروت، 1985م) ج3، ص 120.

(4) الفرما: وهي مدينة كبيرة على بحر الشام مجاورة لبحيرة تنيس قديمة ازلية توجد فيها اثار كثير وعجيبة تدل على انها كانت دار مملكة ويوجد فيها حصن على ضفة البحر لاكنة فاس الهواء لان ارضها سسبخ، اي: شديدة الملوحة وليس فيها زرع ولا ماء إلا ماء المطر؛ الحموي، معجم البلدان، ج4، ص255؛ الادريسي، محمد بن محمد بن عبدالله (ت، 560هـ) نزهة المشتاق في اختراق الافاق، عالم الكتب، (بيروت، 1989م). ص357؛ ابن عبدالحق، مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع،ج3، ص1030.

(5) الهمداني، ابو محمد الحسن بن احمد (ت، 334هـ) صفة جزيرة العرب، دار الكتب المصرية، ط3 (القاهرة، 1980م) ص130.

(6) الهمداني، صفة جزيرة العرب، ط1، ص 274.

القبائل العربية الكبيرة التي سكنت بلاد الشام منذ زمن طويل قبل الإسلام، اشتركت مع الروم في حرب المسلمين قبل اسلامهم، وعاملة بطن متسع كبير كانت تسكن اليمن قبل سيل العرم مع بني قحطان، وخرجت إلى بلاد الشام لتسكن في منطقة جبال عاملة التي عرفت باسمهم حتى الأن وهي مشرفة على طبرية مما يلي البحر[1].

وتعد قبيلة كلب من أضخم قبائل قضاعة القحطانية بالشام وكانوا في الجاهلية ينزلون دومة الجندل وأطراف الشام [2]، وبالأخص منطقة السماوة[3] التي كان لا يخالطهم فيها أحد ومنهم بالغوطة ووادي القرى [4]، وفي الفتوح ومع تحركات القبائل نزلت طوائف منهم منطقة الغور وجنوبي عكا والساحل في أوائل العصر الأموي، وكانت تدمر عاصمة كلب ومقر قيادتهم [5]، ومن قضاعة أيضاً بنو بهراء بن عمرو بن قضاعة وهم من اكبر قبائل قضاعة، وكانت منازلهم تقع شمال منازل بلي، وتمتد من ينبع إلى عقبة[6] أيلة [7]على بحر القلزم [8]، البحر الأحمر.

---

(1) ابن حزم الاندلسي، جمهرة أنساب العرب، ص 424.

(2) ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر، ج2، ص 521

(3) السماوة: وهي ارض مستوية لا حجر فيها تقع بين الكوفة والشام، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج3، ص245.

(4) الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص 129.

(5) القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ج1، ص 166.

(6) عقبة: وهي مدينة على ساحل بحر القلزم مما يلي الشام وهي اخر الحجاز واول الشام وهي مدينة عامرة فيها زرع كثير، الحموي، معجم البلدان، ص292.

(7) ايلة: مدينة على ساحل بحر القلزم(البحر الأحمر) مما يلي الشام، وهي اخر بلاد الحجاز، وأول الشام، تقع على راس خليج العقبة، على موقع قرية أم الرشراش، "المرشش " وكانت أتيلة في العصور القديمة ثغراً تجارياً مهماً على خليج العقبة،ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج2، ص 292.

(8) الاندلسي، جمهرة أنساب العرب، ص 441.

ومن قضاعة تنوخ وهم قبائل اجتمعت وتآلفت، وسموا بـذلك لأنهـم اتفقـوا عـلى التنخ أو المقام بالشام [1] فأقاموا في حاضر حلب وصحرائها وباديتها [2] أما بنو سـليح فهـم قبيلة عمرو بن حلوان بن عمران بن قضاعة المعروفين بالضجاعمة، وكانوا ملوكاً بالشام في أرض الغوطة قبل مجيء غسان الذين قضوا عليهم وأخذوا مكانتهم [3].

وأخيراً من قبائل قضاعة التي سكنت الشام قبل الإسلام وبعده بنو بـلي وهـم ولـد عمرو بن الحاف بن قضاعة، ومساكنهم بين المدينة المنورة ووادي القرى، ولهم ميامن الـبر إلى حد تبوك [4]

ومن جبل الشراة إلى معان [5]، وأيلة، وقد ذكر ابن خلدون [6]: ((أن مواطن بلي تقع شمالي جهينة إلى عقبة آيلة على العدوة الشرقية من بحر القلزم)).

وسكنت بنوـ تغلب وهي من أشـهر القبائـل العربيةــ في شـمال الشـام والجزيـرة الفراتية وأطلق على سكناهم ديار مضر، وغلب عليهم اسم القيسية، أي: العرب الشمالية، وكانت حوران والجولان منازل خليط من لخم وجهينة وذبيان، وأغلب القبائل التي نزلـت في دمشق من اليمانية من قضاعة، وغسان، وحمير [7].

---

(1) ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر، ج2، ص 328.

(2) ابن قتيبة الدينوري، عبدالـلـه بن مسلم (ت267هـ) المعارف، دار المعارف، (القـاهرة، 1976م)، ص 642.

(3) علي، محمد، كرد (ت، 1372هـ) خطط الشام، مكتبة النور، ط3 (دمشق، 1983) ص22.

(4) الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص 170.

(5) معان: مدينة في طرف بادية الشام، تلقاء الحجاز من نواحي البلقاء، ابن عبدالحق، مراصـد الاطـلاع علي أسماء الأمكنة والبقاع،ج3، ص 287.

(6) العبر وديوان المبتدأ والخبر، ج2، ص 249.

(7) ابن قتيبة، المعارف، ص 641.

ومع أن هـؤلاء العـرب بقـد يمهـم وجديـدهم قـد أفـادوا مـما وفرتـه الدولـة مـن إمكانيات لكي يتحولوا من حياة التنقل إلى حياة الاسـتقرار والارتبـاط بـالأرض، فـإن جانبـاً كبيراً منهم ظل يؤثر حياته الأولى، اذ عاشوا بدواً متنقلـين في مسـاحات واسـعة مـن الأرض طلباً للكلأ والماء، ومع أن قبائل منهم استقرت ومارست الزراعة في قرى بلاد الشام، إلا أنها ظلت أكثر ارتباطا بانتماءاتها وقيمها القبلية قياساً عـلى مـا اكتسـبته مـن قـيم حضريـة في المجتمع الجديد، وهؤلاء هم الذين أطلق عليهم اسم العشير أو العشائر[1].

ومن هذه العشائر التي وجدت ابان الغزو الصليبي إلى جانب القبائل:

1- عرب البشاتوة: وأصلهم من الحجاز، وقد هاجروا في بدء الأمـر الى العـراق ومنـه إلى منطقـة شرق الأردن، ومـن ثـم عـلى بيسـان، وسـكنوا المنطقـة مـابين بيسـان ونهـر الأردن[2].

2- عـرب الـتركمان، ويعـدون مـن العـرب المسـتعربة، وينتمـون الى الشـعوب التركيـة، ووجدت عشائر التركمان في بلاد الشام قبل الحروب الصـليبية، اذ أنهـم اشـتركوا مـع المسلمين بطرد الصليبيين من بلاد الشام، وشاركوا نور الدين محمـود وصـلاح الـدين الأيوبي في معاركهم ضد الصليبيين[3] وكانت مساكنهم في مرج عامر ولاسيما في الجـزء الجنوبي الشرقي منه، وأيضا في منطقة قيسارية والجولان[4].

(1) المقريزيي، تقي الدين ابي العباس احمـد بـن عـلي (ت، 845هــ) السـلوك لمعرفـة دول الملـوك، دار الكتب المصرية، ط3) (القاهرة، 1971م)، ج1، ص 690.

(2) كحاله، رضا، معجم قبائل العرب القديم والحديث، ج1، ص79؛ سواعد، البدو في فلسطين، ص 44.

(3) العارف، عارف، البدو بئر السبع وقبائلها، مكتبة مدبولي (القاهرة، 1999م) ص 135.

(4) الدباغ، مصطفى، مراد، بلادنا فلسطين، دار الهدى- كفرقوع (القاهرة، 1991م) ج2، ص 244.

3- عرب السواعد، من أكبر عشائر الشام وبالأخص فلسطين، اصلهم من شبه الجزيرة العربية، ويقولون إنهم ينتمون إلى سيدنا سعد بن أبي وقاص (رضي اللـه عنه)[1].

وغيرها من العشائر البدوية.

اما الحملة الشعبية او(الغوغاء) فتمّ قبرها وابادتها قبل ان تصل الى بلاد الشام اذ كانت مجموعات والتر المفلس وبطرس الناسك[2] قد نصبت خيامها امام القسطنطينية وقابل بطرس الناسك الامبراطور الكسيوس كومينينوس(474هـ-512هـ/1081-1118م)، الذي انعم عليه بسخاء ونصحه ألاّ يتابع السير الى اسيا الصغرى قبل وصول الفصائل الاخر وكما يظهر فإن بطرس كان مستعداً لذلك، الا ان اتباعه الحوا عليه ونصحه البيزنطيون ايضاً بعبور البسفور، وقد زاد الصليبيون اضطراباً، وبدأوا ينهبون ضواحي القسطنطينية[3] وتم القضاء عليهم على الرغم من بقاء بطرس الناسك على قيد الحياة، وربما تكون هذه الموجة الاولى من الحملات الصليبية التي انتهت بالفشل ولكن في الغرب كانت الجيوش تتجمع لمسير العامة، التي تؤجج فيها الجماهير الحاشدة بالخطاب العاطفي، وحفزت التجنيد المحموم ويبدو ان الحماس الصليبي قد تم نشره بشكل غير رسمي[4] لذا لم يكن للبدو دور في كبح جماعتها.

---

(1) الدباغ، بلادنا فلسطين، ج1، ص 361.

(2) بطرس الناسك، هو راهب وخطيب من مدينة اميان الفرنسية كان له تأثير شديد على الناس وكان يركب حمار ينتقل به من بلد الى اخر وهو احد الشخصيات المحورية في تاريخ الحملة الصليبية الاولى، صلاح الدين الايوبي وجهودة في القضاء على الدولة الفاطمية وتحرير بيت المقدس، الصلابي، علي محمد، دار المعرفة، (بيروت، 2008م)،ص45.

(3) ماير، هانس ابرهارد، تاريخ الحروب الصليبية، تر، عماد الدين غانم (د، م، د ت) ص94

(4) Asbrides. Thomas. *The crusade*(. ispn2010). p:66

المبحث الثالث

الحملة الصليبية الاولى ومقاومة القبائل البدوية لها

(حملة الفرسان او حملة الامراء)

(490- 493هـ/1096- 1099م)

كانت الحملة الصليبية الاولى تجربة للفرسان الذين اختبروا اختبار المنفى من الجوع والعطش من الموت الذي كان يهددهم دئماً بمواجهة قوى اخرى في سعي روحي عميق يمتاز بالقوة والثبات اذ أثبت البدو حتى من قبل الاحتلال الصليبي لبلاد الشام أنهم أولوا بأس، وانهم يأبون الخضوع إلى حاكم غير شيخ القبيلة، صاحب الزعامة الشرعية في نظرهم، وعندما احتل الصليبيون بلاد الشام، كانت تلك الروح متأصلة تتملكهم والتي أبرزوا فيها مقاومة شعبية واضحة لهذه السلطة الجديدة[1].

إلا أن موقف البدو كان ذا شقين، الاول: إيجابي وهو المقاوم للصليبيين، والمساند للمسلمين، والجهات الرسمية الحاكمة، وكانوا يشكلون الغالبية، و الثاني: سلبي اذ كان هناك جماعة منهم يبحثون عن مصالحهم التي كان يتحكم بها الصليبيين بحكم احتلالهم لغالبية بلاد الشام، وسيطرتها على الكثير من مناطق النفوذ البدوية، وجعلها مناصرة للصليبيين بكل ما في الكلمة من معنى حتى كانوا آفة على المسلمين ودليلاً للكفار على الإسلام والمسلمين [2].

---

(1) السيد، علي احمد محمد، الخليل والحرم الإبراهيمي في عصر الحروب الصليبية، دار الفكر العربي، (القاهرة، 1994م) ص 324.

(2) سبط ابن الجوزي، شمس الدين بن قزاغولي بن عبدالله (ت، 654) مرآة الزمان في تواريخ الاعيان، تح محمد بركان واخرون، دار الرسالة العالمية (دمشق، 2013م) ج8، ص 299،

لقد شارك البدو العرب مشاركة إيجابية اثناء الحملات الصليبية، اذ رفض البدو المنتشرون على أطراف المدن والقرى وفي الصحراء الشامية الواقع الجديد المتمثل بالاحتلال الصليبي لبلادهم بمقاومتهم هذا الاحتلال منذ اللحظة الأولى لنزول الصليبيين أراضي بلاد الشام، وقبل الحديث عن هذه المقاومة البدوية واساليبها لابد من عرض تاريخي موجز لأحداث الحملة الصليبية الأولى أو حملة الأمراء والفرسان و أطلق على هذه الحملة التي قادها امراء اوربا بعد فشل ما يسمى بالحملة الشعبية، وازاحت البابوية بقيادة البابا اوربان الثاني[1] وجهها عن الزلزال الاجتماعي الذي أحدثته حملة الفقراء او حملة العامة [2]، وكانت مشكلة التمويل هي اكبر المشكلات التي واجهت الأمراء والفرسان، وكان على كل منهم ان يبحث عن حل لهذه المشكلة بطريقته الخاصة، وفي أواخر سنة (488هـ/1059م كانت جيوش الفرسان متأهبة للرحيل إلى بلاد الشام، وتكونت عدة جيوش على أساس من التقسيمات اللغوية والعرقية والثقافية من جهة، وعلى اساس من الروابط الإقطاعية من جهة ثانية[3].

وتولى جودفري دي بوايون قيادة الجيش الذي جمعه من اللورين شمال فرنسا، والألمان واشترك معه اخوه بلدوين [4]، وتولي روبرت دوق نورماندي، وزوج

(1)اوربان الثاني: وهو صاحب القرار للحروب الصليبية على المشرق الاسلامي الذي تولى الكرسي البابوي في سنة (480هـ-1088م) رجل من الرجال المهمين في الكنيسة الغربية وكان لولايته الأثر في تغير عدة صفحات متتالية من التاريخ والاثار التي احدثها هذه الرجل لازلت موجودة الى الان؛ محمد مؤنس، الحروب الصليبية العلاقات بين الشرق والغرب،ص63

(2) قاسم، عبدة قاسم، ماهية الحروب الصليبية، عالم المعرفة (الكويت1990) ص167.

(3) قاسم، ماهية الحروب الصليبية، ص99

(4) جودفري، هو ملك الفرنج بالشام وهو صاحب بيت المقدس، ابن الاثير، ابو الحسن علي بن ابي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري،(ت،630هـ)، الكامل في التاريخ،تح: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي،(بيروت، 1997م)،ج8، ص457.

اخت ستيفن كونت بلوا قيادة الفرسان القادمين من غرب فرنسا ونورماندي، وبعض مناطق الشمال، فضلاً عن الكثير من الفرسان الانكليز من أتباع أخيه الملك الأنكليزي وليم روفوس [1].

أما الجيش الثالث فكان تحت قيادة ريمون الرابع كونت تولوز[2]، والذي كان يقترب من الستين من عمره، وتألف جيشه من فرسان جنوب فرنسا والبروفنسال، وكان في صحبته إدهيمار اسقف بولوي، والمندوب البابوي في الحملة [3]، اما أصغر الجيوش الصليبية فكان جيش هيو كونت فرماندوا المعروف باسم الأشقر، وهو شقيق فيليب الأول ملك فرنسا أنذاك [4]، وكان جيشه اول الجيوش الصليبية وصولا إلى الاراضي البيزنطية، وهناك جيش خامس قاده بوهمند[5] النورماني ابن روبرت جويسكارد، وتألف من المقاتلين النورمان في جنوب إيطاليا[6].

---

(1) عبد القوي، زينب عبد المجيد، الانجليز والحروب الصليبية، دار عين، ط1 (القاهرة، 1998م) ص 146.

(2))ريمون الرابع، هو دوق اقليم الناربون في فرنسا وماركيز قوطيا اشترك في الحملة الصليبية الاولى وشارك في حصار القدس سنة(493هـ/ 1099 م) واستطاع الاستيلاء عليها، الذهبي، شمس الدين ابو عبدالله محمد بن احمد بن عثمان بن قايماز(ت، 748هـ)، تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والاعلام،تح، عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي،(بيروت، 1993م)، ج51، ص28.

(3) سمث، جوناثان ريلي، الحملة الصليبية الأولى، وفكرة الحروب الصليبية، ترجمة محمد فتحي الشاعر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط2 (القاهرة، 1999م) ص 26

(4) سميث، الحروب الصليبية، ص 137.

(5)(بوهيموند: وهو امير تورنتو ثم انطاكية شارك في الحملة الصليبية الاولى عام 1096م واستولا على انطاكيا، ابن منقذ، ابو المظفر مؤيد الدولة مجد الدين اسامة بن مرشد بن علي بن مقلد الكناني الكلبي،(ت، 854هـ)، الاعتبار، تح، فيليب حتي، مكتبة الثقافة الدينية (مصر، د. ت)، ص121.

(6) قاسم، ماهية الحروب الصليبية، ص 78.

ووصلت هذه الجيوش الى العاصمة البيزنطية "القسطنطينية "واستولت الدهشة على الامبراطور البيزنطي ألكسيوس كومنين من كبر حجم الجيوش الصليبية لانه كان يتصور ان قدوم فرق من المرتزقة الذين تعود البيزنطيون ان يجندوهم في خدمتهم، إلا أنه إذ كان عاجزاً عن أن يفعل شيئاً فقرر ان يفيد من الموقف بأقصى سرعة ممكنة، ولم يكن لديه اي قدر من التسامح في مسألة عدم السماح للقوات الصليبية بدخول عاصمته، ومن ثم سمح لهم بأن يضربوا خيامهم في ضواحي القسطنطنية[1]، ولم يسمح سوى للقادة فقط وعدد قليل من مرافقيهم بالدخول إلى العاصمة الإمبراطورية، وقد حرص على ان يستعرض أمامهم عظمة البلاط البيزنطي، قاصداً ان يجعلهم يحلمون في دهشة وانبهار مشوب بالطمع في مظاهر الثراء الذي تمتعت به الإمبراطورية البيزنطية[2].

وبعد ان اخذ من قادة الجيوش الصليبية يمين الولاء ماعدا بوهميند الصنجيلي[3]، الذي رفض بحجة انه يقود اكبر وأقوى الجيوش الصليبية، ولكنه اقسم على ان يحمي شرف الإمبراطور وحياته، إلا أنه لم يوافق ابداً على أن يقسم له يمين الولاء والتبعية مثلما فعل الأمراء الصليبيون الآخرون[4]، وهنا سمح لهم الامبراطور بعبور خليج البسفور على أسيا الصغري، لتبدأ عجلة الحرب مع سلاجقة الروم، الذين أبلوا بلاءً حسنا في الحروب مع هذه الجيوش لوحدهم، فقد ساعد الفاطميين ـ للأسف ـ الصليبيون ضدهم، وكانت بقية الإمارات العربية تنتظر هزيمة الصليبيين

(1) Clary,R. The conquest of constantinople,translated, into English by Edgar holmes New York, 1969p:420.

(2) قاسم، ماهية الحروب الصليبية، ص99.

(3) ميخائيل زابوروف، الصليبيون في الشرق، ترجمة إلياس شاهين، دار التقدم، ط1 (موسكو، 1986م) ص 157

(4) ماير، تاريخ الحملات الصليبية، ص 120

للقضاء عليهم، وكانت هذه نهاية المرحلة الاولى من حملة الفرسان[1]. ينظر ملحق رقم(1)

وهناك على بعد أميال من العاصمة البيزنطية وجد الصليبيون أنفسهم في أرض العدو للمرة الأولى[2]، وانضم إليهم بطرس الناسك وبقية الناجين من حملته المضحكة (الغوغاء)، واعتذر الامبراطور البيزنطي ألكسيوس كومنين عن قيادة الحملة، ولكنه زود الجيوش الصليبية بعدد من الأدلاء والمرشدين، وارسل معهم بعض ضباطه، وظل يرسل لهم المؤن والإمدادات عن طريق البر والبحر[3].

وتتابعت الجيوش البيزنطية وضربت حصاراً حول مدينة نيقيه[4] عاصمة الأمير قلج ارسلان[5](485-501هـ/1092-1107م) بن سليمان بن قتلمش السلجوقي، وسمع الذين كانوا يحاصرون مدينة نيقيه وصول قادة الحملة وهم كل من: كونت نورماندي وستيفن بلوا، وكانوا فرحين بمقابلتهما ورافقوهما الى جنوب المدينة حيث اقاموا

(1) الشامي، احمد، العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى، دار النهضة العربية، (القاهرة، 1985م) ص 78.

(2) قاسم، ماهية الحروب الصليبية، ص 123.

(3) توفيق، عمر كمال، مملكة بيت المقدس الصليبية، (الاسكندرية، 1960م) ص 87.

(4) نيقيه، مدينه قديمة أزلية كبيرة من اعمال القسطنطينية، لها بحيرة عذبة طولها اثنا عشر ميلاً، وهي قديمة لا يعرف بانيها، وفي بحيرتها المذكورة ثلاثة أجبل، ومن البحيرة إلى المدينة باب صغير فإذا طرقهم خوف أو فاجأهم أمر أخرجوا الذراري من الحصن إلى الزوارق ثم ساروا إلى تلك الجبال معتصمين بها، الحميري، الروض المعطار، ص589.

(5) قلج ارسلان: هو سلطان سلجوقي من سلاجقة الروم ابن مسعود بن قلج ارسلان بن سليمان بن قتلمش بن سلجوق بن دقاق السلجوقي كان من الأمراء الشجعان ونجباء الفرسان كان فِيه عدل وحُسن سياسة، وسداد رأي، الذهبي، محمد بن احمد بن عثمان (ت748هـ/1347م) تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والاعلام، تح، عمر عبد السلام التدمري، دار الكتاب العربي (بيروت، 1993) ج12، ص858.

معسكرهم، وكان التركمان قد حشدوا قواتهم وزحفوا على امل صدّ المهاجمين وإرجاعهم عن المدينة [1]، وكان السلطان غائباً ومعه معظم جنده، واستهان بقوة الصليبيين عندما وصلته أنباء حصارهم لعاصمته، باعتبار أنه سبق ان قضى تماماً على أتباع بطرس الناسك، وأعتقد أن هذه الجموع الصليبية لا تعدو أن تكون مثل سابقتها، إلا أن اعتقاده كان خاطئاً، فقد ضرب الصليبيون الحصار بشدة حول العاصمة السلجوقية في السادس من شهر مايو(491هـ/1097م)، ودخل الفريقان في معركة كبيرة قتل فيها من الجانبين أعدد كبير من الجنود [2]وفي التاسع من يونيو سلمت المدينة لقوات الإمبراطور البيزنطي خوفاً من وحشية الصليبيين فقد كان الامبراطور قد راسل أهلها وفاوضهم على تسليمها مقابل حمايتهم من بطش القوات الصليبية[3].

وكان سقوط نيقيه قد رفع الروح المعنوية عند الصليبيين،شجعهم على مواصلة الزحف للاستيلاء على بقية المدن السلجوقية فسقطت ضوروليوم في ايديهم بعد ان وجدوا مقاومة عنيفة من سلاجقة الروم وابناء عمومتهم الدانشمنديين[4]،

---

(1) ابن الاثير، عز الدين ابو الحسن علي بن أبي الكرم الشيباني (ت، 630هـ) الكامل في التاريخ، تح، عمر عبد الاسلام التدمري، دار الكتاب العربي (بيروت1993م) ج10، ص 274؛ زكار، سهل، الموسوعة الشاملة في تاريخ الحروب الصليبية، ج6، ص327.

(2) الشامي، العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى، ص 78.

(3) النبراوي، فتحية عبد الفتاح، العلاقات السياسية للدولة الإسلامية، مكتبة الأنجلو المصرية، (القاهرة، 1978م) ص 137.

(4)الدانشمنديين:وهم عائلة تركمانية حكمت في مناطق الشمالية والشرقية للأناضول في القرن الحادي عشر واستقرت بشكل اساسي حول سيفاس وتوكات ونيسكار، ثم امتدوا غرباً حتى وصلوا انقرة وكاستامونو وجنوباً حت ملطية، وكان لهم تنافس مع سلاجقة الروم والذين سيطرة وعلى أراضي كثيرة كانت تحيط بهم وقاموا بحروب واسعة النطاق ضد الصليبيين، طقوش، محمد سهيل، تاريخ سلاجقة الروم في اسيا الصغرى، دار النفائس، لبنان،(بيروت،2022)، ص112.

والذين نسوا خلافاتهم، واتحدوا ضد الصليبين، واستولى الصليبيون على الكثير من الغنـائم والمؤن، وبهذه الموقعة أصبح واضحاً أن قوة جديدة هي قوة المسيحيين الغربيين الصليبيين قـد ظهـرت عـلى مسرح التـاريخ في منطقـة الشرق الأدنى، بعـد أن هزمـوا قـوة الأتـراك السلاجقة التي عجزت الإمبراطورية البيزنطية عن هزيمتها [1] وبعدها توقفت كل مقاومـة إسلامية منظمة منذ ذلك الحين.

واسـتولى الصـليبيون عـلى هرقلـة[2]، وكونـوا أول إمـارة صـليبية في الرهـا [3] بمساعدة الأرمـن في فبرايـر سـنة(492هــ/1098م) ــ بقيـادة بلـدوين البولـوني[4] ثـم سقطت أنطاكية[5] في الرابع من يونيو من العـام نفسـه واختلطـت ضوضـاء المعركـة بصرخات الصليبيين والترك واظلمت السماء بوابل من السهام والقذائف التي حجبت ضـوء النهـار وزادت الضوضـاء بسـبب الصراخ والعويـل مـن داخـل مدينـة انطاكيـا

---

(1) الشامي، العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى، ص 79.

(2) هرقلة: مدينة ببلاد الروم سمّيت بهرقلة بنت الروم بن اليفز بن سام بن نـوح، عليـه السّـلام، وكـان الرشيد غزاها بنفسه ثم افتتحها عنوة بعد حصار وحرب شديده ورميها بالنار والنفط حتـى غلـب أهلها، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج5، ص398.

(3) الرها: وهي مدينة ذائعة الشهرة تقع في منطقة من اخصب المناطق وهي في الناحية السـورية مـن بلاد الجزيرة فوق حران بينهما ست فراسخ وتبعد نحو عشرين ميلاً عن نهر الفرات، صفي الـدين، مراصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع،ج2،ص644

(4) الحريري، سيد علي، الأخبار السنية في الحروب الصليبية، المطبعة العموميـة، ط1(القـاهرة، 1899م) ص 36.

(5) انطاكية: وهي مدينة تقع على نهر اورنطس- نهـر العـاصي- اول مـن قـام ببنائهـا انطيغونيـا في ولم يكمل بناؤها فاقام بعده سلقوس وسماها انطيوخيا وهـي التـي اكمـل سـلقوس بناءهـا وزخرفهـا وسماها على اسم ولده انطيوخوس وهي انطاكيا؛الحموي، معجم البلدان، ج1، ص266.

وخارجها وفرحت النساء الصليبيات على طريقتهن المعهودة؛ لما شاهدن مصير الترك المظلم وكون بها الصليبيون ثاني إمارة صليبية في مطلع سنة(493هـ/ 1099م)[1].

وكان للتشرذم السياسي الذي كانت تحيا فيه الكيانات السياسية في الشرق العربي الإسلامي أثره في تقدم القوات الصليبية نحو فلسطين وتأسيس إمارة بيت المقدس الصليبية واحتلال كامل لفلسطين والمدن الشامية، بل والتفكير وشن الحملات لاحتلال مصر نفسها، ولم يكن الطريق على بيت المقدس سهلاً، فالمدن الساحلية على جانب كبير من التحصين، والصليبيون يرغبون في الوصول الى بيت المقدس، الهدف الرئيس للحملات الصليبية، وباقصى سرعة، ولاسيما وان الوقت قد طال بهم منذ ان خرجوا من اوربا سنة(490هـ/1096م) [2]، وكانت الأوضاع السياسية بين القوى الإسلامية في المنطقة قد ساعدتهم على تخطي الصعاب، ودخول بيت المقدس، فمصر تحت سيطرة امير الجيوش الوزير الافضل بن بدر الجمالي[3](458-515هـ/1066- 1121م)، الذي ساومهم على اقتسام أنطاكية عند احتلالها[4]، وامراء المدن الشامية آثروا السلامة، ودخل معظمهم في تحالف مع الصليبيين ولم يبد احدهم اي مقاومة لصد الزحف الصليبي على بيت المقدس، ولو انهم لم يدخلوا في

---

(1) زكار، الموسوعة الشاملة في تاريخ الحروب الصليبية، ج6، ص335؛ توديبود، بطرس، تاريخ الرحلة الى بيت المقدس، تح، حسين محمد عطية، دار المعرفة الجامعية (القاهرة، 2001م) ص166.

(2) الشامي، العلاقات بين الشرق والمغرب في العصور الوسطى، ص 85.

(3))الافضل بن بدر الدين الجمالي: (ت،515 هـ/1121م)، هو أمير الجيوش المصرية الأفضل بن بدر الجمالي أبو القاسم، وهو احد كبار وزراء الدولة الفاطمية وهو الذي وطد دعائم الملك للآمر بأحكام الله العبيدي صاحب مصر، الذهبي، سير اعلام النبلاء،ج19،ص335.

(4) المقريزي، الخطط، ج2، ص 244.

محالفـات مـع الصـليبين، فربمـا كـان مـوقفهم الحيـادي معوقـاً ومعطـلاً لهـذا الزحـف الصليبي [1].

وكان فصل الختام في الحملة الصـليبية الأولى هـو دخـول بيـت المقـدس، وارتكـاب المذبحة الشهيرة بها، وتكوين مملكة بيت المقدس الصليبية، التي كان جودفري دي بوايون اول حكامها والذي رفض أن يلقب بلقب ملـك؛ لأنـه ولـد في مدينـة المسـيح، ومـات سـنة (494هـ/1100م) وتولي بلدوين الأول عليها، فاصبح اول ملك صليبي على المملكة الجديدة وتوالى سقوط المدن الشامية الواحـدة تلـو الاخـرى في أيـدي الصـليبيين، الـذين كـانوا قـد استولوا على الرملة التي فتحت لهم الطريق الى بيت المقدس وبقية المدن الشامية[2].

ووجه الصليبيون غزوهم في ثلاثة اتجاهات رئيسة الاول جهة الشمال حيـث إقلـيم الجليل، والثاني جهة الجنوب حيث هضبة جنوب فلسـطين، والثالـث جهـة الغـرب حيـث مدن فلسطين الساحلية، يافا وحيفا وعكا وتم اخضاع جنوب فلسطين اذ توجه بلدوين إلى بيت لحم على رأس حملة عسكرية، واخذت قرى الجليل وريفها تتساقط في يده الواحـدة تلو الأخرى، ولم تلبث القـوات الصـليبية التـي هاجمـت مدينـة الخليـل [3]، وتمكنـت مـن إسـقاطها بعـد هجـوم قصـير، فـر منهـا المسـلمون، وقـام جـودفري ببنـاء قلعـة حصـينة لحمايتها [4].

(1) الشامي، العلاقات بين الشرق والغرب، ص86.

(2) توفيق، مملكة بيت المقدس الصليبية، ص Albert daix, *historia historia hierosolymitana*,p42038.

(3) عاشور، سعيد عبد الفتاح، الحركة الصليبية، مكتبة الانجلو المصرية، ط2(القـاهرة، 1971م) ج1، ص 88-112.

(4) السيد، علي احمد محمد، الخليل والحرم الابـراهيم في عصر الحـروب الصـليبية، دار الفكـر العـربي، ط1(القاهرة، 1998) ص 108.

وأستطاع الصليبون الاستيلاء على المدن الفلسطينيــة والشـامية الواحــدة تلــو الأخــرى فاسـتولوا عـلى بيــت جـبرين [1]، وتـل الصـافية [2] ويبنـه [3]، وشهـدت سنــة (510هـ/ 1116 م) تحركات صليبيــة جديـدة، فاحتلـوا أيلـة وشـيدوا فيهــا قلعـــة عرفـت بأسمهـــا، وعـبروا خليــج العقبـــة عـلى جزيـرة فـرعون [4]، واسسوا فيها قلعـة اخرى، واحتلوا بيسان [5]، وطبريـة[6]، والناصــرة[7]،

---

(1) بيت جبرين: بلدة قديمة تعود الى الكنعانيين، وفي العهد الرومـاني كانـت عاصـمة لاكبر مقاطعـة في فلسطين، استردها صلاح الدين بعد معركة حطين، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج1، ص 519.

(2) تل الصافية: تقع على بعد ثمانية أميال من عسقلان غلي الشـمال الغـربي لمدينـة الخليـل، اقـام بهـا الملك فولك الصليبي قلعة،ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج2، ص 42.

(3) يبنه: كانت تعرف بعدة أسماء منها ابلين وهي تقع جنوب يافا عـلى بعـد فرسـخين منهـا، التطـيلي، الرابي بنيامين،(ت،569هـ) رحلة بنامين التطيلي، المجمع الثقافي،(ابوظبي،2002م)ص261.

(4) جزيرة فرعون: او قلعة فرعون، والتي قامت بدور المراقبة من موقعها الممتـاز المشرف عـلى ملتقـى الاراضي المصرية والحجاز والشام، وهي قلعة صخرية يبلـغ طولهـا مايقـارب الــ 300مـتر وعرضـها 150 مـتراً، وقـد أقيمـت القلعـة في الجـزء الشـمالي منهـا، واسـتولى عليهـا صـلاح الـدين سـنة (578هـ/1182م)، وقام بتدميرها، شراب، محمد، معجم بلدان فلسـطين، ط1(بـيروت، 1997م) ص 168.

(5) بيسان: مدينة في الغور وهي عربية كنعانية سماها الكنعانيون بيت شـان، أطلـق عليهـا اليونـانيون أسم سكيلوبولس، وعرفت بمدينة الشمس، تم أحتلالهـا مـن قبـل الفرنجـة سـنة 492هــ/1099م، واصبحت إمارة إقطاعية، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج1، ص 527،

(6) طبرية: مدينة في الغور الغربي لبحيرة طبريـة وهـي مدينـة عربيـة كنعانية،المقـدسي، ابـو عبداللــه محمد بن احمد (ت380، هـ) احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم، وزارة الثقافـة والارشـاد القـومي تح، غازي طليمات(دمشق، 1980م). ، ص150.

(7) الناصرة: احدى المدن الفلسطينية نسب اليها السيد المسيح عليه السلام فقد عرف بالناصري، ولدت فيها السيدة مريم عليها السلام، وهي مكان مقدس عند المسيحيين، عـلى بعـد 141كـم مـن بيـت المقدس ؛الحموي، معجم البلدان، ج5، ص251؛الدباغ، بلادنا، ج1، ص 48.

وجبل طابـور [1]، وبهذا يكونوا قد احتلوا الداخل الفلسطيني بشماله وجنوبه.

وتم اخضاع الجبهة الساحلية للصليبيين بعدّة حملات عسكرية، فهوجمت عسقلان بعد المعركة التي دارات بالقرب منها في 21رمضان سنة (492هـ/1099م)، وكادت عسقلان أن تستسلم لهم لولا ظهور روح المنافسة بين القادة الصليبيين [2].

واحتلـت مـدن أرسـوف[3]، ويافـا، وعكـا، وحيفـا، وغـزة، وغيرهـا مـن المـدن الساحلية، بعد أحتلال المدن الساحلية الأخرى مثل: بيروت، وطـرابلس التـي تكونـت فيها رابع إمارة صليبية التي أسسها ريموند الصنجيلي بعد حصار طويل لهـا، فسـاءت أحوالها، واشتدت وطأة الحياة على سكانها بسبب ارتفاع الاسـعار، واسـتمرت المدينـة تقاوم الحصـار الصـليبي ثـلاث سـنوات بقيـادة حاكمهـا أبـوعلي بـن عـمار[4]، الـذي ضاقت به السبل، فخرج بنفسه يستنجد بالخليفة العباسي المسـتظهر باللــه[5](487-

(1) جبل طابور:يقع في إقليم الجليل ويشرف على سهل مرج ابن عامر وهو على بعد اربعـة اميـال مـن الناصرة، ويرتفع عن سطح البحر حوالي 588كم ؛الدباغ، مصـطفى مـراد، بلادنـا فلسـطين، ج2، ص 36.

(2) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج10، ص 412.

(3))أرسوف: مدينة على ساحل بحر الشام بـين قيسـارية ويافـا، كـان بهـا خلـق مـن المـرابطين، يـاقوت الحموي، معجم البلدان، ص151.

(4)ابو علي بن عمار: القاضي، فخر الملك صاحب طرابلس الشام، كان مسـولاً عـلى أمرهـا إلى أن قصـده الفرنج، فسار من طرابلس إلى بغداد، واجتاز في طريقه حلب، و اعملها، وورد بغداد مستنفرا عـلى الفرنج، ابن العديم، عمر بن احمد بن هبة اللـه(ت،660هـ) تح، سهيل زكار، دار الفكـر(دم،دت) ج10،ص4532.

(5) المستظهر باللـه: هو احمد بن عبداللـه امير المؤمنين الخليفـة العبـاسي ابـن المقتـدر باللــه امـير المؤمنين بويع بالخلافة من المسلمين بعد موت المقتدر في(12محرم في سنة 87هـ)وكان عمـره سـتة عشرعاماً، الذهبي، تاريخ الاسلام ووفيلات المشاهير والاعلام، ج11، ص18؛الكتبي، محمد بـن شـاكر بن احمد، (ت، 764هـ) فوات الوفيـات، تـح، احسـان عبـاس، دار صـادر، ط1، (بـيروت، 1973م)، ص88.

512هـ/1094- 1118م)، وبالسلطان السلجوقي محمد بن ملكشاه[1] وحمل عليهما الهدايا الكثيرة، إلا أنه لم يظفر بشيء من الخليفة او السلطان السلجوقي، فرجع قافلاً الى بلده، وعندما وصل الى الشام بلغته الانباء أن أهل طرابلس قد يئسوا من الحصار، وسلموا المدينة للوزير الأفضل بن بدر الجمالي، الذي أرسل والياً جديداً عليها وقبض على ابن عمار وافراد أسرته وبعث بهم إلى القاهرة عن طريق البحر [2].

واستولى الصليبيون على طرابلس بمساعدة الأسطول الجنوي[3] وسلمت المدينة لهم في سنة(503هـ/1109م) وبسقوط طرابلس تكونت الإمارة الصليبية الرابعة التي كانت حلم ريموند الرابع، وبذلك أسس الصليبيون مملكتهم الصليبية التي امتدت من الرها شمالا حتى خليج العقبة جنوبا، واخذوا في تحصينها وتعزيز حاميتها والاستقرار فيها [4].

ولم يكن ذلك راجعاً إلى قوة الصليبيين وكثرة عددهم وقوة بأسهم، وضخامة التجهيزات والاستعدادات التي امدتهم بها مدن الغرب الاوربي، إلا أن الحقيقة عكس

---

(1) محمد بن ملكشاه: وهو السلطان محمد بن ملكشاة بن ألب ارسلان التركي صاحب العراق الملك غياث الدين ابو شجاع عندما توفي والده سنة 485هـ اقتسموا الاقاليم فكان بركياروق هو المسؤول عليهم إذ ذهب محمد وسنجر الى الخليفة العباسي المستظهر بالله واستنجدابه وسلطن محمد على اخيه سنجر وألبس سبع خلع وقلده سيفين وقطع خطبة اخيهما بركياروق في سنة 495هـ فتحرك بركياروق وحشد وجمع وحدثت بينهم خمس معارك ثم اعظم شأن محمد وتفرد له بالسلطة ودانت لة البلاد؛الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج19، ص561.

(2) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج10، ص 452.

(3) الاسطول الجنوي: هو اول اسطول جنوي ايطالي يمد يد المساعد الى الصليبيين عند وصولهم الى القدس وقدم لهم المساعدة وامدهم بآلات التي استعملوها في حصار القدس واحتلالها سنة 492هـ/1099م وأسهم الاسطول الجنوي ايضاً في حصار وسقوط العديد من الموانى الشامية مثل: يافا، وارسوف، وقيسارية، وعكا، وبيروت؛ قاسم، ماهية الحروب الصليبية، ص90.

(4) الشامي، العلاقات بين الشرق والغرب، ص 119.

ذلك تماماً، فلم تكن تلك الانتصارات بسبب العوامل التي ذكرتها، بقدر ما كانت بسبب ضعف القوى الإسلامية، وتفرق كلمة المسلمين وتناحرهم وأنانيتهم السياسية التي جعلت بعضهم يتعاون مع الصليبيين ضد أخوانه من المسلمين، وعدم وجود قيادة موحدة، مما دفع فوشيه الشارتري [1] الى القول: ((لماذا خشيت كل هذه الأمم، وهذه الممالك من الهجوم على مملكة صغيرة، وشعب متواضع؟ لماذا لم يجمعوا من مصر ومن فارس ومن بلاد ما بين النهرين، ومن بلاد الشام مئة ضعف، او على الأقل ألف مقاتل، ليزحفوا بشجاعة علينا، ونحن اعدائهم؟ لماذا لم يدمرونا ويلتهمونا، مثل جراد يفوق الحصر عدده في الحقل الصغير فيمحون ذكرنا عن وجه الأرض)).

ومارس الصليبيون سياسة استعمارية استيطانية تهدف إلى تفريغ الأرض الفلسطينية من سكانها سواء باالمذابح والمجازر، أو بطرد السكان من بلادهم، وإنشاء العديد من المستوطنات الصليبية، وإحلال جماعات من الغرب الأوربي محلهم للاستيلاء على مصادر الثروة والانتاج، وعلى الرغم من كل حالات الضعف، وأسباب الهزيمة التي لحقت بالأمة الإسلامية فإن المقاومة الإسلامية والشعبية التي تألفت من جماهير الأرض المقدسة وغيرهم من المجاهدين سواء كانوا من القادة والفقهاء والعلماء، والعامة، والبدو، قد استعملوا مختلف أساليب المقاومة ضد الوجود الصليبي ومستوطناته وقلاعه في فلسطين، وقد زودتنا المصادر بصور من هذه المقاومة، فعندما توالت أنباء قدوم القوات الفرنجية إلى فلسطين هجر عدد كبير من سكان المدن غير المحصنة مدنهم[2]، ولجأوا إلى الإقامة في بلاد آمنة تحيط بها الأسوار والقلاع، التي قد تسمح لهم بالدفاع عن أنفسهم، ومقاومة العدوان الصليبي، فقد رابطت في مدينة بيت المقدس أعداد كبيرة من المجاهدين من سكان المدن والقرى

(1) تاديبود، بطرس، تاريخ الرحلة الى بيت المقدس، ص 112.

(2) الصوري، تاريخ الحروب الصليبية، ج1، ص 416.

المجاورة، الذين لجأوا للمدينة؛ للإسهام في مقاومة الخطر الصليبي الذي بات يهددها[1]، فأشار ريموند أجيل إلى حدوث إشتباكات أولية بين طليعة الجيش الصليبي وأهالي المدينة المقدسة قتل وجرح على إثرها عدد من الصليبيين [2].

وشارك البدو العرب مع سكان بلاد الشام في المقاومة الشعبية للاحتلال الصليبي، إذ رفض البدو الواقع الجديد المتمثل بالاحتلال الصليبي لبلادهم منذ الوهلة الاولى لهذا الاحتلال، وظهر هذا الموقف الرافض في امور كثيرة ومنها:

أثناء الحصار الصليبي لبيت المقدس، شارك البدو مع سكان المدينة المقدسة وجوارها في المقاومة الشعبية، والتي تزعمها قاضي المدينة ابو القاسم مكي بن عبدالسلام [3]، والذي أدى دوراً بارزاً في القتال، وحث السكان على الجهاد في سبيل الله حتى أسر وقتل [4] وشاركوا سكان المدينة في طمر وإفساد ما يقع حول مدينة القدس من الينابيع والعيون؛ لمنع الفرنجة الصليبيين من أستعمالها والانتفاع بها، ونشر المرض في المعسكر الصليبي، فضلاً عن تدمير صهاريج واحواض مياه الأمطار،

(1) الصوري، تاريخ الحروب الصليبية، ج1، ص 416.

(2) ريموند أجيل، تاريخ الفرنجة وحجاج بيت المقدس،، ترجمة، جوزيف نسيم يوسف، دار المعرفة الجامعية (القاهرة، 2002) ص 235.

(3) مكي بن عبد السلام:وهو مكي بن عبد السلام بن الحسين بن القاسم الانصاري، مؤرخ ومن الحفاظ والرحالة، الى مصر والشام وبغداد والبصرة وواسط والموصل قدم بغداد ودرسه في المدرسة النظامية وكان مجتهداً في طلب العلم، وسمع من الكثير من العلماء في القدس ودمشق وبغداد ومكة، نبغ في علوم الفقه وكانت الفتاوي تأتيه من مصر وغيرها، ونسبه الرميلي نسبة الى قرية الرميلة من ارض فلسطين، استشهد في 12 شعبان سنة 492هـ/1099م السمعاني، ابي سعد عبد الكريم بن منصور، الأنساب، دار الكتب العلمية (بيروت، 1998م) ج3، ص 93؛ العليمي، مجير الدين عبد الرحمن بن محمد، (ت، 928هـ) الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل، تح، عدنان يونس عبد المجيد، مكتبة دنيس، (عمان، 1999م). ج1، ص298.

(4) العليمي، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، ج1، ص298.

وقاموا بإخفاء كل ما يجدونه في الكهوف لئلا يستفيد منها الصليبيون[1]. وعن طريق البدو بحكم خبرتهم بالصحراء، و عدم شك الصليبيين فيهم؛ لتجوالهم بأغنامهم ومواشيهم في كل الأراضي تمكن المسلمون من معرفة ما يدور في المعسكرات الصليبية للتعرف على أسرار خططهم العسكرية، وبالتالي اكتشاف الخطط والوسائل والأساليب القتالية لإحباطها وإفشال اهدافهم[2].

وفي سبيل ذلك كانوا يرسلون العيون على المعسكر الصليبي، ويشير المؤرخ بطرس توديبود[3]، إلى ان حامية بيت المقدس الفاطمية بقيادة افتخار الدولة والى المدينة المقدسة الفاطمي، قد ارسل عن طريق البدو رجل من قبيلة طيء ليتجسس على عملية بناء الفرنجة للأبراج، ولكن عندما شاهده السريان الذين كانوا يعرفون البدو، والذين تعاونوا مع الفرنجة ضد المسلمين، أبلغوا الفرنجة عنه، فقاموا بإلقاء القبض عليه، ويبدو ان الأسير المسلم البدوي رفض تماماً الإدلاء بإي معلومات عن مهمته، ولكن تعرضه لأسلوب تحقيق قاس، اضطره للاعتراف بالمهمة التي كلف بها، إذ قال: ارسلني المسلمون الى هنا لاكتشف ماهي مخترعاتكم، وبعد ان ادرك الصليبيون طبيعة المهمة التي أوكلت إليه حاكموه، وكان الحكم الصادر بحقه يقضي بوضعه في

---

(1) مجهول، اعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس تر، حسن حبشي، دار الفكر العربي(القاهرة، 1958م) ص116.

(2) عاشور، فايد حماد محمد، جهاد المسلمين في الحروب الصليبية، مؤسسة الرسالة، ط4(بيروت، 1988م) ص 179.

(3) تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس، ترجمة حسين عطية، دار المعارف الجامعية،1(الإسكندرية، 1999م) ص 317

الة حربية تسمى المقذاف [1]، وظنوا ان بأمكانهم ان يدفعوا به الى داخل بيت المقدس إلا أن ذلك كان مستحيلاً، لأنه قذف بقوة حطمت عظامه قبل ان يصل الى داخل أسوار المدينة المقدسة[2].

وهذه الرواية تبين لنا أن المسلمين كانوا يحرصون على مراقبة نشاطات الفرنجة وتحركاتهم، وسعى الفرنجة من جانبهم إلى اختراق صفوف المسلمين فقد ذكر فوشيه الشارتري: [3]، ((ان الفرنجة نجحوا في تجنيد عدد من السكان المحليين للتجسس على المسلمين ومعرفة مواطن الضعف. والقوة لدى الجانب الإسلامي.))

وأدّى البدو دوراً مهماً في المقاومة والدفاع عن بيت المقدس عن طريق استعمالهم كعيون لجمع المعلومات عن الفرنجة والقدرات العسكرية لهم، وأعدادهم، وآلات الحصار الجديدة التي يستعملونها أو يقومون بإعدادها، مما دعا المسلمين إلى اتخاذ التدابير الدفاعية والعسكرية لمواجهة هذه الألات، فيشير توديبود، إلى إجراءات غريبة اتخذها أهالي المدينة لتقوية الدفاعات من دون ان يحددها، فأشار إلى ان المسلمين ((نقلوا على الفور جميع تفاصيل ماراقبوه. . . وكافحوا في سبيل محاكاة أعمال المسيحيين))[4].

---

(1) المقذاف: هو اله حربيه مصنوعة من الخشب على شكل مثلث متساوي الساقين، ويبطن بخشب السنديان لتركيب خنزيرة السهم ؛الطرسوسي، مرضي بن علي بن مرضي، (ت، 589هـ)، تبصرة أرباب الألباب، تحقيق كلود كاهن، دار صادر، (بيروت، 1998م)، ص17.

(2) بطرس توتيبود، تاريخ الرحلة الى بيت المقدس،ص318

(3) تاريخ الحملة الى القدس، ترجمة، زياد العسلي، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان (الاردن، د. ت). ص 317.

(4) توديبود، بطرس، تاريخ الرحلة الى بيت المقدس، ص 316.

وأسهم البدو مساهمة كبيرة في قتل وخطف العديد من فرسان وجنود الصليبيين باختراق الحصار المضروب حول المدينة المقدسة مدة خمسة أسابيع التي حاصر فيها الفرنجة بيت المقدس، فقد اخترق البدو كغيرهم من المسلمين في مجموعات منظمة الحصار والدخول منه لبعض نواحي المدينة المقدسة التي لم يكن فيها حصار الفرنجة محكماً للقيام بعمليات خطف خلف خطوط الفرنجة بمهاجمة فرسانهم، وجنودهم الذين اعتادوا على التجول في المناطق الريفية المجاورة للمدينة بحثاً عن الطعام، والاعلاف الضرورية لخيولهم ودوابهم، وكثيراً ما كانت هذه المجموعات العسكرية المتسللة خلف خطوط العدو تنجح في تحقيق اهدافها، وتقوم بعمليات عسكرية ضد الفرنجة والتي يسفر عنها قتل وجرح العديد من الفرسان الفرنجة وجنودهم، ومن كان يهرب فإن الحظ كان يحالفه بالنجاة من الوقوع في أسر المسلمين [1].

ونجح بعض البدو في اختراق الحصار الفرنجي بالنواحي التي لم تكن محاصرة، وكانوا ينضمون إلى المدافعين عن المدينة ضد الفرنجة، ومثل هذه الأعمال كانت تسهم في تعزيز صمود المدافعين عن المدينة ضد الفرنجة [2]، وقد وصف وليم الصوري [3]، مقاومة المسلمين للقوات الفرنجية الغازية أثناء محاولتهم لأقتحام مدينة بيت المقدس في الثالث عشر من يوليو(493هـ/ 1099م) فقال:)) هكذا كانت مهمة المدافعين شاقة بالقدر نفسه، واكثر ارهاقاً لدى محاولتهم وقف القوات المحاصرة فقد استمروا في إبداء ضروب المقاومة الشجاعة ضد الجهود العنيفة والجبارة التي بذلها المهاجمون)).

(1) ريموند اجيل، تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس، ص 283 ؛وليم الصوري، تاريخ الحروب الصليبية، ج1، ص 420.

(2) الصوري، وليم، تاريخ الحروب الصليبية، ج1، ص 407.

(3)، تاريخ الحروب الصليبية، ج1، ص 408.

وكانت أخطر مقاومة للبدو ضد الصليبيين هي تلك الهجمات التـي كانـت تشـن ضد الحجاج[1] وحقيقة ان السفن الاوربية كانت تجلـب الكثـير مـن الحجـاج الاوربيـين المسيحيين الذين تدفقوا الى بيت المقدس بكثرة بعد تأسيس المملكة الصليبية ولاسيما في عهـد الملـك بلـدوين الأول(487- 512هــ/1058- 1118م) إلا أن هـذه السـفن كانـت تتعرض لهجمات الاساطيل الاسـلامية التـي كانـت متمركـزة في شـمال افريقيـة ومصر [2] وذلك بمهاجمة الطرق والقوافل التي كانوا يسـلكونها إلى المدينـة المقدسـة، ففـي خـلال المدة من (495-500هـ/1102-1107م) كثرت تلك الهجمات، التي دلت على أنهـا كانـت من صنع البـدو الـذين كـانوا يقطنـون في تلـك المنـاطق، فكانـت تلـك الهجـمات تأخـذ شكل حرب العصابات، واعتمدت على أسلوب الكر والفر والمباغتة والعـودة بسرعـة الى

(1) طرق الحجاج: كان المسيحيون يحجون الى الاراضي المقدسة والى طريق الانبياء في بدء الامـر ثـم مـا لبث الحجاج، ان تحولوا الى الضريح المقدس الذي صار محـور لحركـة الحـج المسـيحي المسـلح، اذ يعدّ وسيلة من وسائل الغزو الصليبي مستغلين الحج الى بيت المقدس اذ كانـت الفكـرة الحاسـمة في كليرمونت سنة(488هـ/ 1095م) وهي عسكرت الحج واضفاء طابع القداسة وكـان الصـليبي في الحقيقة حاجاً من طراز خاص وكان الحاج يتمتع بامتياز حمل السلاح وانة كـان اعـلى مـن الحـاج المسلم وكانت الادوات التي يحملونها الحجاج المسيحيين تحظى بمباركة الكنيسة فقد كان السـيف الذي يحملة الصليبي مباركاً من الكنيسة، وان فكرة الحج قد دخلت على ذلك بمثابـة امـر جـانبي الا ان العكس يبدو صحيحاً ويتناسب مع منطـق الامـور فمـن السـهل تسـليح موكـب الحـج، وان تكون له اهداف تتفق مع الاشكال القديمة وان التحول من الحج المسلح الى المقاتل لأجل العقيدة في الحملة الصليبية لم يتم على مايبدو الا في الحملـة الصـليبية وفي الجـيش ذاتـه، وعنـدما انطلـق المرء في عام 1096م، فإنه فعل ذلك بحسب تقاليد الحج الى البيت المقدس، قاسم، ماهية الحروب الصليبية، ص23؛ماير، هانس ابرهارد، تاريخ الحروب الصليبية، تر، عماد الدين غانم، ص77.

(2) قاسم، ماهية الحروب الصليبية، ص 132.

المخابئ والجبال [1]، وقد تجاوز عدد الحجاج وزاد على مائتي الف في السنوات العديدة، وينبغي ان يتخيل هذا العدد وتأثيره على الحاج في العصور الوسطى وكانت الناس تحج بمختلف الطبقات ولم يكن الحج تقليداً خاصاً بشخصية اجتماعية معينة[2] وتلك الصفات ـ كما هو معروف ـ هي من صفات البدو.

ولحسن الحظ كشفت لنا المصادر الإسلامية عن هوية الأهالي الذين كانوا يسكنون تلك المناطق وكانوا يكمنون للصليبيين فيها من جنوب بلاد الشام، وذكرتهم بأنهم بنو ثعلبة وبنو جرم الذين يعدون من قبيلة طيء العربية، وجرم غير قضاعة الذين كانوا ينزلون ((ببلاد غزة والداروم موضع قريب من غزة))[3] مما يعني أن هؤلاء البدو هم الذين شنوا الغارات على الصليبيين، وأسهموا في خلخلة الأمن الصليبي مدة طويلة من الزمن فعندما حاصر الصليبيون مدينة حيفا سنة(493هـ/1100م)، شارك البدو في محاولة تفكيك الحصار حول المدينة، في الوقت الذي استبسل أهلها في الدفاع عنها بعد أن أمدهم بنو قضاعة بالأسلحة والمؤن، وقام اليهود من سكانها بدور كبير، فقد زودهم البدو بالسلاح ؛للإسهام في الدفاع عن المدينة المحاصرة من البر والبحر[4]، وقد قاوم سكان المدينة مقاومة مستميتة، وافشلوا أكثر من هجوم قام به الفرنجة من أجل أقتحام المدينة،، ولما رأوا شدة الحصار، وأن سقوط المدينة أصبح

---

(1) سايولف، رحلة الحاج سايولف لبيت المقدس والأرض المقدسة (1102-1103) ترجمة سعيد البيشاوي، دار الشروق، ط1(عمان، 1997م)، ص23؛الشامي العلاقات بين الشرق والغرب، ص91.

(2)Zuraikat. malek. gamal. The anti-crusade voice of Chaucer s Canterbury tales. a thesis submitted in partial fulfillment of the requirements for the degree of doctor of philosophy in English. university of(Arkansas. 2015) p:22.

(3) المقريزي، البيان والأعراب عما بارض مصر من الأعراب، ص 7.

(4) الشارتري، تاريخ الحملة الى القدس، ص 130.

أمراً لا محالة له ولا مهرب، قاموا بقتل نسائهم وأطفالهم؛ ليكن ذلك حافزا أكبر في دفاعهم عن المدينة، ولئلا يتم أسرهم وسبيهم، ومن ثم قتلهم، فخرج سكان المدينة وقاتلوا عن أخرهم، ودخل الفرنج المدينة ((فوجدوهم قد قتلوا أولادهم ونساءهم))[1].

ومن صور مشاركة البدو في مقاومة الحملة الصليبية الاولى ما أبدوه مع سكان عكا من تعاون لمقاومة محاولة الفرنجة السيطرة عليها سنة (496هـ/1103م) اذ شاركوا في تزويد أهلها بالأسلحة والمؤن والمياه، وشارك بعضهم في قتال الفرنجة بعد ان نصبوا المناجيق والأبراج حول المدينة، وقاتلوا أشد القتال، ودمروا مناجيقهم، وأحرقوا أبراجهم، فاضطروا الفرنجة إلى فك الحصار، والعودة إلى مدينة يافا بعد أن دمروا محاصيل الكروم وبساتين أهل المدينة [2]، وفي سنة (497هـ/1104م) عاد الملك بلدوين الأول لمهاجمتها، فأستولى عليها بعد أن عجز السكان والبدو من حولها في الدفاع عنها اذ منع وصول أي مساعدة أو معونة لهم من الخلافة الفاطمية أو العباسية [3].

وقد أضطرت المقاومة الشعبية التي كان البدو في كل بلاد الشام طرفاً فيها، بأساليبها المتنوعة والمتباينة في مواجهة السياسات الصليبية الاستيطانية دفعت بأعداد كبيرة من الفرنجة الصليبيين لمغادرة الأراضي المقدسة، إلى الغرب الأوربي، بعدما رأوا ان أفراد المقاومة الشعبية بدواً وحضراً لم يتركوا لهم مجالاً للهدوء او الإحساس بالأمن والاستقرار في الأراضي الشامية، وقد عبر وليم الصوري [4]، عن

---

(1) ابن شداد، عز الدين محمد بن علي بن ابراهيم (ت، 684هـ) الاعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، تح، سامي الدهان، المعهد الفرنسي للدراسات العربية، (دمشق، 1962م) ص92.

(2) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج9، ص 72.

(3) ابن القلانسي، حمزة بن علي بن محمد (ت555هـ) تاريخ دمشق، تح، سهيل زكار، دار احسان للطباعة والنشر(دمشق، 1403هـ)، ص 144.

(4) الحروب الصليبية، ج1، ص 472.

الوضع الامني المتدهور في مدينة القدس إذ قال: ((فنادراً ما كان هناك متسع يستطيع المرء ان يرتاح فيه بأمان حتى داخل أسوار المدينة، وفي المنازل ذاتها. . . كما ان حالة الأسوار المخربة تركت المدينة معرضة للعدو. . . فقد اقتحموا المدن وبطشوا بالكثيرين في عقر منازلهم))، ويبدو ان هذه العمليات قد أحدثت رعباً بين المستوطنين الفرنجة، مما دفع بعضهم للعودة إلى بلدانهم التي قدموا منها.

وكانت أخطر مقاومة للبدو نصب الكمائن على طرق الحجاج والمسافرين الصليبيين، فقد أشار الرحالة الأوربيون الذين زاروا فلسطين في بداية الاستيطان الصليبي، على المقاومة الشعبية، ونصب الكمائن؛ لضرب خطوط الاتصال التي تربط الفرنجة الصليبيين في فلسطين بالظهير الأوربي، وإنزال الخسائر الفادحة بالعدو، فيذكر الحاج سايولف ويعد اول حاج غربي الى القدس بعد احتلال الصليبيين لها الذي زار فلسطين سنة(496- 497هـ/1102-1103م) ان الطريق من يافا إلى بيت المقدس ؛والذي كان على القادمين من الغرب الأوربي ان يقطعوه في يومين، كان من الخطورة المكان، بسبب كمائن البدو الكثيرة والذين كانوا يتخذون من الكهوف والمغاور الجبلية، كمائن لمراقبة الطريق ليلاً ونهاراً حتى تسنح لهم الفرصة لمهاجمة مجموعات المهاجرين الجدد والمسافرين والحجاج، او الهجوم على أولئك الذين يتخفون وراء جماعتهم بسبب التعب والإرهاق، واعتمدت تلك العمليات على ما يشبه أسلوب ((حرب العصابات)) فقد اعتمدت المصادمات بين الجانبين على أسلوب الكر والفر والمباغتة؛ لإنزال أكبر قدر من الخسائر في صفوف الصليبيين [1].

ثم يقول: ((ونتيجة لغارات البدو المفاجاة والمتكررة فإنك ترى كثيراً من الجثث مبعثرة على طول الطريق، بعد أن فرقتها الحيوانات المفترسة))[2] ويمكن للبعض -

---

(1) رحلة الحاج سايولف لبيت المقدس والأرض المقدسة، ص 23.

(2) رحلة الحاج سايولف لبيت المقدس والأرض المقدسة، ص24.

بحسب قـول سـايولف- أن ينـدهش، لأن الجثـث المسـيحية الصـليبية ملقـاة هنـاك غـير مدفونة، قال سايولف [1]((ولكن لا يجب أن يندهش المـرء لان الأرض نفسـها غـير صـالحة لكونها ذات طبيعة صخرية وعرة لا تصـلح لأعـمال الـدفن، فضـلاً عـن أن عنـف المقاومـة دفعت الصليبيين إلى تجنب دفن قتلاهم خوفا من أن يغتنم المسلمون الفرصـة ويفتكـون بهم)).

ووذكرفوشيه الشارتري [2] في حوادث سنة(501هـ/1107م) ((إن البدو ومعهـم رجـال من الفلاحين والعامة نصبوا الكمائن على سفوح الجبـال الواقعـة عـلى طريـق القـدس يافـا، بهدف القضاء على جماعة من الفرنجة بعد أن وصلتهم معلومات تفيد بعزمهم الانتقال من يافا إلى القدس))، اذ أدرك سكان الأراضي المقدسـة بـدوا وحضرا منـذ البدايـة أبعـاد سياسـة الفرنجة الرامية إلى تفريغ الأرض المقدسة من أصحابها الشرعيين، بالاقتلاع والتهجـير الـقسري الذي يتيح لهم سلب ثرواتها الزراعية، والتجارية، والصناعية، وجلـب مهـاجرين جـدد إليهـا، فواجه الأهالي سياسة الفرنجـة هـذه بمقاومـة عنيفـة عـبر الممـرات، والطـرق التـي يسـلكها المهاجرون والحجاج والمسافرون والمستوطنون الصليبيون، فواصلوا عملياتهم العسكرية ضـد الاحتلال الفرنجي ومستوطنيه، ومهاجريه الجدد، فيذكر دانيـال [3] الـذي زار فلسـطين فـيما بـين سـنتي(499-500هــ/1106-1107م) عـدة صـورمن تلـك المقاومـة البدويـة مسـتغلين الظواهر التضاريسـية الطبيعيـة، فيـذكر أنـه وعـلى الـتلال المكسـوة بالأعشـاب قـرب بـرك

(1) رحلة الحاج سايولف لبيت المقدس والأرض المقدسة، ص 25- 25.
(2) تاريخ الحملة الى القدس، ص 142.
(3) دانيال الراهب، رحلة الحاج الروسي دانيال الراهب في الديار المقدسة، 1106-1107م، ترجمة سعيد البيشاوي وداود ابو هدية ط1 (عمان، 1992م) ص 77-82.

سليمان[1]، كان يكمن البدو من عرب عسقلان ومعهم طعامهم وشرابهم، وغيرهم من سكان المناطق المجاورة، بانتظار المسافرين والمهاجرين الجدد من بيت لحم إلى الخليل، فقد كانت الجبال جنوبي شرقي بيت لحم تكتظ بالبدو ومعهم رجال المقاومة من العامة حتى كان على الراهب دانيال وصحبه السفر بحماية رجل من المسلمين له مكانة عالية ((فبدون مساعدته لم يكن ليتسنى لنا عبور تلك الاماكن بسبب هجمات قطاع الطرق في الجبال))، ويعني بهم البدو.

ويذكر دانيال [2] أيضاً أنه تمكن من زيارة المنطقة الصحراوية الواقعة قرب البحر الميت بالقرب من أحد الجداول المنحدرة جنوب بيت لحم، إلا أن لم يتمكن من الاستمرار في رحلته من سيجور [3]، على سيدوم[4]؛ لتخوفه من كمائن البدو على طول الطريق، او التعرض لأي مكروه، بعد ان حذره المسيحيون السريان من المواصلة، فأضطر للعودة الى مدينة الخليل [5].

(1) برك سليمان: تقع في وادي ضيق على الجنوب الغربي من بيت لحم، وعلى بعد نحو 4كم عنها بجانب الكليو 13 على طريق القدس الخليل، وهي تقع على خط واحد يفصل الواحدة عن اختها 50مترا، بنيت لكي يجمع فيها الماء ويرسل في قناة غلي القدس ؛الدباغ؛مصطفى مراد، بلادنا فلسطين، ج8، ص 449.

(2) رحلة الحاج الروسي دانيال الراهب في الديار المقدسة، ص 83.

(3) سيجور: ورد ذكرها مع النبي لوط (عليه السلام)، تقع في غور الصافي على شاطئ البحر الميت الجنوبي الشرقي بالقرب من مصب وادي الحسا في الموقع المعروف باسم الشيخ عيسي، لم يلحق بها الدمار الذي نزل على قوم لوط، لان أهلها لم يكونوا يفعلون الفاحشة، المقدسي، أحسن التقاسيم في، ص 151؛ الدباغ، بلادنا، ج6، ص 109.

(4) سيدوم: وتعني إحراق، وهي المدينة الرئيسية الخامسة التي دمرت أيام سيدنا لوط عليه السلام لفساد أهلها، تقع جنوب البحر الميت، اختارها لوط سكناً له، ولم يعرف حتي الآن موقع سيدوم، ويعتقد بعض العلماء أنها تحت البحر الميت، جنوبي منطقة اللسان ؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج3، ص 200؛الدباغ، بلادنا فلسطين، ج6، ص 180.

(5) دانيال، رحلة الحاج الروسي دانيال الراهب في الديار المقدسة، ص 84.

وأشار دانيال [1] ايضاً على أن البدو قاموا بعمليات نظامية عنيفة في منطقة الجليل ضد الصليبيين، والقادمين الجدد، إذ تعرض المسافرون على طريق بيت المقدس الأردن لعمليات اختطاف وقتل وسلب، وهو الطريق الذي يمر فوق جبل الزيتون [2]، على الجانب الشرقي لمدينة القدس اذ تتواصل هجمات قطاع الطرق - كما سمتهم المصادر الأوربية - في هذه الجبال الوعرة، والممرات المخيفة، فلم يكن باستطاعة احد من المسيحيين المرور من بيت المقدس إلى بحيرة طبرية من دون حماية مسلحة [3]

وحول بيسان كانت القبائل البدوية من طيء وقضاعة يهاجمون المسافرين عند خوضهم المخاضات والجدوال ((حيث كان يقطن عدد كبير من البدو المسلمين الأقوياء الذين يستغلون مخاضات الأنهار لمهاجمة المسافرين))[4].

وتعرض المسافرون على طريق جبل طابور-الناصرة[5]، لهجمات المقاومة البدوية، أذ الطريق متعب ضيق، وخطر لوجود المسلمين الخطرين، الذين تنتشر قراهم فوق الجبال، والسهول، إذ إنهم يندفعون من بيوتهم، ومكامنهم وخيامهم التي

(1) رحلة الحاج الروسي دانيال الراهب في الديار المقدسة، ص 92.

(2) جبل الزيتون:اشتهر بهذا الاسم؛ لكثرة اشجار الزيتون التي تغطي أجزاءه، وهو يقع بالقرب من المدينة المقدسة، وعلى الشرق منها، ويفصله عنها وادي شعفاط، وقد أطلق عليه الفرنجة أسم جبل الأنوار، ويعرف أيضاً بأسم جبل الطور، وذكره العرب بأسم طور، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج4، ص 48؛ بورشارد وصف الأراضي المقدسة، ترجمة سعيد البشاوي ط1، دار الشروق، (عمان، 1995م)، ص 148؛الدباغ، بلادنا فلسطين، ج8، ص 15.

(3) دانيال، رحلة الحاج الروسي دانيال الراهب في الديار المقدسة، ص 92.

(4) دانيال، رحلة الحاج الروسي دانيال الراهب في الديار المقدسة، ص 93

(5) الناصرة: وهي قرية في بلاد الشام بينها وبين طبرية ثلاثة عشر ميلا، منها اشتق اسم النصارى لأنهم يزعمون ان المسيح سكنها فنسب إليها، ابن عبد الحق، مراصد الاطلاع، ج3، ص1348.

نصبوها فوق الجبال وفي الاعشاب وعلى مفارق الطرق، ويذبحون المسافرين على تلك المرتفعات الفظيعة، انه من الخطر أن تعبر تلك المنطقة من دون حراسة جيدة[1].

وقد عبر وليم الصوري، عن عنف مقاومة البدو وغيرهم من أفراد المقاومة الشعبية والنظامية، وتدهور الأوضاع الأمنية في المملكة الصليبية بعدم قدرة المستوطنين الفرنجة، وسكان المملكة على الانتقال من مدينة إلى أخرى، وطالب سكان المملكة بضرورة أخذ الحيطة والحذر الشديد أثناء السير في الطرق العامة [2].

وليس من شك ان هجمات البدو والمقاومة الإسلامية النظامية وغير النظامية منها والشعبية وسيما غارات البدو كانت موجعة ومؤثرة، ويتجلى ذلك في الخسائر المادية والبشرية التي تكبدها المستوطنون الفرنجة مدنيين كانوا أو عسكريين، علماً أن الصليبيين كانوا يحرصون دائماً على المحافظة على العنصر البشري، اذ كانوا يدركون ان تعويض العنصر البشري هو من أصعب القضايا والمشاكل التي واجهت قادتهم مع بداية فرض وجودهم في الاراضي الشامية، وقد عبر وليم الصوري عن ذلك فقال [3] ((. . . وقطن المسلمون الكفرة والذين كانوا من أقسى الاعداء لشعبنا في سائر المناطق المحيطة بممتلكات المسيحيين، وكان هؤلاء المسلمون اكثر خطورة لانهم كانوا قريبين جدا، ولانه لا يمكن لوباء أن يضر الإنسان بشكل فعال أكثر من العدو الجاثم على بابه)).

ولأجل القضاء على جيوب المقاومة العربية الإسلامية التي شارك فيها المسلون جميعاً، (وفي 16صفر سنة 494هـ/15تشرين الاول 1101م) قام الملك بلدوين بقيادة حملة لغزو جنوب فلسطين، فتوجه اولاً إلى الجهات الغربية من اقليم الخليل حيث

---

(1) دانيال، رحلة الحاج الروسي دانيال الراهب في الديار المقدسة، ص101.

(2) الحروب الصليبية، ج1، ص 471.

(3) الحروب الصليبيةج1، ص 471

بيت جبرين[1] وتل صافية ويبنـه، وبعـد ان اطـمأن لغـزوه في تلـك الجهـات القريبـة مـن عسقلان، توجه بحملته نحو الشرق، وأقدم على تدمير القرى التي مر بها، مما اجـبر أهلهـا من العرب والبدو على هجرها إلى الكهوف، والجبال؛ بسبب الأرهاب الصـليبي، [2]ويـفسر فوشيه الشارتري [3] ان أحد أسباب قيام الملك بلـدوين الأول بهـذه الحملـة، هـو اسـتمرار المقاومة المسلحة من قبل المسـلمين المقيمـين عـلى طـول الطـرق، اذ كـان البـدو ينصـبون كمائنهم في المناطق الممتدة بين الرملة والقدس.

كما يكشف فوشيه الشارتري [4]أيضاً من بروايته عـن دور السريـان في انهـم اعطـوا الجيش الصليبي المعلومات اللازمة عن المسلمين؛ لمعـرفتهم السـابقة بـالبلاد، واهلهـا مـما سهل المهمة على الجيش الصليبي، فتتبعوا العرب البدو في مخابئهم، وقتلوا منهم مايقارب المئة رجل، وبناء على هذه المعلومات تقرر مواصلة الزحف نحو منطقة البحر الميت.

وواصل الملك بلدوين هجومـه عـلى المنـاطق الواقعـة غـربي وجنـوبي البحـر الميـت ، إذ اجتاز الجبال الواقعة غربي الخليـل فبريـة الخليـل[5]، وصـولا الى شـاطئ البحـر الميـت

(1)بيت جبرين: يقع بين بيت المقدس وغزّة، وبينه وبـين القـدس مرحلتـان، وبـين غـزّة أقـلّ مـن ذلـك، وكانت فيه قلعة حصينة خرّبهـا صـلاح الـدين لمـا اسـتنقذ بيـت المقـدس مـن الصـليبيين، يـاقوت الحموي، معجم البلدان،ص519.

(2) الشارتري، تاريخ الحملة الى القدس، ص 109

(3) تاريخ الحملة الى القدس، ص 110

(4) تاريخ الحملة الى القدس، ص 112.

(5) برية الخليل: وتتمثـل في المرتفعـات الشرقيـة مـن جبـال الخليـل حتـى البحـر الميـت، ويبلـغ أقصى ارتفاعها نحو 600م ؛الدباغ، بلادنا فلسطين، ج5، ص 20.

من جهة الغرب اذ تقع قرية عين جدي[1]، اذ حصل الصليبيون على ما يلزمهم من مؤن [2]، ثم توجه إلى جنوبي البحر الميت حيث قرية صغر [3] التي هجرها سكانها عندما علموا باجتياح القوات الصليبية لمنطقة وادي عربة [4]، ومن هناك تحرك الجيش الصليبي بعد قليل من الراحة على مناطق شرقي الاردن نحو هضبة مؤاب، وتخللوا شعابها وصعدوا خلالها، ولم يجدوا بها شيئاً يسلب إذ كان أهالي القرى قد لجأوا إلى الكهوف بمتاعهم وماشيتهم للاحتماء بها [5]، ثم توجه الجيش الصليبي إلى وادي موسى [6]، الغني بالثروات الزراعية والرعوية، التي كانت تقطن فيها عدة من قبائل البدو، والذين قاوموا الملك بلدوين بجيشه ثلاثة أيام كاملة، بعدها تم نهب وسلب المنطقة [7]

(1) عين جدي: وهي عين وبلدة معاً على الساحل الغربي للبحر الميت، وكانت تقوم على ارضها حصون تامارا الكنعانية، وتنخفض عن سطح البحر بنحو 370م، وتقع على بعد خمسة وثلاثون ميلاً إلى الجنوب الشرقي من بيت المقدس، بورشارد، وصف، ص 122؛ الدباغ، بلادنا فلسطين، ج8، ص 522.

(2) الشارتري، تاريخ الحملة الى القدس، ص 118.

(3) قرية صغر:تقع عند الطرف الجنوبي الغربي من البحر الميت بالقرب من مصب وادي الحسي، في منطقة تشتهر بالخصب، وقد جعلها المقدسي قصبة لكورة الشراة، وهي من بقية مدن لوط (عليه السلام)، وكان لها أهمية كبيرة لوقوعها على طريق أيلة القدس المارة بالخليل ؛المقدسي، أحسن التقاسيم، ص 136؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج3، ص 411؛الدباغ، بلادنا فلسطين، ج4، ص 119.

(4) وادي عربة:يعرف بغور الصافي، ويمتد من الطرف الجنوبي للبحر الميت على إيلة، ويبلغ طوله مايقارب الـ 112ميل وعرضه من 4إلي 14 ميلا ؛الدباغ، بلادنا فلسطين، ج7، ص 106.

(5) الشارتري، تاريخ الحملة الى القدس، ص 336.

(6) وادي موسي:يقع في جنوب القدس بين المدينة المقدسة وبلاد الحجاز، ينشأ من الجبال الواقعة غربي معان، ويصب في وادي عربة، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج3، ص 236.

(7) الشارتري، تاريخ الحملة الى القدس، ص 110.

ويتضح مما سبق أن الملك بلدوين الأول، وبحملته على جنوب فلسطين، التي استمرت نحو أربعين يوماً هدف من ورائها توسيع الاستيطان وحدود مملكته، وتأمين الوجود الصليبي بالقضاء على مقاومة البدو وغيرهم، ويبدو بكتب الرحالة الاوربيين الذين زاروا فلسطين بعد هذه الحملة، أنه فشل في القضاء على المقاومة، أذ أستمرت المقاومة تضرب بكل قوة الصليبيين في كل مكان من فلسطين[1].

وفي شوال سنة (496هـ/1103م) وعند وادي فلاح [2]، اذ تكثر الأشجار مكونة ما يشبه الغابات، والتي كان البدو يحفظون غاباتها وطرقها ومخابئها وكهوفها، استطاعوا ان يكمنوا للملك بلدوين ملك بيت المقدس، مع أفراد من المقاومين الأخرين، وقد أصيب الملك إصابة خطيرة كادت تودي بحياته [3]، ولعل هذه الحادثة توضح لنا أن المجموعات البدوية كانت توجه سلاحها وجهودها لمحاربة الجنود والفرسان الصليبيين، وليس لمحاربة الحجاج الغربيين الذين كانوا يوفدون إلى الأراضي المقدسة لأجل الزيارة[4].

وقد أثار تدفق اللاجئين على المناطق والمدن الإسلامية في أعقاب الغزو الصليبي، مشاعر الاستياء ضد القيادات الإسلامية في بغداد والقاهرة وغيرها، التي عبر عنها الكثير من المؤرخين المعاصرين، وصوروها لنا في العبارات الاتية ((كانت الفرنج قد اتسعت بلادهم، وكثرت أجنادهم، وعظمت هيبتهم، وزادت صولتهم، وأمتدت إلى بلاد

---

(1) دانيال، رحلة الحاج الروسي دانيال الراهب في الديار المقدسة، ص117.

(2) وادي فلاح: واد صغير تمده مياه الأمطار المتساقطة علي ناحية خربة الشلالة، وخربة الدامون، ينتهي في البحر عند ظاهر مدينة عتليت الشمالي، ويطلق عليه اليهود وادي ناحال اورن ؛الدباغ، بلادنا فلسطين، ج7، ص 463.

(3) الصوري، الحروب الصليبية، ج1، ص 511.

(4) الشارتري، تاريخ الحملة الى القدس، ص 118.

المسلمين أيديهم، وضعف أهلها عن كف عاديتهم، وتتابعت غزواتهم، وساموا المسلمين سوء العذاب، وأستطار في البلاد شرهم))[1].

ويشير ابن القلانسي [2]إلى أن البدو أرسلوا إلى طغتكين[3] أتابك الموصل يطلبون منه الحماية، فارسل إليهم جيشاً قوامه ثلاثة آلاف من الفرسان، وحين وصلت هذه القوة الى منطقة وادي موسى شرعت في تشييد قلعة تطل على الوادي، وكان بدو تلك المنطقة من شرقي الأردن وهم من بني جذام [4] وهم الذين استدعوا الأتراك الدماشقة للقدوم للثورة ضد الصليبيين، ولأجل إقامة القلعة، وقدم البدو للدماشقة كل المساعدات اللازمة لبناء القلعة، لتكون قاعدة عسكرية متقدمة لحماية طريق الحجاج المسلمين، وتوجيه الضربات ضد مملكة بيت المقدس الصليبية، غير انه حينما مر الدماشقة تاركين القلعة بعد مهاجمة الصليبيين لها في رجب سنة (501هـ/اذار 1107م)، ونتيجة لمقاومة البدو العنيفة لم يجد هؤلاء البدو بداً

من الأختباء في كهوف الجبال المجاورة، وحاول الملك بلدوين الأول القضاء عليهم

(1) ابو شامة المقدسي، شهاب الدين، عبد الرحمن بن اسماعيل (ت، 656هـ) الروضتين في اخبار الدولتين النورية والصلاحية، تح، ابراهيم الزيبق، مؤسسة الرسالة (بيروت، 1997) ج1، ص36.

(2)ذيل تاريخ د مشق ص 395.

(3))طغتكين: الامير ابو منصور وهو والد تاج الملوك بوري وكان يلقب بـ (ظهير الدين) وهو احد امراء تاج الدولة وذهب مع تاج الدولة الى الري لقتال اخيه وقتل تاج الدولة ورجع الى دمشق واصبح اتابك دقاق، وعندما مات دقاق تملك طغتكين دمشق وكان شهماً ومهيباً وهو من مماليك الملك تتش بن الب ارسلان؛ الذهبي، تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والاعلام، ج11، ص378.

(4) المقريزي، البيان والأعراب عما بارض مصر من الاعراب، ص 18.

باستعمال الدخان، وتمكن أخيراً من قتل البعض، وأسر ستمئة منهم، وغـنـم كـل مـا لـديهم بعد ان قاوموه بشدة[1]

وفي سنة(506هـ/1112م) شارك العرب البدو ((الطائيين والكلابيين والخفـاجيين))[2] بمساعدة القوات الإسلامية الدمشقية بقيادة الأمير طغتكين، والموصلية بقيادة الأمير مودود بن زنكي بعد انتصارها على الصليبيين في موقعة الصنبرة[3]، لحمـل المـاء للقـوات الإسـلامية التي قررت متابعة هجومها على القوات الصليبية، التي تحصـنت في جبـل إلى الغـرب مـن طبرية، ومشاركة هؤلاء البدو في نقل الماء هو نوع من انواع المقاومة الشعبية التـي قـاموا بها، والتي كانت تقتضي مسـاعدة القـوات الإسـلامية بمـدهم بالمـاء الـلازم لـلشرب، وتلـك الأعمال هي من اعمال السكان المحليين في المنطقة، والذين كانوا على معرفة بمصادر المياه اللازمة للجند الذين يبذلون جهدً عظـيماً في الصـعود إلى الجبـل الحصـين الـذي لجـأ إليـه الصليبيون؛ ((لصعوبة مرتقاه))[4].

واستكمالاً لحملات بلـدوين، فقـد شـن حملـة جديـدة عـلى منطقـة البحـر الميـت وشرقي الأردن، سنة (509هــ/1115م) لإخضـاع القبائـل البدويـة في شرقـي الأردن بإقامـة مراكز دائمة للصليبيين في جوف بلادهم، اذ تم تأسيس إقطاعية صليبية [5] مما يؤكد حـرج الموقف الامني الصليبي في تلك المناطق.

---

(1) وليم الصوري، الحروب الصليبية، ج1، ص 513.

(2) ابن القلانسي،ذيل تاريخ دمشق، ص296.

(3) الصنبرة: وهي قرية في الاردن بينها وبين طبرية ثلاثة اميال كان معاويه ابن ابي سفيان يقضي الشـتاء فيها لانهاء شديدة البرودة. الصنبر- البرد، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج3، ص425؛ابـن شـداد، الاعلاق الخطيرة في ذكر امراء الشام والجزيرة، ص 254.

(4) ابن القلانسي، تاريخ دمشق، ص113.

(5) السيد، الخليل والحرم الابراهيمي، ص 193.

وفي 13 محرم /28 حزيران من العام نفسه كان لابد من الرد على هجمات الصليبيين وكان اللقاء عند طبرية، وانتهى بهزيمة الصليبيين بعد قتال شديد أعقبه سلسلة من الانتصارات ضدهم، اسفرت عن مقتل العديد من الفرنجة، الذين لجأ بعضهم إلى الغرب من طبرية [1].

ويذكر ابن الأثير [2] أن الفرنجة لم يتحركوا من هناك لمدة ستة وعشرين يوماً، اذ إن مجموعة من البدو ومعهم الكثير من المسلمين، عبرت الجسر، وقابلت الفرنجة غربي النهر، وفرضت حصاراً على القوات الصليبية المتحصنة فوق هضبة طبرية[3]، وفي الوقت الذي اجتاحت فيه القوات المتحالفة فلسطين كانت المملكة الصليبية من أقصاها الى أقصاها تتعرض لغارات من السلب والنهب لمدة شهرين على ايدي القوات الإسلامية وتشاركها مجموعات من أفراد البدو والعامة والفلاحين بل والفقهاء والقضاة، وبمساعدة هؤلاء البدو والأهالي داخل المناطق التي يحتلها الصليبيون، توقف الزحف الصليبي لمدة ليست بالقصيرة [4].

وقام البدو بمساعدة القوى الإسلامية المتحالفة فكانوا مرشدين لهم لمختلف القلاع والحصون والضياع الفرنجية، فضلاً عن الاشتراك معهم بقتال الفرنجة، ونقل المؤن التي ظفرت بها القوات المتحالفة من أنحاء المملكة على معسكر الجيش الإسلامي، ووصف وليم الصوري [5]، الأوضاع الأمنية في المملكة على إثر إجتياحها من قبل القوات المتحالفة قائلاً ((حولوا المملكة بأسرها إلى حالة كبيرة من الرعب)).

---

(1) الشارتري، تاريخ الحملة الى القدس، ص152.
(2) الكامل في التاريخ، ج9، ص 149.
(3) ابن القلانسي، تاريخ دمشق، ص 185.
(4) السيد، الخليل والحرم الابراهيمي، ص 199
(5) تاريخ الحروب الصليبية، ج1، ص 438.

وغالبا ما تعرضت المستوطنات الفرنجية وأرياف مملكة بيت المقدس لغارات البدو العسقلانيين بهدف ضرب الاقتصاد الصليبي، عندما كان الملك الصليبي بلدوين الاول وجيشه في الشمال، وإحداث اضطرابات سياسية ينشأ عنها اضطرابات أمنية قد تدفع بالمستوطنين إلى مغادرة فلسطين أو عدم تشجيع المهاجرين على القدوم الى بلاد الشام، والإقامة فيها، [1] فيذكر الشارتري ان المستوطن والفلاح الصليبي في سنة(519هـ/1125م)، لم تكن لديه فرصة لالتقاط أنفاسه، وأنه كان يعيش في توتر وقلق دائمين؛ بسبب دقات طبول الحرب، لدرجة أنه كان يعود على منزله محملا بالمؤن، والأغذية متسائلاً عما إذا كان يستطيع العودة إلى حقله مرة أخرى ((كما يذكر أن فلاحين كثيرين لقوا مصرعهم، أو وقعوا في أسر البدو الذين كانوا ينصبون الكمائن في كل مكان)) [2].

ورداً على المذبحة التي ارتكبتها القوات الصليبية في مدن ارسوف وقيسارية ونهب كل ما فيها [3]، واستباحتهم قيسارية سنة(494هـ/1101م) اذ وصف وليم الصوري المذبحة فقال: ((وقامت هناك مذبحة مروعة جداً لدرجة أن أقدام المهاجمين تلطخت بدماء القتلى، واثار منظر الجثث التي لاتحصى والدمار، الرعب الشديد، كما قام الصليبيون بالتمثيل بجثث ضحايهم من المسلمين، وشق بطونهم بحثاً عن الدنانير الذهبية التي قد تكون مخبئة في أحشائهم، ولم ينجُ من سكان المدينة الا عدد قليل من الرجال، أما الغالبية العظمى من النساء فقد نجون من القتل ليواجهن حياة العبودية والرق، وأبقى الصليبيون على حياة قاضي المدنية وقائد الحامية الفاطمية

---

(1) الشارتري، تاريخ الحملة الى القدس، ص 121.
(2) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص 139؛ المقريزي، الخطط، ج2، ص 161.
(3) وليم الصوري، الحروب الصليبية، ج1، ص 496

للحصول على فدية كبيرة من الفاطميين))[1]، وكان رد البدو عنيفاً وقوياً على تلك المجزرة الصليبية، إذ نصبوا الكمائن لقوات الملك بلدوين الاول وهو في طريقه إلى عكا وكبدوه خسائر كبيرة في الأرواح، وسلبوا وغنموا[2].

وفي سنة(512هـ/1118م) قصد الملك الصليبي مصر ليأخذها ودخل الفرما وقام بإحراق مساجدها إن أن ارادة اللـه كانت اقوى من ارادة الملك بلدوين الاول اذهلك قبل ان يصل العريش في سيناء عند البحيرة التي حملت أسمه ((بحيرة البردويل))[3]، أثناء محاولته احتلال مصر فقام اصحابة بشق بطنه ورموا احشائه في البحيرة [4]، وانتقاماً من الحملات التي قام بها ضد المسلمين، والمذابح التي ارتكبها، فقام البدو بمهاجمة الجيش الصليبي الذي كان يحمل نعشه عبر طريق الخليل إلى بيت المقدس ليدفن فيها [5].

ولم يستقر أمن الصليبيين على الرغم من الإجراءات التي اتخذت ضد البدو، فبعد فترة هدوء عادت المقاومة من البدو تتأجج من جديد فيما بين عام(525هـ/1129م) اذ استمرت هجمات البدو الذين اطلقت عليهم المصادر الصليبية قطاع الطرق، وكانت هذه المرة ضد الحجاج الصليبيين، الأمر الذي دعا وليم بطريرك

---

(1) الشارتري، تاريخ الحملة الحملة الى القدس، ص 115،

(2) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج9، ص 43

(3) بحيرة البردويل: وهي مكان في سبخة الرمل على طريق الشام بعد العريش الى جهة مصر منسوبة الى الملك بلدوين والناس يقلون هذا قبره وانما هي حشوة لعنة اللـه، العليمي الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل، ص309.

(4) الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، ج36، ص142؛المقريزي، الخطط، ج2، ص 134.

(5) المقريزي، اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، ج3، ص 53.

بيت المقدس الى قيادة حملة ضدهم، و قام باستكمال تشييد قلعة الملك (أرنولد)للتصدي لهم [1].

وبينما نجح الصليبيون في حماية أراضي جنوب بلاد الشام من هجمات البدو وغاراتهم، بتأسيس القلاع، قدم الخطر على المملكة الصليبية من الشمال إذ أوعز الدماشقة الأتراك إلى البدو في شرقي الأردن بمهاجمة المملكة من الناحية الشرقية، ويشهد على ذلك استعانة دمشق أكثر من مرة بقبيلة بني مرة –أكبر القبائل العربية البدوية- ولفهم موقف هؤلاء البدو من الصليبيين ومقاومتهم لهم علينا ان نرجع قليلاً بالأحداث، ونضرب لذلك مثالين: اولهما حينما أوقع هؤلاء البدو الهزيمة في صفوف جيش جوسلين الأول دي كورتناى الأول، في ربيع أول وجمادي الآخر سنة(513هـ/1119م)[2]، فقد سمع جوسلين بأن قبيلة عربية غنية- وهي من بني ربيعة- تنتجع بقطعانها المراعي في شرق الأردن، قرب نهر اليرموك، فنهض جوسلين، وبصحبته أثنين من كبار بارونات الجليل وهما الأخوان جودفري ووليم بور، ونحو مئة وعشرين فارساً؛ لنهب القبيلة، وانقسمت الجماعة الصليبية لتطويق بني مرة، غير أن الأمور لم تجر حسب ما كانوا يشتهون، إذ ان شيخ القبيلة تلقى التحذير، وضل جوسلين طريقه وسط التلال، ووقع في الكمين الذي نصبته القبيلة لجودفري وأخيه عند ركوبهما لمهاجمة المعسكر البدوي، فلقي جودفري مصرعه، ووقع معظم أتباعه في الأسر، وعاد جوسلين إلى طبرية، وارسل إلى الملك بلدوين الأول يخبره بما حدث، فأقبل

(1) السيد، الخليل والحرم الابراهيمي، ص 198.

(2) المقريزي، الخطط، ج2، ص 144.

بلدوين في جيش، وخاف البدو، فأعادوا الأسرى، ودفعوا ما طلبه من تعويض، وعندئذ أجاز لهم أن يمضوا الصيف في هذه الجهات في سلام[1].

ولم يكن أحد من المسلمين سواء من الأكراد او الاتراك او الفاطميين في هذه المعركة سوى البدو، مما يعني انهم شكلوا قوة شعبية قامت بمهاجمة ذلك الجيش الصليبي وهزيمته. أما المثال الثاني فيتمثل في استعانة دمشق بالبدو؛ لإيجاد جبهة متماسكة التي نجحت في إفشال الحصار الصليبي لدمشق في حملة عام(523هـ/1129م)[2]، وقد ذكر ابن القلانسي [3] أن الحصار فشل بعد أن((تناخى عسكر دمشق والتركمان والفلاحون والعربان على الفرنج فهزموهم، وقتل وأسر من الفرنج خلق عظيم)) وشارك العرب البدو في نهب الصليبيين والفتك بهم [4]، بعد ان كثر فسادهم في أعمال دمشق وقراها وباديتها في سنة 543هـ/1148م، وجاء ذلك بناء على طلب من حاكم دمشق معين الدين انر الذي كان يخيم في حوران بجيشه فقام بمكاتبة العرب المقيمين بالمنطقة لمساعدته. [5]

ممّا يعني ان مجموعات البدو المقاومة كانت تعمل تحت سمع وبصر السلطة الحاكمة التي أستغلت مواهب تلك المجموعات المقاومة في حرب العصابات التي لا

---

(1) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج9، ص 186؛ ابو الفداء عماد الدين إسماعيل بن علي بن محمود (ت، 732هـ/1331) المختصر في اخبار البشر، المطبعة الحسينة المصرية(القاهرة، د. ت) ج2، ص 53.

(2) ابو شامة المقدسي، الروضتين، ج1، ص 204.

(3) ذيل تاريخ دمشق، ص 304

(4) ابو شامة المقدسي، الروضتين،، ج1، ص 203.

(5) ابن القلانسي، تاريخ دمشق، ص 304.

يستطيع الجنود الفاطميين القيام بها؛لانها مـن أعـمال البـدو، وإلا لمـاذا لم يـوعز لجنـوده بمهاجمة الصليبيين ليطلق ((أيديهم في نهبهم والفتك بهم))[1].

وقد أتت تلك العمليات الفدائية التي قامت بها مجموعات المقاومة الشـعبية مـن البدو كلها، مما ألجا الصليبيون إلى طلب الصلح [2].

(1) ابو شامة المقدسي، الروضتين،، ج1، ص 204.

(2) ابن القلانسي، تاريخ دمشق، ص 304.

الفصل الثاني

إسهام البدو
في مقاومة الغزو الصليبي في العهد الزنكي
(521هـ/1127م-569هـ/1173م)

المبحث الاول: ظهور دولة الأتابكة.

المبحث الثاني: إسهام البدو في مقاومة الصليبيين في عهد عماد الدين زنكي

المبحث الثالث: اسهام البدو في تحرير إمارة الرها من الصـليبيين بقيـادة عـماد الـدين زنكي.

المبحث الرابع: إسهام البدو في مقاومة الغزو الصليبي في عهد نور الدين محمود

المبحث الاول

ظهور دولة الأتابكة

أولا: ظهور دولة الأتابكة:

كلمة اتابك تركية الاصل، مركبة من مقطعين (أتا)، بمعنى مربي، و(بك) بمعنى أمير، ومعناهما معاً الأمير المربي أو الأمير الوالد وكان لقباً يطلق على الأمراء والقادة العسكريين الذين يوكل إليهم تربية أبناء السلاطين السلاجقة ورعاية شؤونهم[1]، وتعليمهم وتدريبهم على شؤون الحكم، وفنون الحرب، وأول من تلقب بهذا اللقب الوزير نظام الملك الطوسي وزير السلاجقة الأعظم[2]، عندما فوض إليه السلطان ملكشاه بن ألب أرسلان، تدبير امور السلطنة سنة (465-485هـ/1072- 1092م)[3] وكان هذا اللقب من احسن و أرفع الألقاب في بداية التلقيب به، ثم أصبح كثير الشيوع والذيوع حتى عرفت به دول الأتابكة فيما بعد والتي أستقلت بالحكم عن السلاجقة، وكان هذا اللقب إذا منح لأمير ما يكتسب صفة الدوام، ولو انقطع صاحب

---

(1) ابن الاثير، الكامل في التاريخ،ج8،ص237.

(2) نظام الملك الطوسي: هو الحسن بن علي نظام الملك، ولد بطوس في احدى مدن خراسان، وهو اعظم وزراء السلاجقة على الإطلاق، وواحد من أكبر الوزراء في تاريخ المشرق الإسلامي، جمع بين يديه كل مهام الدولة السلجوقية في الفترة ما بين أواخر عهد جفري بك داود سنة (451هـ/1058م)، وقبل شهر من وفاة السلطان ملكشاه سنة 485هـ/1092م وهي فترة تتجاوز الثلاثين عاماً، وهو من بنى المدارس النظامية الشافعية، ابن حجر العسقلاني، احمد ابن علي بن محمد (ت، 852هـ) نزهة الالباب في الالقاب، تح، عبد العزيز محمد صالح السديري، مكتبة الراشد، (الرياض، 1989م)، ج2، ص221؛ الزركلي، خير الدين محمود، الاعلام، دار العلم للملايين(د م،2002م)، ط15، ج2، ص202

(3) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج10، ص180.

اللقب عن القيام بوظيفته، ولم تكن الالقاب مقصورة على ذوي الوظائف في الدولة فقد نعت بعض ذوي النفوذ قبل ان يصلوا الى وظائفهم[1].

ويرجع السبب في ظهور الأتابكيات إلى وجود بعض الأمراء صغار السن من السلاجقة وهم بركياروق وسنجر ومحمد اولاد السلطان ملكشاه السلجوقي الذين أسندت إليهم إمارة بعض الإمارات السلجوقية، وكان من الطبيعي أن يكون لكل أمير أتابكاً يرعى شؤونه لأنهم كانوا بمثابة الأوصياء او المشرفين على مصالح هؤلاء الأمراء، وانتهز هؤلاء الأتابكة فرصة ضعف الدولة السلجوقية وتفككها بعد وفاة السلطان ملكشاه سنة(485هـ/1092م) [2]، واستبدوا بحكم هذه الدويلات، وكونوا لأنفسهم جيوشاً لحماية أتابكياتهم[3]واستعانوا بالقبائل العربية والبدوية في كل من: الموصل، وحلب، ودمشق وغيرها [4]، فلما أخذت هذه الأتابكيات صفة الدوام، استقلوا بها، فتكونت أتابكيات كثيرة من أواخر القرن الخامس للهجرة وفي القرن السادس للهجرة / الحادي عشر للميلاد والثاني عشر للميلاد وقد ترتب على ظهور الأتابكيات أنه أصبح عاملاً من العوامل التي أدت إلى نهاية الدولة السلجوقية[5].

---

(1) الباشا، حسن، الألقاب الإسلامية، دار الأنجلو المصرية (القاهرة، 1966م) ص76

(2) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص483.

(3) الشامي، العلاقات بين الشرق والغرب، ص 56

(4) ابن الأثير، التاريخ الباهر في الدولة الأتابكيه، ص 124.

(5) أبو النصر، محمد عبد العظيم يوسف، السلاجقة تاريخهم السياسي والعسكري، ط1، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية (القاهرة، 2001م) ص111.

ومن أهم هذه الأتابكيات، أتابكية دمشق، التي تنسب إلى ظهير الدين طغتكين الذي كان أحد قادة الجيش السلجوقي، ومملوك السلطان تتش[1]، وبعد وفاة دقاق[2] سنة(497هـ/1104م) استدعى طغتكين ارتاش بن تتش من بعلبك وكان في الثاني عشرة من عمره وعهد اليه بأتابكية دمشق والوصاية على الأمير تتش بن دقاق -الطفل- وقد دامت أتابكية دمشق تحت نفوذ طغتكين حتى سنة (549هـ/1154م)، عندما استولى عليها نور الدين محمود بن زنكي[3] من صاحبها مجير الدين محمد بن بوري[4] بن طغتكين[5] وأتابكيه الموصل وتنتسب الى عماد الدين زنكي[6] بن أقسنقر، والتي اسندت

---

(1) السلطان تتش: وهو محمد بن داود بن مكائيل ابو سعيد الملقب بـ(تاج الدولة) كان مقيماً بالشرق وهو الذي قام بقتل اتسز الخوارزمي صاحب الشام واستولى على دمشق؛ ابن الجوزي، مرآة الزمان في تواريخ الاعيان، ج19، ص467

(2) دقاق: وهو شمس الملوك ابو نصر بن تتش بن الب ارسلان حكم دمشق بعد مقتل ابيه تاج الدولة تتش؛ الذهبي، تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والاعلام، ج34، ص256.

(3) نور الدين محمود: هو ابن القائد الشهيد عماد الدين زنكي، صاحب الشام الملك العادل وكان يلقب بعدة القاب منها: ناصر امير المؤمنين، وتقي الملوك، وليث الاسلام، ابو القاسم محمود،الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج20، ص531

(4) مجير الدين: هو محمد بن تاج الملوك بوري بن طغتكين الملك جمال الدين ابو المظفر صاحب دمشق اعطاه ابوه بعلبك. فأقام بها مدة الى ان دبر له اخيه الملك شهاب الدين محمود بن بوري من قتله ثم قدم من بعلبك، وتسلم حكم دمشق؛ الذهبي، تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والاعلام، ج11، ص616.

(5) ابن الجوزي، ابو الفرج عبد الرحمن بن على (ت، 597هـ) المنتظم في تاريخ الملوك والامم، تح، محمد عبد القادر عطا، ومصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية (بيروت، 1992م) ج8، ص 55 ؛ ابن الأثير، التاريخ الباهر في الدولة الاتابكية، ص 128؛ سهيل زكار الموسوعة الشاملة، ج3، ص267.

(6) عماد الدين زنكي: الملك المنصور ابو غازي ومودود ومحمود بن قسيم الدولة الحاجب اق سنقر الملك الشهيد وان والده اول ملوك الدولة الاتابكية في الموصل وكان تركياً من اصحاب ملكشاه بن الب ارسلان، ابن خلكان، وفيات الاعيان وانبا ابناء الزمان،ج2،ص327؛ الزركلي، الاعلام، ج3، ص50.

إليه في رمضان سنة (521هـ-1127م)[1]، وضمت إليـه الجزيـرة الفراتيـة، ونصـيبين [2]، وما لبث عماد الدين زنكي أن وسع ملكه، فضـم إليـه سـنجار[3] والخـابور[4]، وحـران[5]، وكانت الرها وسروج [6] ومدن أخرى من ديار الجزيـرة في يـد الصـليبيين الـذين سـاموا أهل هذه المدن الكثير من العـذاب، فلـما سـمعوا بقـدوم عـماد الـدين زنـكي، قويـت نفوسهم وعزيمتهم، وراسلوه بالطاعة، واسـتحثوه عـلى سرعـة الوصـول إلـيهم، فـاسرع عماد الدين في السير إليهم ونزل بساحتهم [7]وأدى كل مـن عـماد الـدين زنـكي، وأبنـه نور الدين محمود دوراً كبيراً وخطيراً في تاريخ الحروب الصـليبية وكـان قسـيم الدولـة

---

(1) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص 124

(2) نصيبين:بالفتح ثم الكسر، ونسبة إليها نصيبي، مدينة عامرة من بلاد الجزيـرة عـلى طريـق القوافـل من الموصل الى الشام؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج5، ص 288.

(3) سنجار: بكسر أوله، وسكون ثانيه، مدينة مشهورة من نواحي الجزيـرة، وهـي في لحـف جبـل عـال، ويقولون: ان سفينة نوح (عليه السلام) لما مرت به نطحته قال: هذا سن جبل جار علينا، فسـميت سنجار،ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج3، ص 262.

(4). الخابور:هو اسم لنهر كبير ودلتاه بـين رأس عـين والفـرات مـن أرض الجزيـرة وهـي ولايـة واسـعة وبلدان جمة غلب عليها اسمه فنسبت اليه من الـبلاد قرقيسـياء وماكسـين والمجـدل وأصـل هـذا النهر من العيون برأس عين ويمتد الى نهر نصـبين فيصـبح نهـراً كبـيراً ينتهـي الى قرقيسـياء فيصـب عندها في الفرات، ياقوت، معجم البلدان، ج2، ص 334.

(5) حران: مدينة عظيمة مشهورة من جزيرة اقور وهي قصبة ديـار مضر بينهـا وبـين الرهـا يـوم وبـين الرقة يومان وهي على طريق الموصل والشام والروم، سميت بهـاران أخـي ابـراهيم(عليـه السـلام) لانه اول من بناها فعربت، فقيل: حران؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج2، ص 235.

(6) سروج: بلدة قريبة من حران من ديار مضر تم فتحها صلحاً على مثل صـلح الرهـا في سـنة17هــ في ايام سيدنا عمر بن الخطاب (رضي اللـه عنه) ؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج3، ص216.

(7) ابن الأثير، التاريخ الباهر في الدولة الاتابكيه، ص165.

أقسنقر[1] والد عماد الدين زنكي من أصحاب السلطان جلال الدين ملكشاه[2]، وأحد المقربين منه، فرفع قدره وأعلى محله، واعتمد عليه السلطان في مهام كثيرة، ووثق به[3]، والدليل على ذلك منحه لقب قسيم الدولة، ويعني الشريك، وكانت الألقاب في تلك الآونة محترمة لا تعطى إلا لمستحقيها وعلت مرتبته ومنزلته [4] ويبدو أنه قسم ملكشاه شؤون الحكم والإدارة، فضلاً ذلك، فإن أقسنقر كان يقف إلى يمين سدة السلطنة، ولا يتقدمه أحد، وصار ذلك أيضاً لقبه من بعده[5]، وكان قد حكم إمارة حلب و أحسن في أهلها السيرة، وأقام الهيبة، وأنصف الرعية، وتتبع المفسدين، فأبادهم فحصل له من الصيت وحسن الذكر وتضاعف الثناء والشكر [6]، قال فيه ابن كثير[7]: ((كان أحسن الملوك سيرة، وأجودهم سريرة، وكانت الرعية في أمن وعدل ورخص وكان موتة على يد السلطان تاج الدولة تتش صاحب دمشق))، وقتل أقسنقر

---

(1) قسيم الدولة اقسنقر: الملقب بـ(قسيم الدولة السلجوقي) ويعرف بالحاجب صاحب حلب وديار بكر والجزيرة وهو جد الملك نور الدين الشهيد بن زنكي، كان من اصحاب السلطان ملك شاه بن الب ارسلان وكانت لة منزلة كبيرة عند السلطان ملك شاه حتى اعطاه حلب واعمالها؛ ابن كثير، ابو الفداء اسماعيل بن عمر(ت، 774هـ) البداية والنهاية، تح، علي شيري، دار احياء التراث العربي (بيروت، 1408هـ/1988م) ج12، ص47.

(2) جلال الدين ملكشاه: هو ابو الفتح(جلال الدولة) ملكشاه بن الب ارسلان محمد بن داود بن ميكائيل بن دقاق وهو ثالث واعظم سلاطين الدولة السلجوقية، الذهبي، تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والاعلام، ج10، ص312.

(3) ابن الأثير، التاريخ الباهر في الدولة الاتابكيه، ص 34.

(4)ابن واصل، محمد بن سالم بن نصر اللـه(ت،697هـ) مفرج الكروب في اخبار بني ايوب، تح، جمال الدين الشيال، دار الكتب المصرية(القاهرة،1957م)، ص11؛ الصلابي، الدولة الزنكية، ج1، ص28

(5) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج37، ص 45.

(6) ابن القلانسي، تاريخ دمشق، ص 196

(7) البداية والنهاية، ج12، ص 147.

سنة(487هـ1094م)على يد تشش بن الب ارسلان في حلب ولم يكن له إلا ولد واحد وكان عمره عشر سنوات وهو عماد الدين زنكي الذي تكفله بركياروق برعايته وجعل دار إقامته في حلب وبقي فيها مدة ومن ثم انتقل الى الموصل، وأقام ما يعرف بأتابكية الموصل(1).

وينتمي المجاهد عماد الدين زنكي بن آقسنقر بن عبدالله بن آل ترغان إلى قبائل (السبايو) التركمانية(2)، ولد بحلب سنة (477هـ/1084م)، فكانت مهد طفولته وقضى بها أيامه الأولى وعاش في كنف والده عشر سنوات تعلم فيها فنون السياسة والحرب مع والده(3). ولاشك أن والده دربه على الفروسية وركوب الخيل ورمي السهام وعّوده الصبر على المشاق في الحرب وممارستها، واثبتت الأحداث اللاحقة حسن تربيته، اذ تميز بالشجاعة والقوة، فقد ورث عن والده أقسنقر القوة التي لا تعرف العطف، والتي لا تبقي على عدو، وورث عنه التخطيط الذي يؤدي إلى حتف الخصم الذي رسمه له زنكي(4).

وتولى امارة واسط والبصرة، وولي شحنكية بغداد في عهد السلطان محمود بن ملكشاه(5)، ثم ولاه أتابكية الموصل؛ لما علم من شهامته وتمكنه من إنجاز المهام التي وكل بها من قبله، وأصدر السلطان محمود منشوراً بتوليته الموصل والجزيرة، وما يفتتحه من بلاد الشام، وسلمه ولديه ليكون أتابكاً، أي: مربياً لهما، وتسلم عماد الدين

(1) بخيت، فائز علي، الاوضاع السياسية في بلاد الشام في العهد الزنكي، مجلة جامعة كركوك للدراسات الانسانية، المجلد7، العدد3(لسنة2012م) ص2

(2) الصلابي، الدولة الزنكية، ص27.

(3) زكار، سهيل، المدخل الى الحروب الصليبية، ص 215.

(4) ابن الأثير، التاريخ الباهر في الدولة الاتابكيه، ص 18

(5)أبو شامة المقدسي، الروضين، ج1، ص 32؛ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج9، ص5؛ زكار، سهيل، الموسوعة الشاملة في تاريخ الحروب الصليبية، ج3، ص276.

الحكم في الموصل فأصبحا تحت إشرافه المباشر، وكان ذلك سنة(521هـ/ 1127)م، وتعدّ أتابكية الموصل نواة الدولة الزنكية [1]. وكان زنكي يتصف بالشجاعة، والهيبة، والدهاء، والمكر، والحيلة، والذكاء، واليقظة، والحذر، والقدرة على اختيار الأكفاء من الرجال وكان يعرف تقدير الرجال واحترام العلماء والفقهاء، وأتصف بالعدل والعبادة والتقوى[2]، ونظم زنكي أتابكية داخلياً بضبطها وكون جيشاً كبيراً الذي يعد المؤسسة القوية والقوة الضاربة التي استعملها في القضاء على النعرات المحلية ليكون جبهة اسلامية موحدة متماسكة يستطيع بها مواجهة الصليبيين[3]، وبعد أن ضم عماد الدين زنكي حلب، وسنجار، والخابور، وحران، وأربلوا[4]، والرقة، وشهرزور[5] وكون محوراً جديداً للصراع ضد الصليبيين، هو محور الموصل حلب، بعد أن فشل محور القاهرة دمشق في التصدي لهم، وبدأ في المواجهة الكاملة مع الصليبيين في بلاد الشام[6]. بفعل الضغط الشعبي الذي شارك فيه الفقهاء والعلماء والعامة والبدو، فقد بدأ المشرق الإسلامي يشهد ظاهرة إيجابية جاءت هذه المرة من جماهير الناس

---

(1) ابن واصل، مفرج الكروب في اخبار بني ايوب ج1، ص 49؛ زكار، سهيل، الموسوعة الشاملة، ج3، ص276.

(2) ابن الأثير، التاريخ الباهر في الدولة الاتابكيه، ص 24

(3) الباشا، عمر موسى، الأدب في بلاد الشام في عصور الزنكيين والأيوبيين والمماليك، دار الفكر المعاصر، (بيروت، 1989م)، ص 44.

(4) اربلوا: وهي مدينة تقع بين الزاب الصغير والزاب الكبير وتوجد فيها قلعة حصينة لم يظفر بها التتر مع انهم ما فاتهم شيء من القلاع والحصون ويوجد فيها مسجد يسمى بـ(الكف) ؛ لان فيها حجر علية كف انسان وهي قريبة من الموصل، واربل ايضاً اسم لمدينة صيداء في الشام؛ القزويني، آثار البلاد واخبار العباد، ص290؛ابن عبد الحق، مراصد الأطلاع على اسماء الامكنة والبقاع، ص51.

(5) شهرزور: وهي منطقة واسعة في الجبال بين اربل وهمذان احدثها زور بن الضحاك ومعنى شهر بالفارسية وأهل هذه المدينة جميعهم اكراد، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج3، ص375.

(6) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج10، ص 121

العادين، إذ تشكل رأي عام قوي وضاغط، و يتسأل عـن سـبب تخـاذل الحكـام المسـلمين وأنانيتهم السياسية، وضيق أفقهـم السـياسي الـذي ضـيع الـبلاد وأذلّ العبـاد[1] فقـد أخـذ الفقهاء والعلماء يخطبون فوق منابر المساجد في فضـل القـدس الشريـف وفضـل الجهـاد وثواب المجاهدين، ولم تخلوا حلقات الدروس مـن الحـديث عـن المسـجد الأقصى المبـارك، أولى القبلتين، وثالث الحرمين الشريفين، وألفت الكتب والرسائل في فضل الجهـاد في سـبيل اللـه، إلى جانب أن أعداد اللاجئين الهـاربين مـن مـذابح الصـليبيين[2]، قـد أثـارت مشـاعر الاستياء والغضب لدى المسلمين بدواً وحضراً، لقد أدرك المسلمون أن الصـليبيين جـاءوا إلى بلادهم بقصد البقاء فيها، وتلك صدمة نفسية مؤلمة[3].

وبدأت الدعوة الى الجهـاد تسري بـين النـاس في العـالم العـربي الإسـلامي بسرعـة كبيرة، بحيث عمـت سـائر المنـاطق، وسرعـان مـا تحولـت إلى حركـة رأي عـام ضـاغطة يقودها أصحاب الـرأي والمفكـرون والعلـماء والفقهـاء، وفي رحـم هـذه الحركـة القويـة تبلورت اتجاهات المقاومة العربية الإسلامية[4]. وكانت هنـاك محـاولات تجـري لتوحيـد الجبهة الإسلامية ضد الصـليبيين، فقـد انتهـز مـودود[5] أتابـك الموصـل فرصـة اسـتنجاد طغتكين أمير دمشق به، الذي كان يسعى الى عقد تحالف مع الأتابك مودود (503هـ-

(1) قاسم، ماهية الحروب الصليبية، ص 134.

(2) محمود، شفيق، حاسر احمد، الفـتح العمـري للقـدس نمـوذج للـدعوة بالعمـل والقـدوة، الجامعـة الاسلامية بالمدينة المنورة (السعودية، 1404هـ) ص186,

(3) قاسم، ماهية الحروب الصليبية، ص 135.

(4) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص 187-188.

(5) مودود: هو الامير مودود بن زنكي صـاحب الموصـل وهـو مـن الامـراء الـذين قـدموا لقتـال الفـرنج بالشام وعند دخولهم الى دمشق دخل الامير مودود يوم الجمعـة الى جامعهـا ليصـلي فيـه فجـاءه احد الباطنية وقتله رحمة اللـه، مجموعة من مؤرخين الدرر السنية، ج4، ص206

507هـ/1108-1113م) فجمع جيشاً كبيرا لمهاجمة الصليبيين في فلسطين هذه المرة، ففي سنة(507هـ/1113م)تقدمت قواته مع جيش أمير سنجار تيميرك، وقوات طغتكين، والأمير أياز بن أيلغازي[1]

وصاحب ماردين[2] صوب فلسطين، وبالقرب من طبرية[3]. تم تدمير الجيش الصليبي تماماً[4]، ويبدو ان اغتيال الأتابك مودود على يد أحد الباطنية في آخر يوم جمعة من شهر ربيع الثاني من سنة (507هـ/ 1113م) ثم جاء الصليبيون بكتاب الى المسلمين وفيه))ان أمة قتلت عميدها في يوم عيدها في بيت معبودها لحقيق على الله أن يبيدها))[5]، ثم موت رضوان بن تتش[6] أمير حلب السلجوقي في جمادي الآخرة من

(1) ايلغازي: هو نجم الدين بن ارتق بن اكسب التركماني صاحب ماردين وهو احد ابناء العائلة الارتقيه، الذهبي، تاريخ الاسلام، ج11، ص18.

(2) ماردين: وهي قلعة مشهورة تقع على قمة جبل الجزيرة مشرفة على دنيسر ودارا ونصيبين، ويوجد ربض عظيم فيه اسواق ومدارس ولا توجد في الارض كلها اجمل من قلعتها، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج5، ص39؛ القزويني، زكريا بن محمد بن محمود (ت، 682هـ) اثار البلاد واخبار العباد، دار صادر (بيروت، 1996م). ص259.

(3) طبرية: وهي مدينة في الاردن مطلة على بحيره معروفة ببحيرة طبرية وجبل الطور مطل عليها وهي مستطيلة تبعد عن البحر نحو فرسخ قام بتشييدها ملك من ملوك الروم اسمه طباري، يوجد فيها عيون جارية حارة وعليها حمامات لا تحتاج الى وقود وهي ثمانية حمامات، اما حمامات طبرية التي قالوا: انها من عجائب الدنيا فليست التي على باب طبرية الى جانب بحيرتها فإن مثل هذه كثيرة، والتي هي من عجائب الدنيا في موضع اخر من اعمال طبرية يقال له: الحسنية، القزويني، اثار البلاد واخبار العباد، ص217.

(4) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص 324؛ابن خلدون، العبر، ج5، ص224

(5) ابن كثير، البداية والنهاية، ج12، ص217.

(6) رضوان بن تتش: وهو الملك رضوان بن السلطان تتش بن السلطان الب ارسلان السلجوقي تملك حلب بعد ابيه وخطب له بدمشق عندما قتل والده ثم استقل بحلب واخذها منه الصليبيون؛ الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج19، ص315.

العام نفسه، خفف من وطأة الهجوم الصليبي على جبهة الشمال[1]ولا شك أن الانبعاث الإسلامي الذي شهدته المنطقة العربية لمبدأ الجهاد أخذ يتصاعد في جبهة الموصل وحلب، و زادت محاولات توحيد الجبهة جدية وفاعلية، وفي ظل هذا الانبعاث الأيديولوجي ظهر عماد الدين زنكي، الذي دانت له الموصل سنة 521هـ/1127م ليقود حركة الجهاد والمقاومة العربية الإسلامية التي بدأها مودود من قبل على محور الموصل وحلب[2]وما لبث عماد الدين زنكي أن أصبح أقوى حاكم مسلم في زمانه، انه طوع قوته، وموارده العسكرية في خدمة المطلب العربي الإسلامي العام، أي: الجهاد ضد الصليبيين، فقد كانت المدارس والعلماء، والمفكرون، قد مهدوا السبيل بخلق مناخ للرأي العام القوي المطالب بوجوب الجهاد ضد الصليبيين، لقد كان عماد الدين زنكي استجابة تاريخية للمطلب العربي الإسلامي العام[3]. ومن ثم برزت أتابكية الموصل، بوصفها سابقة ومقدمة للدول العسكرية التي يقودها ملك مقاتل، لكي تتولى الجهاد ضد الصليبيين، حتى نجحت في طردهم تماماً من المنطقة العربية بعد فشل الخلافة العباسية، والخلافة الفاطمية في التصدي لهم، وهذه الدول هي: (الزنكيون، الأيوبيون، دولة سلاطين المماليك)[4]، وبدأت آثار التغيير تظهر على وجه الخصوص في الأوضاع الإسلامية السياسية منذ دخول زنكي الى الموصل521هـ/1127، فقد بدأت حركة إفاقة إسلامية يقودها عماد الدين زنكي، عندما دخل الموصل إذ عمل على تقرير وتمركز

---

(1) عمران، محمود سعيد، تاريخ الحروب الصليبية1095- 1291، دار المعرفة الجامعية (القاهرة، 2000م) ص46.

(2) عمران، تاريخ الحروب الصليبية، ص48.

(3) قاسم، ماهية الحروب الصليبية، ص56.

(4) ابو شامة المقدسي، الروضتين، ج1، ص271

قواعد الجند واقطاع العساكر وجعل له منهجاً قبل مواجه الصليبيين، ألا وهو الاستيلاء على ما بقي من البلاد الشامية والجزرية [1].

وفي سنة (524هـ/1130م) توجه عماد الدين زنكي إلى بلاد الشام ففتح جزيرة ابن عمر ونصيبين وسنجار وحران وعبر الفرات ودخل حلب واستبشر اهلها خيراً بقدومه كما وصلت في الوقت نفسه رسل للسلطان ومعهم توقيع سلطاني لعماد الدين زنكي بالموصل والجزيرة والشام وفي سنة (525هـ/1131م) اضاف اليه امر العراق[2]، وجمع معه جيوشاً ضخمة، وأعد العدة، ووطّن نفسه على الجهاد، وقصد حصن الأثارب[3]، وفرض الحصار عليه وهو حصن حصين بينه وبين حلب ثلاثة فراسخ يقع بين محاضرة هذا الحصن الصليبي الكبير ما يسببه هذا الحصن من الضرر الكبير على أهل حلب[4]، وذلك أنه كان ملجأ للجنود الفرنج، منه يغيرون على حلب وغيرها من مدن الشام، ويأتون على ما حولها من البلاد بالسلب والسبي حتى ضجر أهل حلب، وما جاورها من ذلك، فكان هذا دافعاً لعماد الدين زنكي بالسير الى الحصن وحصاره ومقاومته وفتحه عنوة وقتل معظم افراد حاميته وقتال من فيه وامر بتخريبه لئلا يكون عرضة لتهديد مستمر من الصليبيين[5].

---

(1) الصلابي، الدولة الزنكية، ص106

(2) الباشا، الادب في بلاد الشام عصر الزنكيين و الأيوبيين والمماليك، ص21؛بخيت، الاوضاع السياسية في بلاد الشام في العهد الزنكي، مجلة جامعة كركوك للدراسات الانسانية، ص4

(3) حصن الاثارب: يقع في مدينة حلب بينه وبين انطاكيا ثلاثة فراسخ توجه اليه عماد الدين زنكي عندما فرغ من البلاد الشامية حلب واعمالها لان من كان به من الصليبيين يضايقون الشامين ويقاسمون اعمالهم، الذهبي، تاريخ الاسلام، ج11، ص347.

(4) ابن الاثير، التاريخ الباهر في الدولة الاتابكية، ص71؛الصلابي، الدولة الزنكية، ص171

(5) الصلابي، الدولة الزنكية، ص171.

قال ابن الأثير: ((وكان هذا الحصن أضر شيء على أهل حلب، وكانوا مع من فيه من الفرنج ما بين حرب وضرب، وقد اجتمع فيه من الفرسان الفرنج، ذوي البأس كل معروف بشدة البأس ،إذ هو من أخطر ثغورهم، وهو من المسلمين في نحورهم، فتابع الشهيد -عماد الدين زنكي-قتالهم وأدمن نزالهم، وصب عليهم العذاب صباً من كل مكان))[1].

ويضيف ابن الأثير مادحاً ما فعله عماد الدين زنكي: ((ومع هذا فقد حفظ الفرنج حصنهم، وأحسنوا في الذب عنه، ولما علم ملك الفرنج الحال جمع الفرسان، وأستشارهم في الذي يصنعون، وبأية حيلة في الدفاع عن بلادهم يدافعون))[2]، ((وبعد جدال طويل جمعوا الفرسان والأجناد، وأقبلوا في جموعهم المحشورة، وعساكرهم المجرورة واعلامهم المنشورة، وصلبانهم وبنودهم، وملوكهم، وفرسانهم، وجاءوا إليه والخوف قد عم رئيسهم ومرؤسهم فهم منه خائفون، يقدمون رجلاً ويؤخرون أخرى، فلما تدانى الزحفان، استشار الشهيد وزرائه، وأمراءه، فأشار أكثرهم بالعودة الى حلب، ومطاوعة الفرنج، أن يتفرقوا فقال هذه خطة سوف تجرهم علينا، وتطمعهم فيما لدينا، لكن الرأي أن نستعين بالله، ونقاتلهم، فأما لنا واما علينا))[3] وجرت بين الطرفين معركة قاسية انتهت بانتصار المسلمين وقتل وأسر عدد كبير من الصليبيين. ثم اتجة زنكي الى الحصن وفتحة عنوة وقتل وأسر معظم الصليبيين المهاجمين وامر بتخريب الحصن، ومحا أثره وأزال من الأرض ضرره.

---

(1) التاريخ الباهر في الدولة الاتابكية، ص39.

(2) التاريخ الباهر في الدولة الاتابكية، ص39.

(3) ابن الاثير، التاريخ الباهر في الدولة الاتابكية، ص40.

وهكذا قضي عماد الدين زنكي على أهم ثغر من ثغور الصليبيين وهو حصن الأثارب، الذي كان يهدد حياة المسلمين، وكيانهم في الشرق[1].

(1) الصلابي، الدولة الزنكية، ج1، ص171.

المبحث الثاني

اسهام البدو في مقاومة الصليبيين

في عهد عماد الدين زنكي

(521- 569هـ/1127- 1173م)

والسؤال: هل شارك البدو مع عماد الدين زنكي في الاستيلاء على الحصن؟وهل كانوا له عوناً وسنداً؟والجواب نعم شارك البدو في الاستيلاء على حصن الأثارب، فقد عمل الكثير منهم مثل: صاحب الخبر الذي كان ينقل إلى عماد الدين زنكي تحركات الصليبيين وعددهم وقواتهم، مما أعطاه الفرصة للاستعداد لهم[1]. وكان بنو ربيعة هم من اهم القبائل البدوية التي شاركت. فقد سادوا قبائل العرب جميعاً في الشام والعراق والجزيرة، وقال فيهم ابن فضل الله العمري: ((هم ملوك البر، وأمراء الشام والعراق، والحجاز[2])) وجدهم ربيعة نبغ بين قبائل العرب أيام الأتابك زنكي وولده نور الدين محمود[3]، فقد اعتاد بنو ربيعة نصب الكمائن فوق سفوح الجبال للانقضاض على الصليبيين، واعتمدت تلك العمليات على أسلوب الكر والفر والمباغتة، والحاق أكبر قدر من الخسائر في صفوف الصليبيين، ثم الرجوع الى مواقعهم المحصنة في الجبال من دون وقوع خسائر لهم، مما ألحق الضرر بالصليبيين واستهلكت طاقتهم

---

(1) تغردي بردي، ابو المحاسن يوسف جمال الدين (ت، 874هـ) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، وزارة الثقافة والارشاد القومي (دار الكتب مصر،دت) ج7، ص8.

(2) ابن فضل الله العمري، احمد بن يحيى بن فضل الله، قبائل العرب، دار ابن خلدون (بيروت، 1998م) ص112

(3) القلقشندي، صبح الاعشى في صناعة الانشا، ج4ص203

وحرمتهم من الدعم البشري وكانت تلك الكمائن التي تقوم بها القبائل البدوية قد دعـت مؤرخي تلك الفترة من المسلمين إلى تسميتها (وقعة الكمين)، ومن أمثلة تلك الكمائـن مـا فعلته ربيعة سنة (524هـ/1130م) اثناء خروج عـماد الـدين زنـكي للاسـتيلاء عـلى حصـن الأثارب عندما علموا بخروج مجموعة من الصليبيين للاحتشـاش والاحتطـاب عـلى اطـراف النهر، فهجموا عليهم وقتلوهم، وأسروا جماعة منهم، وجـاءوا بـرؤوس القـتلى أمـام عـماد الدين زنكي، فكافأهم بالمال[1].

ولم تكن تلك مشاركة البدو فقط، فقد سبقتها مشاركات لهم قبل عماد زنـكي في المنطقة نفسها، فيشير ابن القلانسي[2] إلى ان البـدو راسـلوا الأمـير طغتكـين أتابـك دمشق يطلبون منه الحماية، فأرسل إليهم جيشـاً تعـداده ثلاثـة آلاف مـن الفرسـان، وحين وصلت هذه القوة إلى منطقة وادي موسى شرعت في تشـييد قلعـة تطـل عـلى الوادي، وكان بدو بني جذام هم مـن أسـتدعى الأتـراك الدماشـقة بقيـادة طغتكـين لحرب الصليبيين، ومن أجل اقامة القلعة سالفة الـذكر، وقـدم البـدو للدماشـقة كـل المساعدات اللازمة لتشييد القلعة لتكـون قاعـدة عسـكرية متقدمـة لحمايـة طريـق الحجاج المسلمين، وتوجيه الضربات ضـد مملكـة بيـت المقـدس الصـليبية، غـير أنـه حيـنما مـر الدماشـقة تـاركين القلعـة بعـد مهاجمـة الصـليبيين لهـا في رجـب سـنة (501هـ/مارس 1171م)، عمد هؤلاء البـدو إلى الاختبـاء في كهـوف الجبـال المجـاورة، وحاول الملك بلدوين الأول القضاء عليهم باستعمال الدخان، وتمكـن أخـيراً مـن قتـل

(1) ابن شداد، يوسف بن رافع بن تميم بن عتبة الاسدي، (ت، 632هــ)، النـوادر السـلطانية والمحاسـن اليوسفية، تح، جمال الدين الشيال، مكتبة الخانجي، ط2، (القاهر، 1994م)،، ص298
(2) ذيل تاريخ دمشق، ص395

البعض منهم، وأسر ستمائة منهم وغنم كل ما لديهم [1]،وفي سنة (506هـ/1112م)، شارك البدو((الطائيون، والكلابيون، والخفاجيون)) في مساعدة القوات الإسلامية الدمشقية بقيادة طغتكين، والموصلية بقيادة مودود بعد انتصارها على الصليبيين[2]

في موقعة جسر الصنبرة[3] لحمل الماء للقوات الإسلامية التي قررت الهجوم على القوات الصليبية التي تحصنت في جبل على الغرب من طبرية، ومشاركة هؤلاء البدو في نقل الماء هو نوع من المقاومة الشعبية التي كانت تقتضي الاسناد ومساعدة القوات الإسلامية بمدهم بالماء اللازم للشرب، وتلك الأعمال هي من أعمال السكان المحليين في المنطقة الذين كانوا على معرفة بمصادر المياه اللازمة للجند الذين يبذلون جهداً عظيماً في الصعود إلى الجبل الحصين الذي لجأ إليه الصليبيون لصعوبة مرتقاه [4]وكانت نظرة الفرنج للبدو تتمحور في أمرين:

الأول: أنهم حاولوا التعامل معهم ليأمنوا شرهم وان يستفيدوا من خبرتهم في المسالك المجهولة بالنسبة إلى الفرنج، ليدلوهم على أنسبها، فهي معروفة بدقة بالنسبة الى البدوي، ولاسيما في الصحراء، والوديان التي يكمن فيها المسلمون لقتال الافرنج، أذ أفاد منهم إفادة كبيرة ويبدو ان ذلك كان لقاءً ثميناً، وهو الرابط بينهما، فلم يكونوا اوفياء لهم يوماً[5].

---

(1) وليم الصوري، تاريخ الحروب الصليبية، ج1، ص353.

(2) المقريزي، البيان والاعراب، عما بارض مصر من الاعراب، ص4

(3) الصنبرة: وهي موضع في الاردن مقابل لعقبة افيق بينه وبين طبرية ثلاثة اميال كان معاوية بن ابي سفيان يقضي معظم الشتاء فيها لأنها منطقة باردة وحدثت على جسرها معركة بين المسلمين والصليبيين انتصر فيها المسلمون وغرق خلق كبير من الصليبيين، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج3، ص425؛خطط الشام، ص270.

(4) ابن القلانسي، تاريخ دمشق، ص296؛علي،كرد، خطط الشام، ص370

(5) الحايك، العلاقات الدولية في عصر الحروب الصليبية، ج1، ص179.

والثاني: أن الافرنج عاشوا معاناة كبيرة جداً مـن البـدو، فهـم لم يخلصـوا لهـم في يوم من الأيـام، وكـانوا -عـلى الـدوام- ينتظـرون الفرصـة لينقضـوا علـيهم- كـما كـانوا يفعلون بجيوش المسلمين - لذا ظل الفرنج حذرين غاية الحذر في تعاملهم مـع البـدو، بل ربما كانوا يخافون منهم، ويتضح هذا الخوف مـن بالصـورة التـي نقلهـا عـن البـدو مؤرخو الفرنج اذ قال بوتشارد فيهم راهب جبـل صـهيون: [1] ((البـدو يملكـون أعـداداً كبيرة من الماشية، ويقومون برعايتها، لا يملكون مكاناً دائماً للإقامة، يقصـدون المراعـي، ويقيمون خيامهم، مقاتلون متفوقون، يجوبون الحرب، ويسـتخدمون السـيف والـرمح في القتال، ولا يستخدمون النشاب، ويقولون إنها دناءة أن تنتزع حياة إنسان بواسـطة سهم، وهم شجعان، ولا يرتدون إلا قميصاً فوقه فضفاضة[2]، ويغطون رؤوسهم بقطـع قماش)) [3]. وقال الراهب الدومينيكاني فليس فـايري: ((إن البـدو يزجـون أنفسـهم في أعظم المخاطر من دون خوف، لاعتقادهم بأن المـوت أمـر مـقضي مـن اللـــه لا يمكـن تجنبه))[4]. وقال فيهم جين جوانفيل مرافق الملك لـويس التاسـع في حملتـه عـلى مصر سنة (648هـ/1250م) والتي عرفت بالحملـة الصـليبية السـابعة: ((ولا يعيشـون إلا في قرى، أو مدن، بيوتهم أكوام مربوطة إلى أعمدة، عليهـا جلـود أغنـام معالجـة بالشـب، يرتدون عباءات من الصوف، يلفون أنفسهم بها، ويعتقـدون أن الانسـان لا يمـوت قبـل اليوم المحدد له، فلذلك يرفضون لبس الدروع، وشتيمتهم: عليـك اللعنـة مثـل فرنجـي

---

(1) جبل صهيون:وهو احد الجبال التـي تحـيط بالقـدس وهـو مـن الجبـال الشـاهقة، التطـيلي، الـرابي بنيامين (ت، 569، هـ) رحلة بنيامين، المجمع الثقافي (ابو ظبي، 2002م) ص253.

(2) فضفاضة: وهو قميص ابيض كانت تلبس في بلاد الشام ويسمونها الصليبيون دراعـة وقيـل: ان اسـم هـذا القمـيص الـدبيقي؛ المـروزي، ابـو معـين نـاصر خسرو (ت، 481هــ) سـفر نامـة، تـح، يحيـى الخشاب، دار الكتاب الجديد، ط3 (بيروت، 1983م) ص96.

(3) بوتشارد راهب جبل صهيون، زكار، سهيل، الموسوعة الشاملة، ج39، ص 242.

(4) جولات ورحلات الراهب فليكس فابري، الموسعة الشاملة، د. سهيل زكار، ج43، ص1149

يلبس الدروع خوفاً من الموت)) [1]، ويلخص فيلكس فايري النظرة الى البدو اذ يقـول ((إن البدو مكروهون من المسلمين والمسيحيين على السواء)) [2]. ولم يستقر أمن الصليبيين رغـم الإجراءات التي أتخذوها ضد البدو، ففي سنة (524هـ/1129م) عاد البـدو إلى مقـاومتهم للصليبيين، واستمرت هجماتهم ضد الحجاج الصليبيين استجابة لروح الجهاد التـي سـادت المنطقة [3] وبينما نجح الصليبيون في حماية أراضي جنوب الشام من البدو وغاراتهم، قـدم الخطر على المملكة الصليبية من الشـمال، اذ أوعـز القـادة المسـلمون إلى البـدو في شرقـي الأردن بمهاجمة المملكة من الناحية الشرقية، ويشهد على ذلك استغاثة دمشق بقبيلة بني مرا –أكبر القبائل البدوية – ولفهم موقف هؤلاء البدو من الصليبيين ومقاومتهم لهم علينا العودة إلى الوراء قليلا بالأحداث: وهناك مثلان للمقاومة، الأول: حينما أوقع هـؤلاء البـدو الهزيمة في صفوف جيش جوسلين دي كونتاي[4] الأول، في ربيع ألاول –جمادي الأخـر سـنة (513هـ/ 1119م) [5]، إذ سمع جوسلين بـأن قبيلـة بدويـة غنيـة، وهـي مـن بنـي ربيعـة، تتجمع بقطعانها في مراعي شرق الأردن، قرب نهر اليرموك، فنهض جوسلين، وصحبته اثنان مـن كبـار البارونـات الصـليبيين، وهـما الإخـوان جـودفري ووليـم بـور، ومعهـم نحـو مئة وعشرون فارساً، لنهب القبيلة، وانقسمت الجماعة الصليبية، لتطـوق رجـال القبيلـة،

(1) سهيل زكار، الموسوعة الشاملة في تاريخ الحروب الصليبية، ج6، ص245.
(2) حياة القديس لويس، جين جوانفيل الموسوعة الشاملة، د. سهيل زكار، ج36، ص100
(3) المقريزي، البيان والاعراب عما بأرض مصر من الاعراب، ص198.
(4) جوسلين: طاغية تل باشر واعزاز وعينتاب والراوندان وهو احد فرسـان الفـرنج وهـو صـاحب الرهـا الذي اغار على جيوش المسـلمين واخـذ امـرأة مليحـة مـن المسـلمين في عينتـاب وخـلا بهـا تحـت الشجرة فكمن له التركمان وقاموا بأسره وسلموه لنور الـدين محمـود وغـزا بـلاده؛ الـذهبي، سـير اعلام النبلاء، خ2، ص407
(5) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج9، ص186.

غير أن الأمور لم تجر كما خطط جوسلين ومن معه، إذ إن شيخ القبيلة علم بهم عن طريق جواسيسه، وضل جوسلين في الطريق ووقع في الكمين البدوي مع رفاقه، ولقي جودفري مصرعه، ووقع معظم أتباعه في أسر البدو، فأعلم جوسلين الملك بلدوين الأول الذي خوّف البدو وأعاد الأسرى، وسمح لهم بقضاء الصيف في تلك الجهات آمنين[1]. أما المثال الثاني فيتمثل في استعانة دمشق بالبدو لإيجاد جبهة متماسكة نجحت في إفشال الحصار الصليبي لدمشق سنة(523هـ/1129م)[2]، وقد فشل هذا الحصار بعد أن تناخى عسكر دمشق والتركمان والفلاحون، والعربان على الفرنج فهزموهم، وقتل وأسر من الفرنج خلق عظيم[3] وشارك العرب في نهب الصليبيين وقتلهم[4] كل ذلك قد هيأ الظروف لعماد الدين زنكي لمواصلة جهاده ضد الصليبيين، فبعد ان استولى على حصن الأثارب، توجه على حارم- وهي قضاء من اقضية حلب إلى الشمال منها- [5]، وحاصر حصن حارم، واستمر في التضييق على الصليبيين فيه، حتى اضطروا إلى الاستسلام [6]، ثم واصل فتوحاته، وانتصاراته حتى تحرير الرها من الصليبيين عام (539هـ/1144م)[7]. ينظر ملحق رقم(3)

---

(1) ابو الفداء، المختصر في اخبار البشر، ج2، ص231- 234.

(2) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج9، ص251.

(3) الحريري، الأعلام والتبيين بخروج الفرنجة الملاعين على ديار المسلمين، تح، سهيل زكار،، مكتبة دار الملاح (دمشق، 1981م) ص67

(4) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص304؛ابو شامة، الروضتين في اخبار الدولتين النورية والصلاحية، ج1، ص204.

(5) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج2، ص205.

(6) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج10، ص55.

(7) الصلابي، الدولة الزنكية، 203.

وكما مر بنا فلم يكن عماد الدين زنكي وليد الصدفة، ولكنه نشأ وتربى على مقربة من مسرح الأحداث، والصراع بين القوتين الإسلامية والصليبية، بل اشترك في الكثير من الاحتكاكات التي جرت بينهما، ثم أنه منذ نعومة اظفاره لمس التنافر والتطاحن والخلاف بين القوى الإسلامية[1]

لقد سنحت الفرصة لعماد الدين زنكي بعد وفاة الملك بلدوين الثاني سنة (526هـ/1131م) [2]، وتولية الملك فولك [3] عرش المملكة الصليبية؛ بسبب الشقاق بين الصليبيين، وتفرق كلمتهم أنذاك[4]، إلا أنه شغل لمدة أربع سنوات (525-528هـ/1130-1133م) بتنظيم شؤون إمارته وتوسيعها، فلم يستطع مواجهة الصليبيين[5]، فقد شارك عماد الدين زنكي في الهجوم على بغداد لقتال الخليفة العباسي المسترشد بالله ابو منصور احمد بن المقتدر بأمر الله(512- 529هـ/1118- 1135م) الذي رأى نفسه مضطراً للتوجه الى بغداد، للحد من مطامع الخليفة وفرض سيطرته المباشرة على العراق؛ لأن الخليفة ارسل بعض جيشه للاستيلاء على واسط الا ان زنكي تمكن من

(1) عاشور، الحركة الصليبية، ج1، ص584

(2) توفيق، عمر كمال، مملكة بيت المقدس الصلبية، ص140

(3) الملك فولك: ينتمي الملك فولك الى واحدة من اقوى العائلات في غرب أوربا، ويصفه وليم الصوري قائلا: كان فولك مهذب الطبع، لين الجانب، قوياً عالماً بفنون القتال بني الكثير من الحصون والقلاع لمحاربة المسلمين؛ وليم الصوري تاريخ الحروب الصليبية، ج3ص66. تزوج بالملكة ميسلندا فحكم معها المملكة الصليبية؛ رنسيمان، ستيفن، تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة السيد الباز العريني، (بيروت1967،)، ج2، ص488.

(4) وليم الصوري، تاريخ الحروب الصليبية، ج3، ص118.

(5) ابن القلانسي، تاريخ دمشق، ص377؛الصلابي، الدولة الزنكية، ص17.

صده والانتصار عليه عند مشارف واسط، وعند وصول السلطان محمود[1] الى بغداد ارسل الى الخليفة يطلب منه الصلح فرفض الخليفة العباسي طلبه الامر الذي ادى الى نشوب القتال بين الطرفين وهكذا، أدى عماد الدين زنكي دوراً حاسماً في وضع حد للصراع بين السلطان محمود والخليفة العباسي [2]إلا أنه انهزم عند تكريت سنة (527هـ/1132م)[3]، ثم عاود هجومه على بغداد للمرة الثانية، وفشل، فاضطر إلى الرحيل الى الموصل، وتعقبه الخليفة المسترشد بالله، مما أضطره للخروج ثانية من الموصل التي وصلها الخليفة المسترشد وحاصرها، فامتنعت عليه فرحل عنها[4] ألا أن عماد الدين زنكي استعاد قواته، ودخل حلب سنة(522هـ/1128م)، وخرج اهلها إليه مرحبين مستبشرين [5] وبذلك عاد الاتحاد بين الموصل وحلب، الأمر الذي أدى إلى عزلة الرها عن بقية الإمارات الصليبية في الغرب والجنوب، مما هيأ لعماد الدين زنكي فرصه سانحة للتدخل في الأوضاع السياسية في بلاد الشام[6].

---

(1) السلطان محمود(ت،525هـ/1130م) مغيث الدين محمود هو ابن محمد بن ملكشاه بن الب ارسلان السلجوقي صاحب العراق الذي خلف والده محمد بن ملكشاه ومع مرور الوقت اصبح حاكم العراق وفارس وتميز حكمه بالفوضى والتمرد، الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج19،ص524.
الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج19، ص524.

(2) أبوشامة المقدسي، الروضتين، ج1، ص36؛الصلابي، الدولة الزنكية، ص50

(3) ابن واصل، مفرج الكروب في اخبار بني ايوب، ج1، ص36

(4) ابن الاثير، التاريخ الباهر في الدولة الاتابكية، ص37.

(5) الحويري، محمود محمد، بناء الجبهة الاسلامية المتحدة وأثرها في التصدي للصليبين، دار المعارف (القاهرة، 1997م) ط1، ص85.

(6) أسماعيل خلف عبد العليم، اماره الموصل وعلاقتها بالقوى الصليبية من الحملة الصليبية الاولى الى نهاية الدولة الزنكية (المنيا، 1991م) ص182.

كذلك قام عـماد الـدين زنـكي في سـنة (528هــ/1133م) بتوطيـد حكمـه، وتأكيـد سلطانه في شمال العـراق، وشـمال بـلاد الشـام بمحاربـة الأكـراد؛ لكـثرة الفـتن التـي كـانوا يحدثونها هناك، واستولى على قلعة الصدر من ديار بكر [1].

وقد كان عماد الدين زنكي يمثل الخطر الوحيد على مملكة بيت المقـدس الصـليبية أنذاك، ليس لأنه جمع بين حكم حلب والموصل فحسب بل لأنه كان الرجل الوحيـد الـذي كانت تكمن فيه القوة، أما من عداه فكانوا يمثلون الفوضى السياسية[2]، ويقصد بهم حكام أتابكية دمشق[3] وحقق نصره الكبير على الملك الصـليبي فولـك في حصـن الأثـارب والـذي كان استيلأوه عليه ضرورة اقتضتها سياسة الدفاع عن جبهة الموصل حلب، التي بـدأ زنـكي في تأسيسـها، فهـي لم تكـن تبعـد ((سـوى حـوالي ثـلاث فراسـخ غـرب حلـب عـلى طريـق أنطاكية))[4]، وكانت تشكل خطراً كبيراً على حلب.

واستولى عـماد الـدين زنـكي عـلى العديـد مـن الحصـون الصـليبية، ففـي سـنة (530هـ/1136م) سار بعسكره ومعه جموع من البدو من بني مرا من ربيعة، يريدون غزو الفرنج بقيادة الملك فولك الأنجولي، وكان عـلى رأسـهم سـوار نائـب عـماد الـدين زنكي في مدينة حلب [5]، ووصلوا إلى نواحي مدينة اللاذقية، فهـاجموا الفـرنج، وأوقعـوا بهم حتى ظفروا بهم، ونهبوهم وقتلوا وأسروا وعلى حد قول ابن الأثـير: [6]((فعلـوا مـا لم

(1) ابن العديم، كمال الدين عمر بن احمد بن هبة اللـه (ت، 660هـ) زبدة الطلـب في تـاريخ حلـب، دار الكتب العلمية (بيروت، 1996م) ج3ص176.

(2) ابن واصل، مفرج الكروب في اخبار بني ايوب، ج1، ص42.

(3) ابو شامة، الروضتين في اخبار الدولتين النورية والصلاحية، ج1، ص31.

(4) ابن واصل، مفرج الكروب في اخبار بني ايوب، ج1، ص34.

(5) ابن واصل، مفرج الكروب في اخبار بني ايوب، ج1، ص43.

(6) التاريخ الباهر في الدولة الاتابكية، ص38.

يفعله غيرهم))، وقد بلغ عدد الأسرى سبعة آلاف ما بين رجل وامرأة وصبي [1]، ويتابع ابن الأثير [2] روايته فيقول: ((وغنم عسكر الأتابك مائة ألف رأس من الدواب، وما سوى ذلك من الأقمشة والحلي، وقد خربوا اللاذقية عندما أرادوا العودة لبلادهم كي لا يكون للأعداء فيها ملجأ)).

وكانت دمشق قد وقفت عقبة كؤود في وجه زنكي لتوحيد الجبهة الإسلامية لمواجهة الصليبيين، وأخرت توحيد الجبهة لمدة قرن من الزمان، بعد أن كان وشيك الحدوث في سنة (529هـ/1135م)[3]فهادن حكام دمشق من المسلمين، على الرغم من حصاره لها[4]

اولاً: مشاركة البدو في معركة بعرين أو(بارين) (531هـ /1136م)

شارك البدو عماد الدين زنكي في معركة بعرين أو بارين[5] سنة (531هـ /1136م)، تلك المعركة التي كانت من أهم المعارك الحربية ضد الصليبيين في

(1) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج11، ص16
(2) التاريخ الباهر في الدولة الاتابكية، ص38.
(3) حبشي، حسن، نور الدين والصليبيون حركة الافاقة والتجمع الاسلامي في القرن السادس الهجري، دار الفكر العربي (بيروت، 1948م) ص91
(4) النويري، احمد بن عبد الوهاب(ت، 733هـ) نهاية الارب في فنون الادب، دار الكتب والوثائق، (القاهرة1422هـ) ج7، ص133.
(5) بعرين:هو بلد بين حمص والساحل، وهو من خطأ العامة وانما هو بارين حدثت فيها معركة سنة(531هـ/1137م) بين عماد الدين زنكي والملك فولك ملك مملكة بيت المقدس وانتهت بانتصار عماد الدين زنكي وسيطرته على القلعة، صفي الدين، مراصد الاطلاع على اسماء الأمكنة والبقاع، ص207؛الحموي، معجم البلدان، ص452.

عهد عماد الدين زنكي، فقد فتحت الطريق لاسترجاع إمارة الرها إول إمارة إسلامية تسقط في أيدي الصليبيين[1].

فعندما رفع الحصار عن مدينة حمص سار في شوال سنة(531هـ/1136م) يريد منازلة الفرنج في حصن بعرين او(بارين) [2]، ولأن الاقدار شاءت أن تخّيب أمل زنكي في حمص، فلم تشأ أن تعاكسه في بعرين، بل كان التوفيق حليفه في حملته، وقد زاده فتح هذا الحصن من الشهرة فوق ما كان له، فطار صيته في الأفاق والأمصار [3].

وسار عماد الدين زنكي في شوال سنة(531هـ/1136م)، يقود جيشاً قوياً، يضم أعداداً كبيرة من المتطوعين من العامة، والعلماء، والعربان، [4]، وقد قدم البدو الكثير من المعلومات لعماد الدين زنكي عن الطرق التي سيسلكها الملك فولك[5]، وأخبروه عن عدد قواته، وأسلحته [6]، لملاقاة الملك فولك الأنجولي ملك بيت المقدس وريموند كونت طرابلس فدارت بين الطرفين معركة شرسة انتصر فيها المسلمون وقتل وأسر عدد كبير من الصليبيين وكان ريموند من بينهم اما فولك فتمكن من الهروب الى داخل الحصن وما لبث زنكي ان تقدم نحو الحصن وفرض عليه حصاراً شديداً في حين اتجه

---

(1) الحايك، العلاقات الدولية في عصر الحروب الصليبية، ص165.

(2) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج11، ص21.

(3) ابن القلانسي، تاريخ دمشق، ص258

(4) ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والامم، ج9، ص438؛رنسمان، تاريخ الحروب الصليبية، ج2، ص320.

(5) وهذا دليل على ان البدو كانوا بقدر ما قدموا معلومات للصليبيين عن الطرق والمسالك، الا انهم كانوا مخلصين لامتهم وعلى تواصل بالمعلومات التي يقدمونها عن الاعداء وتحركاتهم، ينظر: طقوش، محمد سهيل، تاريخ الحروب الصليبية (حروب الفرنجة في المشرق) (489هـ-690هـ/1096- 1291م) دار النفائس (بيروت، 2011م). ، ص165,

(6) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص259.

عدد من الهاربين من المعركة الى بلاد البيزنطيين طالبين النجدة مـن ابنـاء العـالم المسـيحي وامرائه قائلين لهم ان زنكي اذا تمكن من السيطرة على بعرين سهلت عليـه السـيطرة عـلى بقية الممالك الصليبية في الشام؛ لعدم وجود من يدافع عنها وان المسلمين لهم نية في قصد بيت المقدس، فجمع المسيحيون جيشـاً كبـيراً مـن الصـليبيين والبيـزنطيين وذهبـوا لنجـدة الحصن الا ان زنكي كان قد عزله عن العالم الخارجي ومنع عنه تسلل الاخبار فضلاً عـن ان تشديد الحصار على هذا الموقع المهم ادى الى تناقص الميرة والذخيرة فيه الامر الذي اضطر أصحابه الى طلب الصلح في حصن بعرين، والذي تصفه المصادر بأنـه مـن أمنـع الحصـون الصليبية القريبة من مدينتي حلـب وحـماه، وتتفـق المصـادر عـلى أن اسـتيلاء زنـكي عـلى الحصن كان في سنة (531هـ/1137م)[1] إذ سار عماد الدين زنكي لملاقاة الملك فولك، الـذي كان على رأس جيشه لنجدة مدينة حمص أثناء حصار زنكي لها[2]، فتلاقى الفريقان بالقرب من حصن بارين المعروف باسم بعرين، والذي يعد من أقوى حصونهم على الإطلاق[3].

وستعد الصليبيون استعداداً كبيراً إذ جاءوا فرساناً ومشاة لصد غارات المسـلمين[4]، ولما رأى زنكي قوة أعدائه شعر بخطورة الموقف فجمع عساكره، وأخذ يحثهم على القتـال، ويحرضهم على قتال الكفرة الأوغاد المعتدين [5]

وبعد ان نظم عماد الدين زنكي جنـده ومـن أنضـم إلـيهم مـن البـدو والمتطـوعين، أمرهم بالهجوم على جيش الملك فولـك الأنجـولي، فهجمـوا عليـه بشـدة وعنـف، وأعملـوا

(1) الصلابي، الدولة الزنكية، ص173.
(2) ابن الاثير، التاريخ الباهر في الدولة الاتابكية، ص105
(3) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، 259.
(4) باركر، ارنست، الحروب الصليبية، ترجمة، السيد الباز العريني، (القاهر، 1976م)، ص35.
(5) ابن الاثير، التاريخ الباهر في الدولة الاتابكية، ص259.

السيف في رقاب الأعداء[1] ((ولم يزل هذا حتى حمي الـوطيس، فحينئـذ حمـل الصـليبيون حملة اختلط فيها المرؤوس والرئيس، وارتفع، وأشتد اللزام، وعظم الزحام، وصبر الفريقـان صبراً لم يسمع مثلـه في سـالف الـدهور)) [2]، ولم يـدم الأمـر طـويلاً حتـى تسرب الضـعف والوهن إلى قلوب الفرنج، فلم يروا بداً من الحرب مسرعين، والمسلمون يطاردونهم بالرماح والنبال، والبدو بالسيوف، فالتجـأوا إلى حصـن بعـرين لعلـه ينجـيهم مـن قسـوة الأعـداء، فدخلوا الحصن واحتموا به، وظل زنكي يطاردهم حتى الحصن، وحاصره وحاول اقتحامـه، ويظهر أن هذا الحصن كان من أمنع الحصون وأحصنها، ووصف المؤرخون بالمناعـة، ولقـد أجاد ابن الأثير [3] في وصفه وترك لخياله العنان فقال- بعد ان يصف حصار زنكي للحصن: ((فحين نازله طاف به وقابله، فرأى حصناً محلقـاً في الهـواء، مقاربـاً هامـة الجـوزاء، وقـد تشمخ بأنفه عن أن يرام، ونآى بجانبه عن ان يضام، فلا ترمقه الأبصار إلا عادت في حـيرة، ولا تؤممه الطيور إلا أضحت أجنحتها مهيضة كسيرة، ومن به من ملوك الفرنج وفرسانهم، وكهولهم، وشبابهم، واثقين بحصانته، متيقنين أن الحوادث لا تنالهم، وهـم بـه متحصـنون، وأن الأيام لا تنفذ سهامها فيهم، وهم فيه يقومون، وأيـن يكـون ذلـك وقـد أحـدقت بهـم الأسد في عرينها، الذابة عن دين اللـه تعالى ودينها)).

واستمر عماد الدين زنكي ورجاله في حصار الحصن يمطرون من فيه بوابل مـن السهام، وحجارة المنجنيـق، حتـى أدخـل في قلـوبهم الرعـب والـذعر، ولم يجـدوا إلى التخلص من نار الأعداء سبيلاً إلا الاستسلام وطلـب الأمـان حقنـاً لـدمائهم، وراسـلوا زنكي في ذلك، ولكنه أبى إلا أن يستمر في قتالهم إلى النهاية، وأن يدخل الحصـن قهـراً،

---

(1) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص259.

(2) ابن الاثير، التاريخ الباهر في الدولة الاتابكية، ص91.

(3) التاريخ الباهر في الدولة الاتابكية، ص92.

وفيما هو يتابع قتاله إذ بلغه أن بعض الذين نجوا من القتال قد أبحروا إلى بلاد الفرنج يستجدونهم، فكان ذلك حافزاً له على تشديده في أمر الحصار وتضييقه على ساكنيه، وهم لا يزالون يرسلون إليه الرسول تلو الرسول يسترحمونه إيقاف القتال، ويعدونه بالاستسلام، فأجابهم أخيراً إلى ذلك، وتسلم الحصن، و خمسين ألف دينار، بعدما أعطاهم الأمان[1].

وأدى البدو دوراً محورياً في حصار حصن بعرين، إذ شكلوا سنداً قوياً لعماد الدين زنكي في الطرق المؤدية الى الحصن، فقد مكثوا عليها يترقبون وصول أية أمدادات أو نجدات أو قوات مساعدة للصليبيين، فكلما مرت قافلة تحمل مواد الإغاثة لهم من طعام أو شراب أو سلاح كانوا يكمنون لها، ويهاجمونها، ويستولون عليها، فيمنعوها من الوصول [2].

وبذلك قبض عماد الدين زنكي على ناصية ثغر من أهم ثغور الصليبيين في البلاد الشامية، وحصن من أخطر حصون الفرنج على سلامة الدولة الإسلامية، وكان استيلاء زنكي على الحصن قد زاده حيوية ونشاطاً، وتذكر المصادر أنه استولى على المعرة[3]، وكفر طاب[4]، وأعاد للناس أملاكهم التي استولى عليها الصليبيون[5].

(1) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص259؛ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج11، ص21.

(2) ابن الاثير، التاريخ الباهر في الدولة الاتابكية، ص108.

(3) معرة النعمان: وهي مدينة قديمة في الشام بينها وبين حلب خمسة ايام وهي مدينة كبيرة كثيرة المباني والاسواق ولا يوجد فيها ماء جارٍ ولاعين والغالب على ارضها الرمل وشرب اهلها من ماء السماء ولها سبعة ابواب، الحميري، الروض المعطار، ص555.

(4) كفر طاب: وهي بلدة بين حلب والمعرة في برية معطشة اعز الاشياء عند اهلها الماء، ذكر ان اهلها حفروا ثلاثمئة ذراع ولم يخرج لهم الماء، وليس لها الا ما يجمعونه من مياه الامطار، القزويني، اثار البلاد واخبار العباد، ص248.

(5) ابن القلانسي. ذيل تاريخ دمشق. ص41.

ترتبت على معركة بعرين نتائج في غاية الأهمية، فكان سقوط قلعة بعـرين في يـد زنكي، يعني أن قوته كانت آخذة في الازدياد، وهو الأمر الذي ترك اثره بشكل ملحوظ على العلاقات بـين الصـليبيين ودمشـق، إذ انشـغلت الأخـيرة عـن الصـليبيين بـأمر الـزنكيين في المنطقة ولم يتوقف زنكي عند ذلك الحد، بـل أخـذ موقفـه يتحسـن خطـوة فخطـوة عـلى حساب نفوذ الدماشقة، فانطلاقاً من بارين تمكن زنكي من تهديد مـدينتي حمـص وحـماة التابعتين لدمشق، فاستولى على حصن المجدل[1] الواقـع في البقـاع سـنة (532هــ/1137م) من دون مقاومة تذكر، ثم حاول انتزاع حمص مـرتين بـالقوة، وتمكـن أخـيراً مـن ضـمها[2]. وكان من أهـم النتـائج التـي ترتبـت عـلى موقعـة بعـرين هـو اسـترداد إمـارة الرهـا مـن الصليبيين، وهي أول إمارة إسلامية تسقط في أيديهم، وأول إمارة يستردها المسلمون منهم اذ يعد نصراً حاسماً ضد الصليبيين، بعد أن مكثت في حوزة الصليبيين قرابة نصف قرن من الزمان [3].

هكذا أثبتت كل التحركات العسكرية من زنكي، أنه كان يخطط في كـل الاتجاهـات ليصبح على مقربة من الصليبيين عامة، ومملكـة بيـت المقـدس الصـليبية خاصـة[4]. ينظـر ملحق رقم(2).

(1) حصن المجدل: وهو حص ذو جدران كبيرة تملكه عماد الدين زنكي بعد حص بعرين وكـان لصـاحب دمشق؛ علي، خطط الشام، ج2، ص10.
(2) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص413؛الصلابي، الدولة الزنكية، ص160
(3) ابن واصل مفرج الكروب في اخبار بني ايوب، ج1، ص51؛الصلابي، الدولة الزنكية، ص70.
(4) ابن العديم، زبدة حلب في تاريخ حلب، ج2، ص264.

ثانياً: مشاركة البدو في حصار حصن حارم(559هـ/1164م)[1]

انتقل عماد الدين زنكي بجيشه إلى حصن حارم، وضرب عليه الحصار، فطلب الصليبيون الصلح على أن يقاسمهم عماد الدين زنكي كل شئ في ولاية حارم، فوافق بعد أن استشار قواده وزعماء البدو من ربيعة الذين كانوا معه، فقد ذكروا له كثرة الجراح والشهداء في جيشه، فوافق ليعطيهم وقتاً للراحة [2] واجتمع زنكي بقادة جيشه وشيوخ البدو؛ للتشاور في خطة يضرب بها المعسكر الصليبي، فاتفقوا على ضرب الصليبيين بالروم البيزنطيين، وإحداث الخلاف بينهم، فكان زنكي يكاتب الصليبيين في الشام، ويحذرهم من إمبراطور الروم، وكان يراسل ملك الروم ويوهمه بعداوة الصليبيين للبيزنطيين [3].

ونجحت هذه السياسة، ورحل الصليبيون عن الحصن بعد أربعة وعشرين يوماً من الحصار، وتركوا ما نصبوه من المنجنيقات وآلات الحصار، فانتهز عماد الدين زنكي هذه الفرصة، وهاجم جيوش الصليبيين المنسحبين، فقتل منهم جموعاً، وأسر آخرين، وغنم ما تركوه، ونقله إلى حلب[4]،

ثم زحف بجنوده على بعلبك، وضرب عليها الحصار في ذي الحجة سنة (533هـ/1139م)، ونصب عليها المنجنيقات، وضيق عليها الخناق، حتى أشرف أهلها

---

(1) حصن حارم: وهو حصن حصين وكورة جليلة تجاه انطاكيا فيه اشجار كثيرة ومياه وفيرة دارت فيه معركة بين المسلمين بقيادة نور الدين وبين الصليبيين بقيادة بيمند صاحب انطاكيا انتصر فيها المسلمون في رمضان سنة(559هـ/1164م)، وهو من اعمال حلب، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج2، ص205.

(2) ابن الاثير، التاريخ الباهر في الدولة الاتابكية، ص38.

(3) باركر، الحروب الصليبية، ص50.

(4) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج11، ص60.

على الهلاك، وطلبوا الامان، وسلموا إليه المدينة، وبقي فيها جموع الأتـراك، الـذين رفضـوا التسليم، وقاوموا زنكي، إلا أنهم هزموا فقتلهم جميعاً، وكان قد أعطى الأمان لأهل دمشق الذين خافوا على أنفسهم، فضرب زنكي الحصار عليها، وكان أميرها مجير الدين بن محمـد بوري[1] ومعه معين الدين أنر[2] يدير له أمور الدولة، فلجأ انر إلى الفرنجة، واستدعاهم إلى نصرته وفك الحصار عن دمشق وطرد عماد الدين زنكي، وبذل لهم مقابل ذلك أمولاً كثيرة، فضلاً عن قلعة بانياس، وخوفهم من زنكي إذا امتلك مدينة دمشـق، فإنـه لـن يكـون لهـم معه ملك في بلاد الشام [3].

وتشاور زنكي مع خاصته وشيوخ ربيعة فأشاروا عليه بفك الحصار عـن دمشـق والرحيل، فخرج في جنوده الى حوران في رمضان سـنة(534هــ/1140م)، فلـما سـمعت الفرنجة بذلك، انصرفوا عـن الـدخول معـه في حـرب، وآثـروا السـلامة، وعـاد زنـكي إلى حلب، فانتهز الصليبيون فرصة رحيله، وحضروا الى دمشق بقيادة أرنـاط أمـير أنطاكيـة الصليبي، وخرج معه معين الدين أنر في جنود من الشام؛ ليعاونهم عـلى تملـك بانيـاس التي كانت تحت نفوذ زنكي، ودارت معركة بين واليهـا التـابع لـزنكي والصـليبيين ومـن معهم، وحاول أهل بانياس الدفاع عنها، فهزمـوا وسـلمت المدينـة للصـليبيين، بعـد أن قتلوا واليها. [4]ولولا تحالف الدماشقة بقيادة معين الدين أنر مع الصـليبين، لسـقطت

---

(1) مجير الدين: ابق بن محمد بن بوري بن طغتكين التركي ابو سـعيد صـاحب دمشـق وابـن صـاحبها جمال الدين بن تاج الملوك الدمشقي ولد في بعلبك واقيم في امارة دمشق، الصفدي، صلاح الـدين خليل (ت، 764هـ) الوافي بالوفيات، ج6، ص130.

(2) معين الدين انر: وهو احد مماليك طغتكين توفي في دمشق سنة(544هـ) وهو والد عصـمت خـاتون زوجة نور الدين محمود وزوجة صلاح الدين الايوبي؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج9، ص234.

(3) باركر، الحروب الصليبية، ص51.

(4) ابن واصل، مفرج الكروب في اخبار بني ايوب، ج1، ص40.

مملكة بيت المقدس اللاتينية في زمن مبكر عن الزمن الذي سقطت فيه فعلاً سنة(583هـ/1187م) وهذه الوقعة كانت مفتاح الفتوح الإسلامية، وبها تيسّر فتح بيت المقدس على يد الناصر صلاح الدين [1].

(1) ابن واصل، مفرج الكروب في اخبار بني ايوب،ج2،ص188؛ رنسيمان، الحروب الصليبية، ج2، ص213.

المبحث الثالث

اسهام البدو في تحرير إمارة الرها

من الصليبيين بقيادة عماد الدين زنكي

(539هـ/1144م)

كان البدو من بني مرا من ربيعة قد ساعدوا - كعادتهم- زنكي في استرداد الرها من الصليبيين، فكانوا عيونه على الطرق ينقلون له الأخبار، وكانوا يقطعون على الصليبيين طرقهم بالغارات، أو نصب الكمائن لهم [1]، في الوقت الذي كان التحالف المبرم بين البيزنطيين والصليبيين قد تصدع، وكشف كل فريق عن عدائه للآخر، ففي سنة (539هـ/1144م)، انتهز عماد الدين زنكي هذه الفرصة، فاستأنف جهاده ضد الصليبيين، فسار إلى ديار بكر[2]، وفتح منها عدة حصون، واستولى على بعض حصون ماردين التي كانت بيد جوسلين أمير الرها الصليبي، وكان غرض زنكي هو أن يوهم الصليبيين أنه غير متفرغ لقصدهم في الرها[3].

وأطمأن الصليبيون عندما رأوا زنكي يحارب غيرهم، وظنوا أنه غير قادر على الحركة والمسير إليهم، فخرج جوسلين من الرها، وعبر نهر الفرات إلى الشام، وبلغت

(1) ابن الجوزي، المنتظم، ج9، ص453.

(2) ديار بكر: وهي في الاصل جزيرة ابن عمر وتسمى بـ(ديار بكر) وهي بلاد كبيرة ذات قرى ومدن واسعة تقع بين الشام والعراق وتنتسب الى بكر بن وائل حدودها غرب دجلة الى بلاد الجبل المطل الى نصيبين؛ القزويني، آثار البلاد واخبار العباد، ص368، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج2، ص494؛ ابن عبد الحق، مراصد الاطلاع عن اسماء الامكنة والبقاع، ج2، ص547.

(3) ابن الاثير، التاريخ الباهر في الدولة الاتابكية، ص112

هذه الأخبار عماد الدين زنكي، الذي أسرع بالمسير إلى الرها، وأخذ يقاتل من فيها ثمانية وعشرين يوماً، إلى أن سقطت الرها في يده سنة(539هـ/1144م) [1]وملك القلعة كذلك[2].

وكان لسقوط الرها صدمة نفسية مؤلمة وعنيفة على الصليبيين، اذ ترددت أصداؤها في كل مكان[3]، فقد كانت المدينة ترتبط بتراث المسيحية الباكر، فضلاً عن أن سقوطها بعد أقل من خمسين عاماً من استيلاء بلدوين البويوني عليها كان نذير شؤم بالنسبة إلى الصليبيين[4].

وعلى المستوى العربي الإسلامي، فقد كان نجاح المسلمين بقيادة عماد الدين زنكي يعدّ تعزيزاً لجهود الوحدة العربية الإسلامية الذي هو مؤسسها، وتكفي الإشارة إلى حالة الضعف والخوف والذل التي كان عليها المسلمون قبل استعادة الرها والتي اتبعها الصليبيون في معاملتهم، بحيث أصبحت لهم الكلمة الاولى والأخيرة، ولدرجة حملت المسلمين على ترك مساكنهم ومدنهم خوفاً منهم [5]، وعندما ملك عماد الدين زنكي البلاد فعل بالصليبيين ما فعل، ولو لم يكن له فيهم نكاية غير استرداد الرها من أيديهم لكان ذلك عظيماً ولكفاه [6].

(1) سبط ابن الجوزي، مرأة الزمان في تواريخ الاعيان، ج8، ص191.
(2) كمال، مملكة بيت المقدس، ص146.
(3) الجنزوري، امارة الرها الصليبية، دار الفكر العربي (القاهر، 1978م) ص124.
(4) الجنزوري، امارة الرها الصليبية، ص343.
(5) عاشور، الحركة الصليبية، ج2، ص604.
(6) ابن الاثير، الباهر في الدولة الاتابكية، ص116.

وكان سقوط الرها في يد المسلمين كسباً كبيراً لأنه جعل وادي الفـرات كلـه منطقـة إسلامية، وضمن للمسلمين السيطرة على طرق المواصـلات التـي تـربط بـين شـمال الشـام، والعراق، والجزيرة[1].

وكان لسقوط الرها في ايدي المسلمين، رد فعل عنيف في الغرب الأوربي، فقـد خشي الأوربيون وقادتهم انهيار الإمارات الصـليبية الواحـدة تلـو الأخـرى، وضـياع مملكـة بيـت المقدس الصليبية لأن الرها كانت تشكل خطراً كبيراً على خطـوط المواصـلات بـين الموصـل وحلب، وبين بغداد وبلاد سلاجقة الروم في أسيا الصغرى، وكانـت غـارات الصـليبيين تشـن منها[2]، وادى فقدان الرهـا الى انـدلاع الحملـة الصـليبية الثانيـة في سـنة(540هــ/1145م) وانطلق ملوك اوربا وقادتها الى القتـال في بـلاد الشـام والتـي قادهـا كـونراد الثالـث ملـك ألمانيا(533- 547هــ/1138- 1152م)، ولـويس السـابع ملـك فرنسـا(532- 576هــ/1137- 1180م) واللذان أخذا شارة الصليب؛ نتيجـة لسـقوط الرهـا في أيـدي قـوات عـماد الـدين زنكي[3] وفيما بين سنوات(540هـ-542هـ/1145-1147م) جرت أحداث تلك الحملـة، التـي وصلت الى المنطقة العربية في اواخر سنة (542هـ/1147م)، وبداية سنة (543هـ/1148م)، وكان مصيرها هزيمة فادحة على أيدي المسلمين، ونجا الملك الفرنسي لـويس السـابع(532- 576هـ/1137- 1180م) من الأسر والقتل بأعجوبة بعد تمزق وتفرق جيشه [4].

(1) ابن الاثير، الكامل في التاريخ،ج9،ص331,

(2) عاشور، سعيد، الحركة الصليبية، ج2، ص 604.

(3). Asbridge. Thomas. *The crusade* (. ispn2010). p: 288

(4) قاسم، ماهية الحروب الصليبية، ص137.

اما عن موقف الصليبيين في بلاد الشام فلم يكـن أفضـل، فعـلى الـرغم مـن اغتيـال عماد الدين زنكي غيلة على يد بعض خدمه واصلة فرنجي ويدعى يرنقش[1] في ربيع الأخـر سنة(541هـ/1146م)وذلك اثناء حصاره لقلعة جعبر[2] التي كانت بيد مالك بـن سـالم بـن مالك بن بدر العقيلي[3] وباستشهاد عماد الدين زنكي طويت صفحة مجيدة مـن صـفحات الجهاد ضد الصليبيين [4]، إلا ان جوسلين الثاني أمير الرها الصليبي قـد فشـل في اسـترجاعها، وفشلت قادة الحملة الثانية أيضاً في استرداد الرها، الهدف الـذي خرجـت الحملـة لأجلـه، وبدلاً من أن يهاجم لويس السابع الرها، انضم إلى قوات كونراد الثالث في فلسطين، وبـدلاً من مهاجمة الرها قام الصليبيون بالهجوم على دمشق والذى انتهى بالفشل، وعاد كـونراد الثالث إلى ألمانيا، ولويس السابع إلى فرنسـا بعـد ان مكـث في الأرض المقدسـة حتـى عيـد الفصح سنة (544هـ/1149م) [5].

---

(1) يرنقش:وهو احد خدم عماد الدين زنـكي والي امـرة العـراق وشـحنكيتها وهـو قاتـل الشـهيد عـماد الدين زنكي عندما كان يحاصر حصن جعبر فرتقت به الحال الى ان صار مـن كبـار الدولـة وكانـت وفاته 450هـ،الذهبي، تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والاعلام، ج11، ص738.

(2)قلعة جعبر: تقع على الفرات بين بالس والرّقّة قرب صفّين، وكانت قديماً تسمّى دوسر استملكها رجل من بني قشير ضرير يقال له جعبر بن مالك وكان يخيف السبيل ويلتجئ إليها، ولما قصد السلطان جلال الدين ملك شاه بن أرسلان ديار ربيعة ومضر نازلها وأخذها من جعبر ونفى عنها بني قشـير وسار إلى حلب وقلعتها لسالم بن مالـك بـن بـدران بـن مقلّـد العقـيلي، يـاقوت الحمـوي، معجـم البلدان،ج2،ص142.

(3) مالك بن سالم: هو بدران بن مالك بن سالم بن ملك بن بدارن بن مقلد بن الامسيب صاحب قلعـة جعبر ؛الذهبي، تاريخ الاسلام ووفيات الاعلام والمشاهير، ج11، ص501.

(4) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص 285؛ابو شامة، الروضتين في اخبار الدولتين النورية والصلاحية، ج1، ص 107؛الحويري، بناء الجبة الاسلامية المتحدة واثرها في التصدي للصليبيين، ص93.

(5) الجنزوري، اماره الرها الصليبية، ص 322.

وهكذا انتهت الحملة الصليبية الثانية بالفشل، إلا أنها ألقت بمدينة دمشق في يد نور الدين محمود بن عماد الدين زنكي، والذي سار على نهج والده في توحيد الجبهة العربية الإسلامية؛ للقضاء على الوجود الصليبي في بلاد الشام [1].

مشاركة البدو في التصدي للحملة الصليبية الثانية (540هـ- 544هـ/ 1145- 1149م)

وقد انتشرت على نطاق واسع في انحاء الغرب اللاتيني جميعاً وتلاوة العديد من التجمعات العامة والتجمعات الجماهيرية فقد اصبح أنموذجاً للتبشير بالحملة الصليبية الثانية في انحاء اوربا جميعاً. وتهدف الرسالة الى تحقيق هدفين متشابكين لتحديد التفكير البابوي الرسمي في الرحلة الاستكشافية وتحديد الامتيازات والمكافئات التي يحصلون عليها ولتحفيز التجنيد بتحديد اسباب الحملة الصليبية[2] وقد أدى البدو دوراً مهماً في هزيمة الحملة الصليبية الثانية، إذ عملوا كعيون لجمع المعلومات عن القدرات العسكرية لقواد الحملة كونراد الثالث ولويس السابع [3]، واشتغلوا كأدلاء للجيوش الإسلامية التي واجهت هذه الحملة [4]، إلى جانب تزويد المقاتلين بالمؤن والمياه والأسلحة، وكمنوا للقوات الصليبية في الطرق وفوق الجبال، وكان من عاداتهم اشعال النيران في معسكرات الصليبيين؛ لحرق المؤن ومخزون الطعام

---

(1) ابو شامة، الروضتين في اخبار الدولتين النورية والصلاحية، ج1، ص 110؛الشامي، تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب، ص32.

(2) توماس اسبيرتج، ص269

(3) ابو شامة المقدسي، الروضتين، ج1، ص 122.

(4) ابن الاثير، التاريخ الباهر في الدولة الاتابكية، ص د148

والأسلحة [1]امما أدى إلى انتصار المسلمين. ليتسلم نـور الـدين محمـود رايـة الجهـاد ضـد الصليبيين، فماذا كان موقف البدو منه. ينظر الملحق رقم(3)

(1) الشامي، تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب، ص 131.

المبحث الرابع

اسهام البدو في مقاومة الحملات الصليبية

في عهد نور الدين محمود

(541- 569هـ/1146- 1173م)

تولى نور الدين محمود حكم الدولة الزنكية بعد مقتل والده عماد الدين زنكي بن أقسنقر، والملقب بعدة ألقاب: صاحب الشام، وناصر أمير المؤمنين، وتقي الملوك، وليث الإسلام، وأبي القاسم محمود بن الأتابك قسيم الدولة أبي سعيد عماد الدين بن زنكي ولد في شوال سنة(511هـ/1117م)[1]، كان والده يقدمه على أخوته لأنه كان يرى فيه القوة والعزم والاصرار على محاربة الصليبيين [2]ولما كبر وقوي عوده لزم والده حتى مقتله سنة (541هـ/1047م)[3]، وبعد مقتل عماد الدين زنكي انقسمت الدولة الزنكية بعد مؤسسها على قسمين بين ولديه سيف الدين غازي الذي حكم الموصل والجزيرة، ونور الدين محمود الذي حكم حلب وما جاورها، من مدن الشام، وكان نهر الخابور هو فرع من نهر الفرات الحد الفاصل بين أملاك الأخوين وقد اختلفت ظروف كل منهما في السيطرة على الحكم[4] وعلى الرغم من هذا التقسيم الذي اصاب دولة

---

(1) ابن خلكان، (ت، 681هـ) وفيات الاعيان وانباء أبناء الزمان ج4ص438.

(2) الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج15، ص277.

(3) ابن الاثير، التاريخ الباهر في الدولة الاتابكية، ص88.

(4) الذهبي، تاريخ الاسلام،ج11، ص863؛ آل فتاح، شكيب راشد، توجهات نور الدين محمود بعد مقتل ابيه عماد الدين زنكي مقاربة ما بين الطموح الشخصي والمحافظة على البيت الزنكي، مجلة دراسات موصلية، العدد(56) تشرين الثاني (سنة 2020م) ص53؛ بخيت، الاوضاع السياسية في بلاد الشام في العهد الزنكي، مجلة جامعة كركوك للدراسات الانسانية، ص5.

عماد الدين زنكي إلا أن هدف الوحدة بسبب الوجود الصليبي ورغبة آل زنكي في طـرده والجهاد في سبيل اللـه هو الشغل الشاغل لهما لـذا، سـارت العلاقـات بـين الأخـوين في جو من الود وكانت حلب تشكل - بالنسبة الى الموصل- خط الدفاع وصمام الأمان ضد أي خطر تتعرض له، وكان من مظاهر التعاون بين الأخوين اشتراك قـوات كـل مـنهما في الجهاد ضد الصليبيين وذلك في الدفاع عن دمشق ضد الصليبيين الذين حاصرت قـواتهم المدينة في الحملة الصليبية الثانية عام (543هـ/1148م)، ونجاحهما في حمـل الصـليبيين على الرحيل عن دمشـق[1]، ومـن مظـاهر التعـاون أيضـاً، اشـتراك عسـاكر الموصـل مـع عساكر نور الدين محمود في فتح حصن العريمة[2] وطرد الصليبيين منـه، وأيضـاً اشـتراك عسـاكر الموصـل مـع قـوات حلـب في هزيمـة الصـليبيين في أنـب[3]، وفي فـتح أفاميـة[4] سنة (544هـ/1149م[5] إلا أن المـوت عجـل برحيـل سـيف الـدين غـازي بالموصـل في جمادي الأخرة من سـنة (544هـ/1149م) ودفـن في المدرسـة التـي بناهـا بالموصـل [6]، وتولى بعده قطب الدين مودود زنكي إمارة الموصل، وسـاءت العلاقـات بينـه وبـين نـور الدين محمود زنكي في البداية، ثم سرعان ما تحسنت، وانتهى الأمر بـانفراد نـور الـدين

(1) أبو شامة المقـدسي، الروضـتين في اخبـار الـدولتين النوريـة والصـلاحية، ج1، ص228؛الحـويري، بنـاء الجبهة الاسلامية المتحدة واثرها في التصدي للصليبيينص93,

(2) حصن العريمة: تصغير العرمة وهي قلعة بين اجاء وسلمى وهي رمال وفيهـا مـاء يعـرف بالعبسـية، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج4، ص115.

(3) انب: وهو حصن من اعمال اعزاز من نواحي حلب حـدثت فيـه معركـة بـين المسـلمين بقيـاد نـور الدين محمود والصليبيين بقيادة ريموند الثاني وتم سحق الجيش الصـليبي فيهـا، ابـن عبـد الحـق، مراصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع، ص120؛علي، خطط الشام، ج2، ص22.

(4) أفامية: وهي قاعدة سـورية مـن اعـمال شـيزر جنـوب انطاكيـا، يـاقوت الحمـوي الحمـوي معجـم البلدان، ص277.

(5) ابن العديم، زبدة حلب في تاريخ حلب، ج2، ص544.

(6) ابن الاثير، التاريخ الباهر في الدولة الاتابكيه، ص92.

محمود بحكم الدولة الزنكية [1]. وكان هدف نور الدين محمود الوحيد والأهم هو توحيد الجبهة الإسلامية ضد الصليبيين، وقد أحبه الناس عامة حتى الفلاحين والبدو؛ لخصاله الحميدة، فقد كانت قلوب الفلاحين والبدو معه؛لأنه منع أصحابه من العبث في مزارعهم ومراعيهم، وأعلن أنه جاء ليحمي اعمالهم من تخريب الصليبيين[2].

ففي سنة (547هـ/ 1152م) عندما تقدم الى دمشق لضمها الى جبهة القتال، حاول حاكمها مجير الدين الاستعانة بالبدو ضده فرفضوا الخروج لمعاونته، أو حتى إمداده بأي معلومات عن توجهات نور الدين محمود؛ لأنهم يعلمون استنجاد مجير الدين بالصليبيين ولحسن سيرة نور الدين تجاههم [3]

لقد تأكد لنور الدين محمود بما رآه وعلمه أن الصليبيين قد جاءوا إلى المشرق الإسلامي بقصد البقاء، على الرغم من فشل الحملة الصليبية الثانية في استعادة إمارة الرها، التي استردها والده منهم، وكان عليه الحفاظ عليها، فضم دمشق في صفر سنة (549هـ/1154م)[4].

ويعد ضم دمشق من أهم إنجازاته الخارجية،، وتحقق الحلم الذي طالما راود الزنكيين، فأصبحت بلاد الشام والجزيرة تحت سيطرته، وصار الصليبيون بذلك يواجهون عدواً خطيراً[5]، واذا كان الملك بلدوين الثالث بإسقاطه عسقلان سنة (548هـ/1153م) قد أكمل مد النفوذ الصليبي على كل الساحل الشامي، فإن استيلاء نور الدين محمود على دمشق جعل داخلية بلاد الشام من الفرات في قبضة قوة

---

(1) حبشي، نور الدين محمود والصليبيون، ص309.
(2) القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص310.
(3) ابن كثير، البداية والنهاية، ج12، ص288.
(4) ابو شامة، الروضتين، ج1، ص64.
(5) عاشور، الحركة الصليبية، ج1، ص211.

إسلامية واحدة[1]، وتلك هي المرة الأولى التي توحدت فيها الشام منذ العصر السلجوقي، وصار بإمكان نور الدين محمود أن يوجه ضرباته لأعدائه في الشمال صوب أنطاكية، وعلى الجنوب صوب منطقة الجبل الأعلى والحدود الشمالية لمملكة بيت المقدس الصليبية، وأدى ضم دمشق الى فتح الطريق أمام القاهرة الفاطمية، التي غدت محط انظار الطرفين نور الدين محمود والصليبيين على حد سواء[2].

وقد عاصر عهد الدولة النورية أثنان من أقوى ملوك مملكة بيت المقدس الصليبية، وهما: بلدوين الثالث (539-557هـ/1144-1163)، وعموري الأول(557-568هـ/1162-1174م)، وكانت مصر تمثل للصليبيين القوة والقدرة العسكرية والاقتصادية، فقد حاولوا دخولها منذ الملك بلدوين الأول، وإلا أنه مات في الطريق وفشلت حملته[3].

وأراد عموري الأول توسيع مملكته، وغزو مصر وإخضاعها لسيطرته، وتعاون مع البيزنطيين لأجل ذلك، وعمل نور الدين محمود على التصدي لمشاريع عموري التوسعية ولاسيما ضم مصر، وكان دافعه في ذلك أنه إذا سقطت مصر في يد الصليبيين فسوف تنهار الوحدة الإسلامية وسيتغير وجه التاريخ[4] وجاء الى مصر كل من نور الدين محمود وعموري الأول على طبق من ذهب، إذ كان الوضع الداخلي في القاهرة الفاطمية مأساوياً ؛بسبب ضعف الخلفاء الفاطميين، وتنازع الوزراء، واستنجاد كل منهم بقوة تحميه وتعينه على اعتلاء كرسي الوزارة الفاطمية، لذا دب النزاع بين الوزير شاور، وصاحب الباب ضرغام، وفر شاور يستنجد بنور الدين

(1) الشامي، العلاقات بين الشرق والغرب، ص65.
(2) عاشور، فايد حماد، الجهاد الاسلامي، ص256.
(3) وليم الصوري، تاريخ الحروب الصليبية، ج1، ص543
(4) عاشور، سعيد عبد الفتاح، الحركة الصليبية، ج1، ص498.

محمود، وستعان ضرغام بالصليبيين[1] فكان ما يعرف بالحملات النورية على مصر في ثلاث حملات متعاقبة بقيادة أسد الدين شيركوه، ومعه ابن اخيه صلاح الدين الأيوبي[2] لمواجهة قوات عموري الأول التي دخلت مصر أكثر من مرة، ولكنها فشلت في الاستيلاء عليها، والتي انتهت بسقوط الخلافة الفاطمية، وقيام الدولة الأيوبية، إذ سقط اسم الخليفة العاضد الفاطمي آخر خلفاء الفاطميين في مصر سنة (567هـ/1176م)، ودعا لأمير المؤمنين المستضئ بنور الله العباسي(566- 576هـ/1170- 1180م) [3]، وكان ذلك بترتيب بين صلاح الدين الأيوبي وسيده نور الدين محمود[4].

وكانت بادية الشام منذ القدم مكاناً توجد فيه القبائل العربية التي كانت تعيش حالة البداوة، وتعد هذه البادية موطنها، وأن سهول الشام هي عمقها الحيوي، الذي تفزع إليه سلماً أو حرباً عند الخطر، وعند انعدام مصادر الحياة في البادية، وكانت ممالك الشام كالقوس حول بادية الشام من حلب الى حماة، فحمص، فدمشق، فالكرك، وكل من هذه المدن كانت تقوم بدور البوابة ما بين البادية وجزء آخر من هذا الاقتصاد كان يعتمد على تسيير القوافل التجارية عبر البادية، لذا كانت علاقات تلك الممالك مع البدو في غاية من الأهمية، وللسبب نفسه، كان لأمراء البدو علاقات مميزة مع ملوك وأمراء الشام[5].

---

(1) الذهبي، تاريخ الاسلام، ج12، ص22؛الملا جاسم، ناصر عبد الرزاق، ومحمد عبيش سبكي، الصراع بين نور الدين زنكي والملك الصليبي عموري الاول للسيطرة على مصر، مجلة دراسات موصلية، العدد(61) (سنة، 2022م) ص4- 5

(2) الشامي، العلاقات بين الشرق والغرب، ص138- 149.

(3) ابن تغردي بردي، النجوم الزاهره، ج5، ص347.

(4) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج11، ص399.

(5) الحايك، العلاقات الدولية في عصر الحروب الصليبية، ج1، ص158.

وكانـت لملـوك الشـام مـن الـزنكيين أسـباب أخـرى لا تقـل أهميـة عـن الأسـباب الاقتصادية لإقامة أوثق العلاقات مع البدو، فالقبائل العربية البدوية لها طريقتها الخاصة في القتال التي تعتمد عل الكر والفر والسرعة الهائلة في التحرك، ولا تستطيع الجيوش النظامية مجاراتها، مما أجبر ملوك الدولة الزنكية وغيرها على اصطناع كل منهم للقبائل البدوية التي تجاوره، لا ليأمن شرها على أريافه، وقوافله التجارية فحسب بل لتكون – وقت الحاجة- رديفاً لقواته، وطليعة لها، أو للتصدي لعربان الملوك المعادين أو لمواجهة وإرشاد الزنكيين لأماكن وكمائن الصليبيين[1].

وقد استعمل نور الدين محمود البدو في كل حروبه ضد الصليبيين، إما بشكل قوات عسكرية رديفة لجيش النوري النظامي، او على شكل كمائن، تنقض في الوقت المناسب على قوات العدو، كما واستعمل نور الدين محمود القبائل البدوية لشن الحرب الاقتصادية في بلاد خصومه يرعي الزروع، وقطع الأشجار، ونهب القرى[2].

وبلغ من اختصاص ملوك الدولة الزنكية بجماعات البدو وقبائلهم، أنه كان يقال: ((عرب الملك عماد الدين زنكي))، و((عرب الملك نورالدين محمود))، و((عرب الملك سيف الدين غازي))، [3].

كذلك كانت قبائل البدو تدفع الضرائب للملك الذي تعيش في جواره، وكانت الضريبة المفروضة عليهم تسمى بـ(العداد)، وما تزال هذه الضريبة مفروضة حتى

(1) الحايك، العلاقات الدولية في عصر الحروب الصليبية، ج1، ص158.
(2) ابن العديم، زبدة الحلب في تاريخ حلب، ج1، ص470.
(3) ابن واصل، مفرج الكروب في اخبار بني ايوب، ج1، ص342.

الوقت اي: في القرن السابع الـلـهجرة[1] ولهـا الاسـم نفسـه[2]، وهـي تحقيـق وفقـاً لعـدد الاغنام والإبل التي يمتلكها كل شيخ قبيلة أو كل شخص من البدو، فيقوم الوكيل ويسـمى عند البدو (العداد) بتعداد الماشية، ويتسلم ضريبة كل رأس منهـا، ويبـدو أن وجـود أمـير العرب لم يمنع ملوك بني زنكي مـن إرسـال وكلائهـم الخاصـين مـن القيـام بالعـداد، وأخـذ الضريبة مباشرة من البدومن دون واسطة أمير العرب [3].

وربما كانت وظيفته سياسية وعسكرية فقـط بعـرف الملـوك، ولاعـتماد البـدو عـلى تربية الماشية فقد كان يتم في أماكن وجودهم رعي كثيف للأعشاب، لذا كانـت السـلطات المحلية تزيحهم بالحملات العسـكرية، أو عـن طريـق الملـك في تنقلاتـه؛ لتـوفير الأعشـاب للحملة، أو للحاشية، ودواب الحمل، والركوب العديدة فيها [4].

وكانت قبائل طيء اليمنيـة بزعامـة آل جـراح مـن أكـبر القبائـل البدويـة التـي كانت تسيطر على جنوب الشام ووسطه في العصر الزنكي والفاطمي، وقد شاركت هذه القبائل في الجانبين، فكانت تشارك نور الـدين محمـود في حروبـه ضـد الصـليبيين، وفي الوقت نفسه كانت تساند وزراء الدولة الفاطمية في صراعهم حـول الـوزارة، وبطبيعـة

---

(1) كانت السلطات الحاكمة تجمع الضرائب من سكان البدو الذين يسكنون في المناطق المجـاورة لهـم في ذلك الوقت وكانت هذه الضرائب تجمع عن طريق الموظـف عنـد البـدو ويسـمى بـ(العـداد) وكانت هذه الضرائب تأخذ بطريقة مباشرة؛ ينطر: ابن العديم، زبدة حلـب في تـاريخ حلـب، ج2، ص66,

(2) ابن العديم، زبدة الحلب في تاريخ حلب، ج2، ص622

(3) رسالة جوزيف دي كانسي، من فرسان مستشفى القـديس يوحنـا الى الملـك أدوارد الاول؛ الموسـوعة الشـاملة، د- سـهيل زكـار، ج36، ص369؛الحايـك، العلاقـات الدوليـة في عصر الحـروب الصـليبية، ص159.

(4) علي، خطط الشام، مكتبة النور، ط3، (دمشق، 1983) ص50

الحال كان ذلك يصب في صالح الصليبيين[1]، وكانت الحملات النورية التي أرسلها نور الدين محمود الى مصر لردع الصليبيين بقيادة الملك عموري، والتي كان أولها سنة(559هـ/1163م)، وقد شارك البدو فيها، بأعمال كثيرة، مثال على ذلك: أنهم كانوا ينصبون الكمائن لجيوش عموري الوافدة الى مصر على طول الطريق من بلاد الشام الى القاهرة، لاسيما عرب مدينة بلبيس الذين ساندوا شيركوه في موقفه ضد شاور الذي غير موقفه من الصديق الى العدو، واتخذ أسد الدين شيركوه إقليم الشرقية مقرا له، ومعسكراً لجنوده، وكانت قبائل البدو فيه خير معين له[2].

وعندما تحرك جيش أسد الدين شيركوه فيما يسمى بالحملة النورية الثالثة سنة(564هـ/1168م)، وسلك طريق الصحراء ليتفادى الدخول في حرب مع القوات الصليبية، كانت القبائل البدوية في صحراء مصر الشرقية، وعلى طول الطريق من العريش الى القاهرة خير مساند ومعين له؛ لكرههم الصليبيين والفاطميين معاً، وألتفت القبائل البدوية والمصريون حوله، ورحبوا به؛ ليدفعوا به ضد الصليبيين عن أنفسهم[3].

وشارك البدو في مصر في إرغام الملك عموري إلى الرجوع الى بيت المقدس سنة (564هـ/1169م) عندما رأى استيلاء أسد الدين شيركوه على القاهرة، فأدرك عموري صعوبة موقفه، واستحالة الاستيلاء على القاهرة بعد أن انضم إلى شيركوه أهلها وبدو الصحراء في الجيزة والفيوم والصعيد، [4] فارتد إلى بلبيس منسحباً مع قواته، وهناك أنهكه بدو بلبيس من عرب لخم، وجذام، وبلي، وجهينة، وبني مرة، وكنانة، ومنعوا عنه

(1) الحايك، العلاقات الدولية في زمن الحروب الصليبية، ص159.
(2) المقريزي، اتعاظ الخنفا بأخبار الائمة الفاطميين الخلفاء، ج2، ص370.
(3) ابن واصل، مفرج الكروب في اخبار بني ايوب، ج1، ص160
(4) المقريزي، اتعاض الحنفاء بأخبار الائمة الفاطميين الخلفاء، ج2، ص411.

الماء والطعام، فاضطر الى مهادنتهم، وبذل لهم الأموال، ومنها أسرع الى مملكة بيت المقدس[1].

وفي الطريق إليها كان البدو على طول الطريق قد أقاموا الكمائن لجيش الملك عموري، فقتلوا منه العديد وأسروا أعدادا أخرى، وغنموا الكثير من الأسلحة والإبل والخيل والأغنام[2]. وأثناء صراع نور الدين مع الدماشقة معين الدين أنر، وغيره، والذين والوا الصليبيين، فعندما علموا أن نورالدين محمود على نية لمهاجمة دمشق وفتحها، تحركوا لمهاجمته، وكان معسكراً في ناحية الأعوج من البقاع، فتركها عندما علم بتحركات الصليبيين، وقربهم وعزمهم على قصده، واقتضى رأيه الرحيل إلى ناحية الزبداني، وفرق نحو أربعة آلاف فارس من فرسانه للانتشار في أعمال حوران، والمهم في هذا الأمر أن البدو الذين في حوران كانوا على علم بتحركات كل من جيش الصليبيين، وجيش نور الدين محمود [3].

ودليل ذلك أن هدف نور الدين من نشر قواته ((ليكونوا في أعمال حوران مع العرب لقصد ازعاج الفرنج، ولقاءهم، وترقباً لوصولهم، وخروج المعسكر الدمشقي إليهم، واجتماعهم بهم)) [4]، ليوقع بينهم بعد ذلك وهم مجتمعين، غير أن هذه الخطة التي رسمها نور الدين محمود لم تنجح؛ لأن القوات الصليبية حولت مسارها إلى ناحية حصن بصري، لتملكه˛ أما الجيش الدمشقي الحليف لهم، فإنه لم يصل كما

(1) ابن تغردي، بردي، ا لنجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج1، ص376.

(2) ابن الاثير، التاريخ الباهر في الدولة الاتابكبة، ص191.

(3) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص487؛ ابو شامة، الروضتين في اخبار الدولتين النورية والصلاحية، ص89.

(4) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص487

كان مقرراً له ((لعجزهم واختلافهم))[1]، وهنا قام البدو وكانوا في خلق كثير، بقصد الإفرنج؛ للإيقاع بهم والنكاية فيهم، مما جعل الصليبيين يفرون إلى حوران؛ للاحتماء بها[2].

وترك نور الدين وجيشه الصليبيين يتلقون الضربات الخاطفة عبر حرب العصابات التي يمارسها البدو الذين يعتمدون على أسلوب الكر والفر، وعاد ليحاصر دمشق [3]، ودام موقف البدو الواضح في مقاومة الصليبيين حتى بعد نجاح نور الدين محمود في ضم مصر إلى أملاكه، ويظهر لنا ذلك في عام (552هـ/1157م)، عندما هاجم هؤلاء البدو معسكراً للصليبيين (على الملاحة[4] بين طبرية وبانياس)، وزاد الأمر سوءاً على الصليبيين بعد وصول نور الدين بجيشه، ليساند مجموعات البدو، ونجحوا في هزيمة القوات الصليبية، ولم يستشهد في معسكر المسلمين سوى رجلين((أحدهما من الأبطال المذكورين قتل اربع من شجعان الكفرة))[5]، والثاني فيبدو أنه من البدو؛ لأنه ((غريب لا يعرف، وكل منهما مضى شهيداً مثاباً ماجوراً رحمهما اللـه))[6]، ولو كان جندياً في صفوف الجيش النوري لاستطاع الجيش التعرف عليه[7] وعلى الرغم من

---

(1) ابو شامة، الروضتين في اخبار الدولتين النورية والصلاحية، ص266.

(2) الفراني، عبد الحميد، جمال، المقاومة الشعبية للاحتلال الصليبي في بلاد الشام، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الاسلامية (غزة، 2005م) ص194.

(3) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص266.

(4) الملاحة: وهي توجد في حلب ويصب اليها مياه وادي بطنان وهو نهر الذهب يجمد ويصبح ملحاً ويحمل الى الكثير من بلدان الشام وبعض الجزيرة، وكانت الطيور تتجمع حولها قبل انجمادها وكان يوفر كل عام مئة وعشرين الف دينار؛ صفي الدين، مراصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع، ص120؛الحموي، معجم البلدان، ج2، ص107.

(5) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمسق، ص523

(6) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص341.

(7) ابو شامة، الروضتين في اخبار الدولتين النورية والصلاحية، ج1، ص343

الدور الإيجابي للبدو أيام الدولة الزنكيـة، إلا أن بعضـهم أدى دوراً سـلبياً، وكـانوا ينقلـون الأخبار إلى الصليبيين، مقابل المال الذي أغرى به الصليبيون بعض البدو[1]

(1) الفراني، المقاومة الشعبية للاحتلال الصليبي في بلاد الشام، ص194.
(6) ومازال هذا الوضع قائماً حتى الآن في فلسطين المحتلة، من عصابات الصهاينة.

الفصل الثالث

إسهامات البدو
في مقاومة الحملات الصليبية
في العصر الأيوبي
(569هـ/648هـ/1170-1250م)

المبحث الاول: نبذة عن الدولة الأيوبية

المبحث الثاني: إسهام البدو في مقاومة الحملات الصليبية في العصر الأيوبي.

المبحث الثالث: مشاركة البدو في معركة حطين(538هـ/1143م) في العصر الايوبي

المبحث الرابع: اسهام القبائل العربيـة في مصر في الـعصر الايـوبي ومشـاركتها في معركـة المنصورة

المبحث الاول

نبذة عن الدولة الأيوبية

تُنسب الدولة الأيوبية إلى نجم الدين ابي الشكر أيوب بن شادي بن مروان من أهل مدينة دوين[1] بأرمينية، وهم من الأكراد الراونديـة[2] وهـم قبيلـة كبـيرة مـن اشراف الاكراد جاءوا الى بغداد وخدموا مجاهد الدين بهروز[3] شحنة بغداد فرأى في نجـم الـدين عقلاً راجحاً وحسن سيرة [4]ومنحه قلعة تكريت الواقعة على نهـر دجلـة اقطاعـاً ثـم أقـام بهروز صديقه نجم الدين حاكماً على تلك القلعة واستمر في وظيفته الى ان تـوفي[5]، وهـم اصحاب الفتوحات الكبيرة الباحثون عن الاسـلام والمسـلمين[6] في حـين رفـض بعـض ملـوك الأيوبيين هذا النسب الى الاكراد، ((ويقولون إنما نحـن عـرب، نزلنـا عنـد الأكـراد، وتزوجنـا منهم))[7].

---

(1)دوين: بلدة من نواحي أرّان، في آخر حدود أذربيجان، بقرب تفليس، ومنها ملوك الشام بنـي ايـوب، ابن عبد الحق، مراصد الاطلاع في اسماء الامكنة والبقاع،ج2،ص544،

(2) المقريزي، المواعظ والاعتبار بـذكر الخطـط والاثـار،ج3،ص405؛ طقـوش، تـاريخ الحـروب الصـليبية، ص404

(3) مجاهد الدين بهروز: هو بهروز بن عبدالـلـه ابو الحسن الخادم الابيض الملقب بـ(مجاهـد الـدين) مولى السلطان غياث الدين محمد بـن ملكشـاه السـلجوقي، ولي وزارة العـراق نيفـاً وثلاثـين سـنة وبنى ربطاً للصوفية وربطاً للخدم وعمر النهروان بعد تخريبه سـنين، وكانـت وفاتـه سـنة540هــ الكتبي، الوافي بالوفيات، ج10، ص192.

(4) ابن الاثير الكامل في التاريخ، ج9ص361 ؛ الصلابي، الدولة الزنكية، ص635.

(5) الحويري، محمود محمد، بناء الجبة الاسلامية المتحدة واثرها في التصدي للصليبين، ص96.

(6) العصامي، عبد الملك بن حسين(ت، 1111هـ) سمط النجوم العـوالي في أنبـاء الاوائـل والتـوالي، تـح، عادل احمد محمود، دار الكتب العلمية(بيروت، 1998م) ج4، ص3.

(7) الذهبي، تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والأعلام، ج12، ص319؛النعيمي، عبد الدمشقي عبد القادر بـن محمـد (ت، 927هــ) الـدارس في تـاريخ المـدارس، تـح، ابـراهيم شـمس الـدين، (دار الكتـب

وقدموا الى العراق من اذربيجان ومؤسس الدولة هو الناصر صلاح الدين يوسف الأيوبي كان والده نجم الدين أيوب والياً على تكريت ومن ثم انتقل الى الموصل ودمشق[1] وفي حياة السلطان نور الدين محمود بن زنكي تم عمل سياسي وعسكري نادر، عندما ضمت مصر إلى دولة نور الدين في الشام[2] وقد سعى نور الدين محمود للاستيلاء على مصر –رأس الحية بالنسبة إلى الصليبيين فقد اطلع على عوراتها، وطمع فيها، وكان عموري قد خرج مضطراً من بيت المقدس في حملته الثالثة سنة (562هـ/1167م)، متوجها الى مصر وسلك الطريق من غزة[3] الى العريش[4] ثم اخترق الصحراء الى بلبيس[5]، ارتجف شاور[6] من ظهوره المفاجئ وأرعبه القلق؛ لعدم التنسيق معه، ويبدو انه لم يكن على علم بوصول اسد الدين شيركوه الى اطفيح[7] ولم

العلمية1990م)، ج2، ص139 ؛عبد القادر بدران(ت، 1346هـ) منادمة الاطلال ومسامرة الخيال، تح، زهير الشاويش، المكتب الاسلامي (بيروت1985م) ص289.

(1) العسيري، احمد معمور، موجز التاريخ الاسلامي منذ عهد ادم علية السلام الى عصرنا الحاضر(الرياض، 1996م) ط1، ص255.

(2) الحايك، العلاقات الدولية في عصر الحروب الصليبية، ص27.

(3))غزة: مدينة في أقصى الشام من ناحية مصر، بينها وبين عسقلان فرسخان أو أقلّ، وهي من نواحي فلسطين غربي عسقلان، ياقوت الحموي، معجم البلدان،ج4،ص202.

(4)العريش: مدينة جليلة وهي كانت حرس مصر أيام فرعون، وهي آخر مدينة تتصل بالشام من أعمال مصر ويتقلدها والي الجفار وهي مستقرّة، ياقوت الحموي، معجم البلدان،ج4،ص114.

(5)بلبيس: وهي مدينة بينها وبين فسطاط مصر عشرة فراسخ تقع على طريق الشام، فتحت في سنة 18 أو 19هـ على يد عمرو بن العاص، ياقوت الحموي، معجم البلدان،ص479.

(6) شاور:هو ابو شجاع بن مجير بن نزار بن عشائر بن شأس بن مغيث بن حبيب ابن الحارث بن ربيعو بن يخنس كان وزيراً للخليفة العاضد لدين اللـه الفاطمي نازعة في الوزارة ضرغام احد امراء العرب، ابن خلكان، وفيات الأعيان وانباء ابناء الزمان، ج2، ص439.

(7) اطفيح: وهي بلد بالصعيد في مصر على شاطئ نهر النيل وفيه قبلته موسى (عليه السلام) وفيه الكثير من العلماء، ياقوت الحموي معجم البلدان، ص218.

يطمئن الا عندما ارسل كشافته الى الصحراء؛ للوقوف على حقيقة الوضع[1]. إلا أنـه لم يتخلى عـن فكـرة الاسـتيلاء عـلى مصر،، فغزاهـا مـرة أخـرى سـنة(564هــ/1168م)، فقاومته بلبيس، وأستعمل العنف للاسـتيلاء عليهـا، ثـم تقـدم مسرعـاً نحـو القـاهرة، ولمـس شـاور خـروج موقفـه، واسـتياء النـاس مـن سياسـته المتقلبـة، فـأحرق مدينـة الفسطاط[2] سنة (564هـ/1168م)، وبدأ يعـد العـدة للـدفاع عـن القـاهرة [3] وكـان خليفة مصر في تلك الفترة الخليفة الفاطمي العاضد لدين اللـه(556- 567هـ/1160- 1171م) على فراش الموت وقد توفي بعد ثلاثة أيام من إسقاط الخطبـة لـه، مـن دون أن يعلم بـزوال دولتـه؛ لان حاشـيته لم يعلمـوه بـذلك خوفـاً مـن ان يعجلـه المـوت، وسقوط خلافته، وخلافة آبائه وأجداده إلى الأبد؛ لأن صلاح الدين عندما علم بمرضـه، أمر بإخفـاء الخـبر عنـه [4] ولم يـزل السـلطان وزيـراً محكـماً حتـى مـات العاضـد [5]، وبعد ذلك اتخذ صلاح الدين عدة إجراءات حاسمة للقضاء على الخلافة الفاطمية في

---

(1) طقوش، تاريخ الحروب الصليبيه، ص39

(2) الفسطاط: وهي مصر سميت بذلك لأن مصرام بن حام بن نوح عليه السلام بناهـا في الأول وكانـت مدينة مصر اولاً فلما نزل عمـرو بـن العـاصي والمسـلمون معـه في صـدر الإسـلام وافتتحهـا اخـتط المسلمون حول فسطاطه فعمـروا مكـان مصر الآن وهـو المكـان الـذي هـي الآن فيـه ويقـال إنمـا سـميت بالفسـطاط لأن عمـرو بـن العـاصي لمـا اسـتفتح مصر وأراد المسـير إلى الإسـكندرية أمـر بالفسطاط أن يحط ويسار به أمامه فنزلت حمامة في أعلاه وباضـت بيضـتها فـأخبر بـذلك عمـرو فأمر أن يترك الفسطاط على حاله إلى أن تخلص الحمامة فرخيها ففعل وقال واللـه ما كنـا لـنسيء لمن ألفنا واطمأن بجانبنا،البكري، ابو عبيداللـه بن عبد العزيز،(ت،487هـ) المسالك والممالـك، دار الغرب الاسلامي(د،م،1992م)،ج2،ص606؛الادريسي، نزهة المشتاق في اختراق الافاق،ص322.

(3) عاشور، مصر والشام في عصر الايوبيين والمماليك، دار النهضة، ص17.

(4) عاشور، مصر والشام في عصر الايوبيين والمماليك، ص27

(5) زكار، سهيل، الموسعة الشاملة في تاريخ الحروب الصليبية، ج15، ص51.

مصر، ومن ذلك ما يرويه المقريـزي قـائلاً [1]: ((أنـه نـزع المنـاطق الفضـة التـي كانـت بمحاريـب جوامـع القـاهرة والتـي كانـت تحمـل أسـماء الخلفـاء الفـاطميين)) إذ قـام الخليفة العباسي المستضئ بأمر اللـه(566- 577هـ/1170- 1180م)، بإرسال الخلع إلى نور الدين محمود، وصلاح الدين، وسيّرت الأعلام السود، شعار الدولـة العباسـية[2] وفي تلك الاثناء واجه صلاح الدين الكثير من المؤامرات الخطيرة في القـاهرة سـنة (569هــ/ 1174م) دبرها الفاطميون وانصارهم الناقمين على الوضع الجديد لغرض احياء الدولـة الفاطمية التي غربت شمسها واشتركت جماعـة مـن الشـيعة وجماعـة مـن الحشـد[3] وحاشيه القصر في هذا الأمر ولما ادرك المتآمرون انهم في حاجة الى مساعدة من الخارج لضمان نجاح مؤامراتهم كاتبوا سناناً[4] زعيم الباطنية (الحشيشية) بأن الـدعوة واحـدة والكلمة جامعة فطلبوا منه اغتيال الملـوك- كـما كانـت عـاداتهم- ونصـب المكائـد[5] وقـاموا بإرسـال احـد الفداويـة ليغتـال صـلاح الـدين وايضـاً اتصـلوا بالصـليبيين. وملك صـقلية ولـيم الثـاني النورمـاني(562- 585هــ/1166- 1189م) ليهـاجم اسـطول الاسكندرية، واتفق المتآمرون على تنفيذ مؤامراتهم اثنـاء غيـاب تـوران شـاه في الـيمن

---

(1) السلوك لمعرفة دول الملوك، ص256.

(2) عاشور، مصر والشام في عصر الايوبيين والمماليك، ص25؛ طقوش، تاريخ الحروب الصليبية، ص420.

(3) ويعدّ هذا المبدأ تجميع قوة ممكنة في المكان والزمان المناسبين لمواجهة العدو والانتصار عليـه وقـد طبق نور الدين مبدأ الحشد عدة مرات في مواجهة الصليبيين؛ الصلابي، الدولة الزنكية، ص779.

(4) سنان: كان واحداً من اشهر رجال فرقة الباطنية الاسـماعيلية التـي اسسـها الحسـن الصـباح ولـد في البصرة وتقلى علوم الباطنية واصبح زعيماً للباطنية في بلاد الشـام حـدث بينـه وبـين صـلاح الـدين الايوبي صراع كبير وحاول عدة مرات اغتيال صلاح الدين ؛ المقريزي، السـلوك المعرفـة دول الملـوك، ص173؛الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج21، ص195.

(5) الصلابي، الدولة الزنكية ص 878.

لئلا يحل محل اخيه صلاح الدين في حال اغتالوه وبـدأ صـلاح الـدين في القضـاء عـلى كـل المؤامرات التي واجهته، وفي الوقـت نفسـه عمـل عـلى توحيـد الجبهـة الإسـلامية ليتفـرغ للجهاد ضد الصليبيين، وحربهم، فقد أصبح لا سلطان لأحد عليـه في مصر، ودخـل دمشـق واستقبل فيها استقبالاً طيباً، وفتحت له أبواب المدينة وسلمت لـه ٔ وواصـل جهـوده لضـم بلاد الشام كلها فاستولى على حلب وتوابعها، وكان ذلك نصراً كبيراً لفكرة الجبهة الإسـلامية المتحدة، وكان ضربة قوية أحس بها الصليبيون واعترف بها مؤرخوهم [1].

وهنا نجد أنَّ استمرار هذه الوحدة جعل من مصر أكبر القـوى والممالـك الأيوبيـة، وانعكس ذلك على ملوكها الأيوبيين بعد صلاح الدين والـذين كـانوا غالبـاً سـلاطين الدولـة الأيوبية، أما الشام فحكم فيها الأيوبيون بنظام الممالك والتي كان كـل منهـا يتمركـز حـول مدينة واحدة يحكمها عضو من العائلة الأيوبية، وهو يدين بولاء شـكلي لأقـوى فـرد فيهـا والذي هو عادة صاحب أكبر مملكة في الممالك الأيوبية في بلاد الشام[2].

---

(1) الحويري، بناء الجبهة الاسلامية المتحدة واثرها في التصدي للصليبين ص164.

(2) الحايك، العلاقات الدولية في عصر الحروب الصليبية، ج1، ص29

المبحث الثاني

إسهام البدو

في مقاومة الحملات الصليبية

في عهد السلطان صلاح الدين الايوبي

(570- 648هـ/1171- 1250م)

انقسم البدو على قسمين وفقاً للحرف السائدة فالذين احترفوا مهنة الرعي امتـازت حياتهم بالترحال والسعي وراء الكلأ وساكني الخيام والابقاء على اسـلوب حيـاتهم الخـاص والقسم الاخر عمل منهم بالزراعة وعـرف الاسـتقرار وارتـبط بـالأرض، فـالكثير مـن قبائـل البدو تحولوا الى مزارعين في مجتمعات قروية ملكاً لهم[1] واختلف موقف البدو ووضـعهم كمقاومة شعبية في زمن الدولة الأيوبية، بـدأ منـذ عهـد صـلاح الـدين الأيـوبي الـذي أدرك أهمية موقف البدو، فبدأ سياسة جديدة تجـاههم، تمثلـت هـذه السياسـة في اسـتعمالهم قوات احتياطية مساعدة في المواقف التي تتطلب مسـاعدتهم[2]، غـير ان ردّ فعـل القبيلـة اختلفت مـن قبيلـة إلى آخـرى حـول الخضـوع لصـلاح الـدين، أو عـدم الرضـوخ لمطالبـه، واللجوء إلى الصليبيين؛ لانهم أرادوا التعاون معهم، ومما جعل صلاح الدين يلجأ إلى تأديب هؤلاء الخارجين، ومعاقبتهم على مواقفهم المتخاذلة تجاه المسـلمين[3]، أي: أنهـم أدوا دوراً إيجابياً وآخر سلبياً. .

(1) زعرور، الحياة الاجتماعية زمن الحروب الصليبية، ص205.

(2) المقريـزي، السـلوك لمعرفـة دول الملـوك، ج1، ص47. ؛الحيـاري، مصـطفى، الامـارة الطائيـة في بـلاد الشام(عمان، 1977م) ص56

(3) الفراني، عبد الحميد جمال، المقاومة الشعبية للاحتلال الصليبي في بلاد الشام، ص195

ومع أن الحكام الأيوبيين ينسبهم البعض أكراداً بأصلهم، الا أن يلحظ عليهم اهتماماً خاصاً بالأكراد أو بتميز لوضعهم، أو بتحامل على المجموعات والقوميات الاخرى[1]، فقد نشأ أفراد الأسرة الأيوبية، نشأة عربية إسلامية، وشغفوا حباً باللغة العربية، وآدابها وعلومها، وقربوا إليهم الشعراء، والعلماء، والكتاب [2]، وكان لتعلقهم الشديد بالإسلام الأثر الأكبر في سرعة تعربهم، وهذا ينطبق على كل الأكراد، وليس على الحكام الأيوبيين فقط فعلى الرغم مما قاله المؤرخون في الأكراد ونسبهم، نجد الأيوبيين يعتزون بالانتساب إلى بني مروان في رواية، أو إلى هوازن في رواية ثانية، أو إلى الأزد في رواية ثالثة. وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على قوة نزعة التعرب في نفوس هؤلاء الحكام مما كان له أثر في توجيه سياستهم والتعاطف مع أهل الأقطار العربية التي حكموها [3].

وفي عهد الدولة الأيوبية ارتقى شأن آل ربيعة وأصلهم يعود الى طيء من كهلان القحطانية ثم يعودون وينسبون انفسهم الى العباسيين من جهة الام [4] على العكس من ذلك، نجد أن ما أرتقى إليه أمراء القبائل العربية في مصر والشام في العصر الأيوبي فاق كل ما سبقه؛ وذألك لتنامي دورهم السياسي والعسكري، إن كان في الصراعات الداخلية بين ملوك البيت الأيوبي، أو في الصراع ضد فرنج الساحل الشامي، فقد أحدث الملك العادل الأيوبي منصب إمرة العرب(597- 615هـ/1200-

(1) الحايك، العلاقات الدولية في عصر الحروب الصليبية، ج1، ص145.

(2) العبادي، احمد مختار، في تاريخ الايوبيين والمماليك، مؤسسة شباب الجامعة (الاسكندرية، د، ت) ج2، ص94.

(3) المقريزي، البيان والاعراب عما بارض مصر من الاعراب، ص234؛حمدان، عبد الحميد صالح، تاريخ القبائل العربية في مصر، عالم الكتب (القاهرة، 2009م) ص62.

(4) جاسم، تفاؤل عبد اللطيف، استقرار آل البيت العباسي، اطروحة دكتوراه غير منشورة مقدمة الى مجلس كلية التربية جامعة سامراء (سامراء، 2021م) ص138

1218م)[1] في الشام، وقلده للأمير عيسى بن مهنا بـن ربيعـة(643هــ/1284م)، ثـم بعـده لمانع بن حديثة بن عقبة بن فضل(659هـ/1260م) بعد ما انتزعها من قبائل كلاب، وامرة العرب في الشام وظيفة وجدت في ايام حكم الدولة البيزنطية لبلاد الشام[2]، واسـتمر فيهـا عيسى بن محمد الا ان توفي سنة(630هـ/1232م)، وخلفه ابنه مهنا، ومهنـا بـن مـانع هـو الذي حضر معركة عين جالوت مع المظفـر قطـز [3]، ويبـدو ان آل فضـل قـاتلوا الصـليبيين تحت راية الايوبيين عندما عـين الملـك العـادل سـنة(638- 657هــ / 1240- 1258م) احـد احفاد آل فضل وفي هذا التاريخ اصبح مهماً الى ابعد حد؛ لأنـه اول مـرة يقلـد فيهـا زعـيم بدوي ويلقب بأمير بقوة التقليد إذ يذكر المؤرخون مثل: ابن الاثير واسامة بن منقذ وحتى الكتاب المعاصرين، يخبرونا عن امراء بدو من شيوخ طيء وربيعـة خاصـة احـرزوا لقـبهم قبل حديثة بزمن طويل، الا انها كانت جميعها مجرد لقـب تكريمـي يخلـع عـلى اي قائـد جيوش او زعيم اصغر، من دون ان يتضمن تسمية تجعل منه منصباً يمنحهم رتبة امير[4].

وتوارث هذا المنصب ابنـاؤه، وازدادوا رفعـة وعـزة ومنعـة، حتـى أصـبح الأمـير منهم يسمى ملكاً [5]، وقد حدث تنافس بين قبائل ربيعة حول الامرة لذا اقدم السلطان الايوبي الكامـل بـن العـادل سـنة (615- 635هــ/1218- 1237م) عـلى جعلهـا نصـفين،

(1) امرة العرب: كانت امرة العرب حتى سلطنة العادل الايوبي الاولى عـلى دمشـق وحلـب امـرة قبليـة ليس لها ارتباط محدد بالسلطة في دمشق او القاهرة؛ المقريزي السـلوك لمعرفـة دول الملـوك، ج4، ص363.

(2) زعرور، الحياة الاجتماعية في بلاد الشام، ص257،

(3) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون العبر وديوان المبتدأ والخبر في تـاريخ العـرب والعجـم والبربـر ومـن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر، ج5، ص437.

(4) ماكس اوبنهايم، البدو، ص514.

(5) الذهبي، دول الاسلام، ج5، ص344

نصف احتفظ به مانع بن حديثة ونصف اخر لزعيم جديد هو غانم بن غنام كان التنافس مستمراً في فصائل آل ربيعة على السيادة وغالباً ما استغلت السلطنة الأيوبية ومن بعدها سلاطين المماليك البحرية وذلك لصالح السيادة، وكان بعض امراء البدو يتحالفون مع الحكم القائم ويقوم اخرون من اصحاب المطامح بالتحالف مع الفئات المعارضة فعندما قدم الظاهر بيبرس الى بلاد الشام اثناء الصراع على السلطة في القاهرة اتصل بأمير قبائل ربيعة وطلب تقديم المساعدة له فرفض، فاتصل بأمير آخر وهو عيسى بن مهنا فقدم إليه المساعدات وأكرمه وانحصرت امرة العرب منذ حكم الظاهر بيبرس في آل فضل بن ربيعة[1] وانقسم آل ربيعة الى ثلاثة افخاذ: الفخذ الاول آل فضل وآل علي و آل مرا، وينتسب آل فضل الى فضل بن ربيعة وكانوا اكثر انتشاراً من ابناء عمومتهم من آل علي وآل مرا[2] والفخذ الثاني آل مرا أحد بطون ربيعة ومنازلهم في حوران[3] اما الفخذ الثالث فهم آل علي وهم من آل فضل ينتسبون الى علي بن حديثة بن عصية بن فضل بن ربيعة وديارهم في مرج دمشق وكانت امرتهم الى عيسى بن مهنا[4] على الرغم من المكانة العليا لآل عيسى بن مهنا الا أن هذا البيت عاد وانقسم على قسمين هما: مهنا بن عيسى وفضل بن عيسى وبقية الابناء توزعوا

(1) الاغا، حسام حلمي يوسف، الاوضاع الاجتماعية في فلسطين زمن الحروب الصليبية، رسالة ماجستير غير منشورة (غزة، 2007م). ص210.

(2) الذيابات، امنة محمود عودة، القبائل العربية في بلاد الشام في السياسة المملوكية(658هـ/784هـ)، اطروحة دكتوراه غير منشورة مقدمة الى عمادة الدراسات العليا جامعة مؤته(الاردن، 2006م) ص44

(3) جاسم، استقرار ال البيت العباسي في اقليم الجزيرة الفراتية بعد احتلال بغداد سنة، 656هـ ص151

(4) الربيعي، عبدالله بن عبد الرحمن، موقف اعراب الشام من الغزو الصليبي والتتري المجلد4، العدد 14، (الدرعية، 2001م) ص182

على البيتين، ومن فروعهم أيضا آل ملحم بن مهنا الذين حكموا عرب الشام قديماً[1] ولا يختلف عن الملوك إلا بطريقة حياته البدوية [2]، وتأثر سكان البدو في المملكة الصليبية ثقافياً واجتماعياً وان مظاهر هذا التأثير اخذت تتوارث من جيل الى جيل اخر، وقد اكد الاصفهاني على مدى تأثير الصليبيين الثقافي على البدو قائلاً:)(وتربى اولادهم على حكم الافرنج فألفوا ما ألفوه، وخافوا منهم على ظهور حبهم لنا فأخفوه))[3]، وكانت رتبة الإمارة تعني منح بوق يضرب على بابه، وفي تحركاته، وعلم يرفعه أثناء مسيره. وقد نظمت الدولة الأيوبية فيما بعد، علاقاتها مع أمراء البدو بديوان خاص، يشرف عليه موظف عالي المستوى، يسمى بـ(المهمندار)[4]، ربما كانت وظيفته تعادل مرتبة وزير لشؤون البدو[5]، وكان يتمتع بمعرفة دقيقة لقبائلهم،

(1) جاسم، استقرار آل البيت العباسي في اقليم الجزيرة الفراتية بعد احتلال بغدادسنة، 656هـ ص144

(2) ابن خلدون، العبر، ج6، ص18.

(3) البرق الشامي، ج5، 153.

(4) المهمندار: وهو المسؤول عن تلقي الرسل والبدو الواردين على السلطان وينزلهم دار الضيافة والقيام بأمورهم وهي رتبة جليلة يتولاها أعيان العدول وأرباب الأقلام وصاحبها ينوب عن صاحب الباب في تلقي الرسل على الخليفة على مسافة وينزل كلا منهم في المكان اللائق به ويرتب لهم ما يحتاجون إليه ولا يمكن أحداً من الاجتماع بهم ويتولى افتقادهم ويذكر صاحب الباب بهم ويسعى في انجاز أمرهم وهو الذي يسلم بهم على الخليفة أو الوزير ويتقدمهم ويستأذن عليهم ويدخل الرسول وصاحب الباب ماسك على يده اليمنى والنائب ماسك على يده اليسرى فيحفظ ما يقولون وما يقال لهم ويجتهد في انفصالهم على أحسن الوجوه وإذا غاب أقام عنه نائباً إلى أن يعود الى عمله، السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر (ت، 911هـ)، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تح، محمد ابو الفضل ابراهيم، دار احياء الكتب العربية (القاهرة، 1967م) ج2، ص130؛ القلقشندي، صبحي الاعشى في صناعة الانشا، ج3، ص560

(5) الحايك، العلاقات الدولية في عصر الحروب الصليبية، ج1، ص146.

وأنسابها، والعلاقات فيما بينها، وكان يستقبل الرسل والعربان الوافدين على السلطان الأيوبي، وينزلهم دار الضيافة، ويتحدث في القيام بأمورهم [1]. ومعظم معلومات المؤرخين عن هذه الوظيفة مستمدة من مهمندار الذي عاصر أواخر الدولة الأيوبية وأوائل المملوكية، وهو بدر الدين أبو المحاسن يوسف أبو المعالي بن زماخ المعروف بسيف الدولة، لأنه فيما يبدو من ذرية سيف الدولة الحمداني وهو الموظف الذي كان المسؤول عن العلاقات بين السلطنة والبدو في القاهرة[2]، ويضيف ابن حجر العسقلاني[3] عن بدر الدين مهمندار العرب ((ولد سنة 602هـ وكان متجنداً من أمراء السيف، وله يد في النظم والتاريخ، وله تصانيف في الأنساب والبديع))،

وعلى ما يبدو لم يكن الهدف من إقامة البدو تسليط قبيلة على بقية القبائل، أو رفعها فوقهم، وهذا أمر حساس جداً في التعامل مع البدو، بل مكان لاتساع الدولة الأيوبية، وتداخل الحدود مع الدول المحيطة، وضمن الممالك الأيوبية نفسها، ولعدم اعتراف البدو بهذه الحدود، وتحركهم بحرية كاملة عبرها، لذا هدفت الدولة الأيوبية من منصب أمير العرب، ضبط هذا التحرك، وربما الأهم هو ضبط استغلال القبائل البدوية للصراعات الإقليمية، فتقوم الدولة بدعم قبيلة قوية بتسمية شيخها أميراً للعرب، لتساعد الدولة في ضبط بقية القبائل [4].

ونتيجة لتنامي دور القبائل البدوية في الدولة الأيوبية والمملوكية، نجد أن عدداً لا يستهان به من المؤرخين قد أفردوا مؤلفات عن الأعراب، وكل من كتب منهم عن العصرين لابد أن تحدث بقليل أو كثير عن البدو، فكان لهم بذلك حفظ أحداث

---

(1) القلقشندي، صبح الاعشى في صناعة الانشا، ج4، ص22.

(2) زعرور، الحياة الاجتماعية في بلاد الشام، ص258.

(3) ابن حجر العسقلاني،، الدرر الكامنة، ج6، ص227.

(4) الحايك، العلاقات الدولية في عصر الحروب الصلبية، ص146.

ومعلومات كانت حتماً ستضيع لو لم يقوموا بتدوينها في مؤلفاتهم [1]وهناك ظاهرة بدت شبه عامة في الكتابة عن البدو، فقد ذكر بعض المؤرخين ميل البدو للفساد والتخريب والسلب والنهب، ومع أن هذا لا يمكن إنكاره في ذلك العصر[2]، ولكنه تعميم يخطئ أكثر مما يصيب في شموله لكل ما يقوم به الأعراب، ويروي الحايك[3] أن هناك أموراً لم تؤخذ بعين الاعتبار وهي:

1- نظرة الدولة الى البدو، فقد كانت غالباً نظرة متعالية، إن لم نقل أنه كان فيها الكثيرا من الاحتقار لهم، لانهم يشكلون طبقة لها كيانها المستقل وقد حافظوا على هذا الكيان ماداموا محافظين على طبيعة حياتهم ضمن البيئة البدوية.

2- شعور الأعراب بأنهم أبعدوا بالقوة عن مسرح السياسة في بلدان لهم فيها أكثر بكثير مما للحكام الغرباء بأصلهم على الأقل.

3- انعزال الملوك والأمراء في الدولة عن مشكلات الشعب بشكل عام، مما يستدعي في الكثير من الأحيان رد فعل شعبي، إن كان في المدن، أو الأرياف، أو لدى البدو، ولكل طريقته في التعبير عن المطالبة بحقه، أو تأكيد وجوده.

ودائما ما كانت الدولة تواجه تحركات الأعراب بأقصى ما تملك من العنف، والإجلاء، والقتل والنهب، ذلك كله كان لابد أن يحرك أحقاداً قابلة للإثارة كلما سنحت الفرصة.

---

(1) الحايك، العلاقات الدولية في عصر الحروب الصلبية، ص147.

(2) الذيابات، القبائل العربية في بلاد الشام في السياسة المملوكية، ص36

(3) العلاقات الدولية في عصر الحروب الصليبية، ص147.

ويحمل الحايك[1] البدو في العصر الأيوبي جانباً كبيراً من المسؤولية، لعدة أسباب منها:

1- اعتاد البدو على طريقة للكسب، أصبحت مع مرور الوقت مشروعة في عرفهم، وهي النهب والسلب.

2- ضعف الشعور الوطني والديني لدى البدو، نتيجة لعدة عوامل، أدى لتقديم مصلحتهم الأنية، الذاتية، على كل ما عداها في مواقفهم، وتصرفاتهم.

3- ضغط ظروف البيئة على البدو، مثل: سنوات الجفاف، في ظل غياب مساندة فاعلة، من الدولة، أو من المجتمعات المستقرة في الأرياف والمدن، لتجاوز تلك الظروف.

4- إن تخلف مجتمع البدو وافتقاده للتنظيم، قياساً بلمجتمع الحضري، مع كل ما بينهم من احتكاك، ذلك كله جعل البدو هدفاً سهلاً للدولة، تستطيع التعامل معه، على وفق مقتضيات الظروف، فإما قتلاً أو تشريداً، وإما تحالفاً واستغلالاً لقوة البدو العسكرية.

وعندما أرسى صلاح الدين قواعد دولته في مصر والشام، اخذ يعمل على اعداد جيش ايوبي، ليكون جيشاً جديداً في مصر والشام فكان القاضي الفاضل[2] من يساعده في اعداد الجيش؛ لمعرفته بقوات الجيش المصري من السودان والديلم

(1) العلاقات الدولية في عصر الحروب الصليبية، ص150

(2) القاضي الفاضل: (ت596هـ- 1199م) أبو علي عبد الرحيم ابن القاضي الأشرف بهاء الدين أبي المجد علي ابن القاضي السعيد أبي محمد الحسن بن الحسن بن أحمد بن الفرج بن أحمد اللخمي العسقلاني المولد المصري الدار، المعروف بالقاضي الفاضل الملقب مجير الدين؛ ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج3، ص153

والاتراك والبدو، ولأنه كان يعمل في ديوان الجيش في الدولة الفاطمية فلم يبخل على صلاح الدين بالمعلومات عن هذه القوات[1]، وكان البدو يملكون لياقة قتالية عالية وكانت القبائل العربية- كعادتها التي لم ولن- تتغير، تجوب أراضي الدولة في مصر والشام، وتتجول على حدودها، من دون أن تعترف بهذه الحدود، فبين العراق وبين نجد والشام، وبين برقة وبر مصر، تتحرك الكثير من هذه القبائل، ولا يحد من تحركها أو يحدده سوى عاملين: الأول طبيعي، وهو وجود الاعشاب لرعي خيولهم ومواشيهم، والثاني: سياسي، فلكل قبيلة، أو مجموعة قبلية مناطق نفوذ ومجال حيوي لا تتركه إلا بالقوة [2]، والسمة الاساسية لحياة البدو هي عدم الاستقرار والتنقل[3] إن أن غالباً ما كانت القبائل العربية، أو تحالف هذه القبائل، يشكل قوة عسكرية وسياسية ضاغطة على الدولة، فيحظون بالامتيازات، والإقطاعات، والمساعدات المالية والالقاب لشيوخهم، وكان عدد أفراد القبيلة يعني الشيء الكثير في تحديد موقعها بالنسبة إلى بقية القبائل، أو بالنسبة الى الدولة المجاورة لها، فعدد الأفراد هو عدد المقاتلين، ومعظم مقاتلي البدو كانوا فرساناً يمتازون بخفة المناورة[4].

وكان اعتماد الممالك الأيوبية سواء في مصر أو الشام على البدو كبيراً منذ أيام صلاح الدين الايوبي، ومن جاء بعده من الأيوبيين، وبرزت أول المواقف الإيجابية للبدو ومناصره للقوات الإسلامية في عهد صلاح الدين الايوبي في (الثاني من جمادي الأخرة

---

(1) الحلبي، معالي عبد السلام، رسائل القاضي الفاضل السياسية في عهد صلاح الدين الايوبي، الجامعة الاسلامية(غزة، 2013) ص25.

(2) الحايك، العلاقات الدولية زمن الحروب الصليبية، ص151،

(3) زعرور، الحياة الاجتماعية في بلاد الشام، ص282:

(4) الحايك، العلاقات الدولية في عصر الحروب الصليبية، ص151.

سنة 573هـ/ السادس والعشرين من نوفمبر سنة 1177م)، في معركة الرملة[1]، قد انضـمت مجموعات البدو إلى القوات الإسلامية في معركتها ضد الصـليبيين [2]، وكـان البـدو يتمتعـون بقوة قتالية لا تتوافر للحضري فقد استعانت بهـم الاسرة الحاكمـة في بـلاد الشـام مثـل: آل منقذ، في الدفاع في شيزر بعناصر من القبائل العربية في حماية مدنهم وابلوا بـلاءً حسـناً في الدفاع عن قلعة شيزر من غارات صليبي انطاكيا[3] ولا نعلم ما إذا كانت هذه المجموعـات قد انضمت الى صلاح الدين كمقاومة شـعبية أو كقـوات احتياطيـة. وفي مقابـل ذلـك ظهـر موقف سلبي لبدو المنطقة الذين انتهـزوا فرصـة انهـزام القـوات الإسـلامية، فـأعملوا فـيهم السلب والنهب، بل والقتل فبات من بقـي مـنهم في أسـوأ حـال[4]، ومـع ان المظفـر صـلاح الدين الايوبي لم يتوقف عن الاستعانة بالبدو كقوات خفيفة الحركة لمساعدة جيشـه إلا أنـه قد ادرك موقفهم بعد هزيمة الرملة انهم سلاح ذو حدين، فما ان لاحـت الهزيمـة في جـيش صلاح الدين حتى قاموا ينهبون إثقاله وامتاعه، ويبدو أن هـؤلاء البـدو أرادوا الانتقـام مـن صلاح الدين بعد عمليات التطهير التي قام بها ضـد أخـوانهم مـن البـدو في منطقـة الكـرك والشوبك سنة(568هـ/1173م)[5] وفي الوقت الذي كان صلاح الـدين الايـوبي يقـوم بتأديـب طائفة من البدو، كان يحرص على تـأليف قلـوبهم لمسـاعدتهم في ارشـاد جيشـة الى الطـرق الآمنة ومصادر المياه والتجسس. وقد اخذ درساً بعد الهزيمة التي مُني فيها قرب الرملة سنة

(1))الرملة: وهي مدينة عظيمة في فلسطين دارت فيها معركة بين الايوبيين ومملكة بيت المقدس انتصر فيها الصليبيين، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج3،ص69.

(2) ابن واصل، مفرج الكروب في اخبار بني ايوب، ج2. ص60.

(3) الربيعي، موقف اعراب الشام من الغزو الصليبي والتتري، ص180.

(4) الفراني، المقاومة الشعبية للاحتلال الصليبي في بلا الشام، ص195.

(5) ابو شامة المقدسي، الروضتين في اخبار الدولتين النورية والصلاحية، ج3، ص27.

(573هـ/1177م) على يد القائد الصليبي ارناط امير الكرك[1]، لانهم كانوا ينقلون الأخبار الى الصليبيين، فأنزل صلاح الدين فيهم قتلاً وتشريداً حتى لم يبق في بلادهم أحداً من العربان ((وإذا نهض الفرنج لا يجدوا بين أيديهم دليلاً))[2].

والسبب الذي دعا صلاح الدين إلى حصار الكرك والشوبك وقتل بعض العربان وسلب ديارهم هناك أن جماعة من الأعراب النازلين بأرض الكرك كانوا ينقلون الأخبار إلى الفرنج وإذا أغاروا على البلد دلوهم على مقاتل ومعاقل التي كان المسلمون موجودين فيها. وكان الكرك والشوبك طريق الديار المصرية ويغير أهلها على القوافل منها فقصد تسهيل الطريق لتتصل البلاد بعضها ببعض[3] ومهما يكن من أمر فإن شهرة البدو في الأغارات السريعة وحرب العصابات، جعلت القوات الإسلامية تستعين مرة أخرى بهم في سنة(574هـ/1179م)، إذ سارت قبائل العرب إلى صيدا وبيروت ليحصدوا غلات العدو [4]، وفي سنة (577هـ/1181م) اشترك البدو في الإغارة على جنين، حتى قاربوا عكا، في حين كانت قوات صلاح الدين بقيادة ابن أخيه فروخ شاه تشارك في الإغارة على منطقة الأغوار وبالتحديد مدينة بيسان[5].

وعلى الجانب الآخر ظهر بعض البدو المناهضين للمسلمين، ويفهم ذلك من المهمة التي أوكلها صلاح الدين إلى نائبه وقائد جيشه في دمشق (شمس الدين محمد

(1) الربيعي، موقف اعراب الشام من الغزو الصليبي والتتري، ص206.
(2) ابن واصل، مفرج الكروب في اخبار بني ايوب، ج2، ص74.
(3) علي، خطط الشام، ج2، ص40
(4) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج10، ص112
(5)، الاصفهاني، محمد بن حامد الكاتب (ت، 597هـ) البرق الشامي، تح، فالح صالح حسن، مطبعة مؤسسة عبد شومان (عمان، 1987م) ج5، ص71.

بن عبدالملك المعروف بابن المقـدم)، بتأديـب وإخضـاع البـدو المتـواطئين مـع الصـليبيين، وإصلاح ذات البين فيما بين عشائرهم [1].

وفي عهد السلطان صلاح الدين الايوبي سنة (578هـ/1182م) عنـدما كـان مشـغولاً في جزيرة ابن عمر يحاصر حران قام الافرنج بحملة فرنجية من مدينة الكرك بالتوجه نحـو الحجاز((لينبشوا الحجرة النبوية، وينقلوه إليهم، ويأخذوا من المسلمين جعلاً عـلى زيارتـه فقام صلاح الدين لذلك وقعد، ولم يمكنه أن يتزحزح من مكانه، فأرسـل إلى سـيف الدولـة ابن منقذ نائبه بمصر أن جهز لؤلؤ الحاجب [2] فكلمه في ذلك فقال: حسبك، كـم عـددهم قال: ثلاثمائة ونيف كلهم أبطال فأخـذ قيـوداً بعـددهم، وكـان معهـم طائفـة مـن مرتـدة العرب، ولم يبق بينهم وبين المدينة إلا مسافة يوم، فتداركهم وبـذل الأمـوال، فمالـت إليـه العـرب للـذهب، واعتصـم الفـرنج بجبـل عـال، فصـعد إلـيهم بنفسـه راجـلاً واستسـلم الفرنج)) [3]

وقد أدى البدو دوراً سلبياً في هـذه المـؤامرة وهـي مشـاركتهم في نقـل السـفن الى قرب ايله وقيام عناصر ((. . مـن العـرب مـن اشـبه ركابهـا في الكفـر. .))[4] وفي الحقيقـة يحار المرء امام تفسير موقف كهذا لبدو الحجـاز ولا يوجـد سـبب لتعـاونهم مـع الفـرنج

(1) ابن واصل، مفـرج الكـروب في اخبـار بنـي ايـوب، ج2، ص176؛طقـوش، تـاريخ الحـروب الصـليبية، ص430.

(2) لؤلؤ الحاجب: هو حسام الدين العادلي من كبار الدولة له مواقف مشهورة بالسـواحل، كـان شـهماً وشجاعاً وخبيراً بقتال البحر وكان مقدم الغزاة حين توجه العـدو الـذين قصـدوا الحجـاز في البحـر المالح بعدة مراكب وشوكة ومنعة وسولت لهم أنفسـهم أمـراً لمـن يكـن اللــه ليفعلـوه فـأدركهم وأخـذهم ودخـل بـأسراهم القـاهرة وكـان يومـاً مشـهوداً؛ الصـفدي، الـوافي بالوفيـات، ج24، ص306؛الذهبي، تاريخ الاسلام ووفيات الاعلام والمشاهير، ج12، ص1153.

(3) الذهبي، تاريخ الاسلام، ج42، ص364.

(4) الاصفهاني، البرق الشامي، ج5، ص72.

لنبش الحجرة النبوية الا السبب الذي جعلهم يتخلون عنهم وهو الذهب والطمع بالمكاسب ولا ارى ان نجد لهم عذراً بسيطاً في حالة الفقر والجهل التي كانوا يعيشونها في غالب ايامهم، ويبدو ان هذا النوع من السلوك لم يكن بالإمكان السيطرة عليه كلياً وهو ما يقوم به بعض افراد البدو بمساعدة الصليبيين ضد القائد الايوبي حسام الدين لؤلؤ سنة (587هـ/1191م) ولعل وجود هذه الظواهر عند بعض القبائل العربية وهو ما دفع بصلاح الدين الى التفكير بأسلوب يفرض هيمنة الدولة عليهم[1].

(1) الذيابات، القبائل العربية في بلاد الشام في السياسة المملوكية، ص41

المبحث الثالث

مواقف البدو من الصليبيين بعد معركة حطين

(583هـ1187م)

كان البدو من الجماعات الشعبية المشاركة في معركة حطين سنة (583هـ/1187 م)[1] ولاسيما في طبرية والكرك، ولعل ابرز وأوضح المواقف لمجموعات البدو في المقاومة ضد الصليبيين، هي التي ظهرت في حصار الصليبيين لمدينة عكا في عام(584هـ/1188م) وبالأخص في المعارك الخاطفة ونصب الكمائن والتجسس على الصليبيين، ونقل اخبارهم للمسلمين، وكان من نتائج ذلك أن استشهد عدد كبير منهم. وكان لقبيلة ربيعة مشاركة فعلية في القتال ضد الصليبيين تحت راية صلاح الدين الايوبي ومنهم من شهد حصار صلاح الدين لتبنين[2] و ذلك سنة(585هـ/ 1189م) وايضاً

(1) معركة حطين: وقعت هذه المعركة بين الصليبيين والمسلمين كان صلاح الدين يوسف بن أيوب قد أوقع بالأفرنج في منتصف ربيع الآخر سنة (583هـ/1187م) وقعة عظيمة منكرة ظفر فيها بملوك الأفرنج ظفراً كان سبباً لافتتاحه بلاد الساحل، وقتل فرعونهم ارباط صاحب الكرك والشوبك، وذلك في موضع يقال له حطّين بين طبرية وعكّا، بينه وبين طبرية نحو فرسخين اذ قاتل الصليبين قتالاً شديداً حتى تمكنوا منه وقتلوه، فاشتبك الطرفان، ومن اسباب هزيمة الصليبيين في حطين وانتصار المسلمين فيها هي شدة العطش؛ بسبب منع المسلمين لهم، الوصول الى طبرية، واشعال النيران حول جيش الصليبيين وكانت الرياح باتجاههم فحملت اليهم حر النار والدخان والسبب الثالث والاخير هي السهام، إذ امطروا المسلمين الصليبيين بالسهام فأوقع في جنود الصليبيين وخيولهم، ياقوت الحموي معجم البلدان،ج2، ص274؛ غنيم، اسمت، الدولة الايوبية، دار المعرفة الجامعية (القاهرة، 1990م)ص37.

(2) تبنين: وهي بلدة واقعه في جبال بني عامر المطلّة على بانياس بين دمشق وصور؛ الحموي، معجم البلدان، ج2، ص14.

شارك البدو مع صلاح الدين الايوبي في واقعة عكا سنة (586هـ/1190م) [1] فعندما كان صلاح الدين مخيماً عند مرج عيون، وضع مجموعة من فرسان بني ربيعة في كمين للصليبين فقاتلوهم حتى قتلوا عن اخرهم وكان معهم ثلاثة من امراء بني ربيعة وهم: زامل بن تبل بن مرا بن ربيعة، والامير حجي بن منصور بن دغفل بن ربيعة، والامير مطرف بن رفيع بن بردويل بن مرا بن ربيعة واخرون غيرهم اشتركوا في هذه الحادثة[2]، وبغض النظر عن كون البدو قد شكلوا قوات دعم احتياطية فضلاً عن القوات الإسلامية الصلاحية، أم لا، فإن الأعمال التي قاموا بها هي من قبيل الأعمال التي لا يمكن تنفيذها من قبل القوات النظامية، التي لا ينتج عنها نصر مباشر على العدو، وإنما تعمل على انهاكه، وإحداث نوع من الخلل في صفوفه [3]. ينظر ملحق(4)

وفي اثناء حملة ريتشارد(قلب الاسد) على فلسطين عندما كان يعسكر في قلعة النطرون، وصل اليه اثنان من البدو وأخذا من الملك الامان والثقة واقسما له يميناً تعهدا به بأنهما سيخدمانه بإخلاص ويبلغونه بكمائن جيش المظفر صلاح الدين الايوبي وعن كل ما يدور حول صلاح الدين واهل البلاد جميعاً، وان هذا التصرف قد لا يمثل سلوك بدو اهل فلسطين جميعاً، وكانت هذه الحالات توجد عند بعضهم وكانت طريقة سهلة للعيش عند ضعاف النفوس[4]، ويبدو ان الملك ريتشارد قد اعجبه استعمال البدو وانه اهتم بهم أدلاء وجواسيس مأجورين واعتمد عليهم، وسيرهم لينقلوا له الاخبار[5]، وشارك البدو في العمليات الاستشهادية ضد الصليبيين في

---

(1) طقوش، تاريخ الحروب الصليبية، ص458

(2) الاصفهاني، الفتح القسي في الفتح القدسي، ص158.

(3) الفراني، المقاومة الشعبية للاحتلال الصليبي، ص196،

(4) الصوري، ذيل التاريخ، ص434

(5) ابن شداد، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، 232

استعادة القدس أثناء الحرب بين صلاح الدين والملك ريتشارد قلب الأسد فيما سمي بالحملة الصليبية الثالثة وقامت قوة من البدو بالتسلل داخل المعسكر الصليبي امام عكا وخطف عدد من الصليبيين وأسرهم[1].

ومما يؤكد اشتراك البدو في الحملة الصليبية الثالثة وفي معارك التحرير ومقاومة الصليبيين أن ابن شداد[2]ذكر واقعة جرت للبدو مع العدو فقال:))ان جمعاً من العدو يخرجون للاحتشاش من طرف النهر مما ينبت عليه فأكمن السلطان العادل لهم جماعة من العرب وقصد العرب لخفتهم على خيلهم وأمنه عليهم فخرجوا ولم يشعروا بهم فهجموا عليهم وقتلوا منهم خلقاً واسروا جماعة واحضروا رؤوسهم))، وقبل توقيع صلح الرملة، شارك البدو في الإغارة على الصليبيين، على طريق القدس[3].

وفي الوقت نفسه كانت هناك مجموعة من هؤلاء البدو على اتصال بالملك ريتشارد، فبينما كانت القوات الإسلامية على وصول من مصر لدعم صلاح الدين في دفاعه عن القدس، فإذا برتشارد قد وصلته أخبار تلك القوافل العسكرية القادمة من مصر؛ لأنه كان يترقب أخبارهم، ويتوصل إليهم بالعرب المفسدين وعند وصفهم بالعرب المفسدين انما هم البدو المتعاونين مع العدو[4]، وعندما علم قام بالتنكر في زي بدوي، وسار مع البدو، فهاجوا القوافل الإسلامية، واستولى عليها، وأسر من فيها، وكان السعيد من نجا بنفسه [5]. اذ عمل البدو جواسيس للصليبيين ان جماعة من العسكر الاسلامي كانوا يراقبون معسكر الصليبيين، صادفوا جماعة من الصليبيين ايضاً

---

(1) الاغا، الاوضاع الاجتماعية زمن الحروب الصليبية، ص210.

(2) النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، ص169.

(3) ابن شداد، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، ص209.

(4) ابو شامة المقدسي، الروضتين في اخبار الدولتين النورية والصلاحية، ج4، ص4- 3.

(5) ابن واصل، مفرج الكروب في اخبار بني ايوب، ج2، ص181.

يراقبون معسكر المسلمين، فظفروا بهم وهجموا عليهم وجرى بينهم قتال عظيم فقتل من الصليبيين جماعة احس بهم عسكر الصليبيين فثار اليهم منهم جماعة ونشب القتال بين المسلمين والصليبيين وقتل من المسلمين اثنان، واسر من العدو ثلاثة ومثلوا امام السلطان فسألهم عن الاحوال وكيف جاءوا اليه، فأخبروه وكان قد حضر عند الملك ريتشارد بعكا جماعة من البدو وقد اخبروه بقلة عساكر المسلمين فأطمعوه حتى خرج، وقتل جماعة من المسلمين و لما رأى ما اصابهم من القتال العظيم وكثرة المسلمين احضر البدويان عنده وضرب اعناقهما[1] وانتهت الحملة الصليبية الثالثة بتوقيع صلح الرملة بين ريتشارد قلب الاسد وصلاح الدين الايوبي في عام (588هـ/1192م) لمدة ثلاث سنين وثمانية اشهر ثم لم يلبث ان توفي صلاح الدين في يوم 27 صفر سنة(589هـ/1193م) وبعد وفاة صلاح الدين تمزقت دولته ودخلت بلاد الشام ومصر في حروب ومنازعات داخلية فتصارع ابناؤه واخوانه على اقتسام مملكته فضعفت الجبهة الاسلامية وتعرضت للآثار المدمرة بسبب النزاعات الأيوبية، ينظر ملحق(5).

وقد عجز الايوبيون عن مواجهة الصليبيين حتى ان بعضهم سلّم القدس الى فردريك الثاني قائد الحملة الصليبية السادسة حتى استطاع اخوه الملك العادل الاول سيف الدين ابو بكر الذي تسلم السلطة في مصر والشام عام (569هــ/1173م) [2] وعندما توجهت الحملة الصليبية الخامسة وحاصرت دمياط اخذ العادل يرتب اموره الداخلية في الشام ولعله كان يخشى ان يسيطر صليبو انطاكية على حلب فكتب الى ابنه الاشرف يأمر بان يرحل إلى حلب وقد انضمت اليه جماعة من البدو بقيادة الامير

---

(1) زكار، الموسوعة الشاملة، في تاريخ الحروب الصليبية، ج15، ص 197.

(2) ابو الفداء، المختصر في اخبار البشر، ج3، ص87.

مانع بن حديثة أمير آل فضل إذ كـان الاشرف يداريـه؛ لحاجتـه إليـه [(1)]، ولما اسـتقرت الامـور للكامل في الشام اعتمد على البدو في حفظ طرق التجارة والمسافرين حتى امنتْ السبل وخاف قطاع الطـرق[(2)] إذ سـار الأيوبيـون الـذين خلفـوا الـزنكيين في حكـم مصر وبـلاد الشـام(570-648هـ/1174- 1250م) السياسة ذاتها فقد وثق المظفر صلاح الدين الأيوبي علاقته بالغرب من العـرب البحـترين(امـراء الغـرب) اي امـراء غـرب مصر ومـنحهم الامتيـازات وكافـأهم عـلى مساندتهم له في موقعة حطين(583هـ/1187م) وجعل أمير الغرب حجي بن كرامة ابن بحـتر وريثاً لأبيه وجده في اقطاعاتهم، وقد سار ابناء صـلاح الـدين عـلى سياسـة ابـيهم تجـاه امـراء الغرب[(3)] والواقع ان ما فقده الصليبيون في معركـة حطـين مـن قـتلى واسرى يعـدّ مـن افـدح الكوارث التي حلت بهم ولم ينج منهم إلا أعداداً قليلة من المحاربين فضلاً عمّا من نجـا مـنهم من جند المؤخرة بقيادة باليان ابلين، وريجنالد صاحب صيدا، وجنـد المقدمـة بقيـادة ريمونـد صاحب طرابلس، وقد اندحر معظم الجيش الرئيس بقيادة الملك جي لوزجنـان وتسـاقطوا في ايــدي المســلمين، قــتلى، واسرى، وكــان عــلى رأس الاسرى الملــك جــي لوزجنــان، وارنــاط صاحب الكرك، وأوك صاحب جبيل، وهمفري بن الهنفري صاحب تبنين، وايضاً وقـع في هـذه المعركة مقدم الداوية جيرارد ومعظم من نجا من الاسبتار وغـيرهم مـن الصـليبيين[(4)] ويعتقـد الصليبيون ان اللــه تخـلى عـنهم في حطـين وكونـت ريمونـد صـاحب طـرابلس الـذي تخـلى عن الجيش في حطين، لذا تـرك شـعب الـرب في حـيرة مـن امـرهم ثـم اعطـى الـرب لشـعبه

(1) ابن واصل، مفرج الكروب، ج3، ص266؛ ابن العديم، زبدة حلب في تاريخ حلب، ج3، ص182.
(2) ابن واصل، مفرج الكروب في اخبار بني ايوب، ج5، ص157.
(3) السامرائي، ضياء حميد صالح، المطوعة المسلمون واسهامهم في الحـروب الصـليبية، رسـالة ماجسـتير غير منشورة، مقدمة الى مجلس كلية التربية جامعة سامراء(سامراء، 2013م)، ص155.
(4) الصلابي، صلاح الدين الايوبي وجهوده في القضاء على الدولة الفاطمية، ص492

السيف وطالبت خطايا البشرية إلى تنازل عن ميراث الذبح والسلب وطلب منهم فدية مالية عن كل شخص[1]، وعندما قام بأسرهم امر صلاح الدين ان تضرب له خيمة وجمع فيها قادة الصليبيين الذين تم اسرهم جميعهاً، وقدم لهم ماءً مثلجاً وشرب الملك جاي لوزجنان واعطي ما تبقى منه لأرناط فشرب وعندئذ غضب صلاح الدين من ذلك، وخاطب الملك مؤكداً له بأن ارناط لم يشرب الماء بإذنه فينال امانه، ومن ثم التفت اليه صلاح الدين وذكره بجرائمه وخيانته، فاستل صلاح الدين سلاحه وضربه وفصل رأسه عن بدنه وقال صلاح الدين: كنت قد نذرت دفعتين أن اقتله ان ظفرت به، الاولى عندما اراد المسير إلى مكة والمدينة والثانية لما اخذ القوافل غدراّ، ولما رأى ملك بيت المقدس جاي لوزجنان ذلك المنظر، ارتعب وظن ان صلاح الدين سيثني به، إلا أن صلاح الدين طيب قلبه وقال له: لم تجر عادة الملوك أن يقتلوا الملوك، أما هذا فإنّه تجاوز حده[2].

وقد كانت كل تحركات صلاح الدين في بلاد الشام ومصر وحملاته هي النقاط الاساسية التي استشهد فيها اولئك الذين ارادوا الانتقاص من شأنه، في الماضي والحاضر، والذين حاولوا الإيحاء بان أهدافه الاساسية انصبت على تمجيد شخصيته وعشيرته، لكن الواقع ان صلاح الدين اضحى معقد آمال المسلمين ومحط انظارهم في بلاد الشام والمنقذ الرئيس لهم من الاخطار المهددة في الداخل والخارج ليرتقوا مصدر الصدارة في قيادة المسلمين، وانه كان الوريث لنور الدين محمود، وسار على نهجه في توحيد المسلمين في بلاد الشام ومصر والجزيرة الفراتية، والجهاد ضد الافرنج[3] اذ

(1)David. brian Christopher. inventing saladin:*the role of the saladin legend in European culture and identity*. a thesis submitted to the graduate faculty of. james madison university may 2017p:39

(2) ابن شداد، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، ص69.

(3) طقوش، تاريخ الحروب الصليبية، ص433

كانت معركة حطين اعظم معركة عسكرية حلت بالصليبيين لقد كانت في حقيقة امرها تبشر بانتصار المسلمين على اكبر حركة استعمارية شهدتها العصور الوسطى، فضلاً عن أنها حدت من التراجع الصليبي باتجاه الشرق الادنى الاسلامي، وبداية النهاية للوجود الصليبي في هذه المنطقة[1] ورغم الفرحة باسترداد بيت المقدس من يد الصليبيين الذي غاب عنه حكم الاسلام نحو ثمانية عقود، لم ينس السلطان المظفر صلاح الدين وزيره ومستشاره في مجلس حربه القاضي الفاضل الذي غاب بسبب مرض الَم به بدمشق حتى ارسل اليه رسالة يبشره فيها بهذا الفتح العظيم ومن عبارة الرسالة يتضح مدى ما كان يكنَه المظفر صلاح الدين من حب واحترام وتقدير جليل، للذي تطوع من فتوته في خدمة الدين[2]

اولاً: مؤازرة بدو مصر للسلطان الكامل الايوبي في حربه

شارك البدو السلطان الكامل الأيوبي في الدفاع عن مصر ضد الملك حنا لوزجنيان، قائد الحملة الصليبية الخامسة، ولاسيما اصحاب الشرقية ودمياط والجيزة والصعيد، والذين شكلوا عائقاً للقوات الصليبية حال دون احتلال الدلتا، بل وحاصروا الكثير من القوات الصليبية، مما أوقعهم في أوحال الدلتا وفشل الحملة [3]. إذ شارك البدو في الدفاع عن مدينة دمياط عندما فوجئ السكان بنزول الصليبيين في دمياط وهم يستعدون للهجوم عليها فاستعدوا للدفاع عن مدينتهم، فقد قاموا بخزن

(1) عاشور، الحركة الصليبية، ج2، ص810

(2) السامرائي، قاسم حسن آل شامان، المطوعة واسهامهم في حروب صلاح الدين الايوبي، مجلة دراسات بيت المقدس، العدد21، سنة2021، ص6.

(3) ابن واصل، مفرج الكروب في اخبار بني ايوب، ج2، ص329.

المؤن وارسلوا إلى السلطان الكامل في القاهرة يخبرونه بنزول الصليبيين في دمياط، فأسرع على رأس جيشه واتجه صوب المدينة[1].

وطلب من والي الغربية أن يجمع سائر البدو وينضم إلى قواته، واستقرت القوات في العادلية[2]، جنوب مدينة دمياط ليكون على اتصال دائم بالمدينة من جهة ويمنع الصليبيين من العبور إليها من جهة اخرى[3] وقد شارك البدو في مصر والشام في حالة الاستيلاء والتذمر التي أعقبت تسليم الملك الكامل مدينة بيت المقدس للملك فردريك الثاني امبراطور ألمانيا استقدمه الملك الكامل ليقف إلى جانبه في الحملة الصليبية السادسة ضد أخيه المعظم صاحب دمشق فوصل إلى عكا على رأس هذه الحملة ولم تراق فيها قطرة دم واحدة، بل اسفرت عن معاهدة يافا سنة(627هـ/1229م)، بين الملك الكامل وفردريك تضمنت هذه المعاهدة تسليم القدس، ويكون الطريق من عكا الى القدس للصليبيين وقد دامت هذه المعاهدة عشر سنوات بين الجانبين الاسلامي والصليبي وقد تضرر المسلمون حضراً وبدواً وريفاً من تبعية هذه المعاهدة، بل أن بعضهم قام بأعمال غارات على الممتلكات الصليبية وبعض القلاع [4].

إذ واصل البدو في المناطق المحررة شن غاراتهم على الصليبيين فبعد توقيع معاهدة يافا سنة(627هـ/1229م) ومغادرة الامبراطور الالماني فردريك عكا تعرضت

---

(1)طقوش، تاريخ الحروب الصليبية، ص567

(2) العادلية: تقع بين دمياط وفارسكور على الضفة الشرقية للنيل اسسها العادل في سنة 614هـ علي، خطط الشام، ج6، ص81.

(3) المقريزي السلوك لمعرفة دول الملوك، ص309

(4) ابو شامة المقدسي، الروضتين في اخبار الدولتين النورية والصلاحية، ج4، ص211.

القدس لهجوم من البدو تصدى لهـم الصـليبيون أفشـلوا الهجـوم[1] إذ اسـتنكر المسـلمون الاتفاقيـة ((الكامليـة- الفردريكيـة)) اتفاقيـة يافـا التـي اطاحـت بالقـدس الشريـف بيـد الصليبيين ومن مظاهر ذلك الاستنكار التي حدث في دمشق فقد بكى الناس فيهـا عـلى مـا جرى داخل بيـت المقـدس وزاد سـخطهم عـلى الملـك؛ بسـبب تحـريض ابـن اخيـه الملـك صاحبها، وبسبب دروس الحافظ شـمس الـدين سـبط ابـن الجـوزي(ت: 654هــ/1256م) صاحب كتاب(مرآة الزمان عن فضائل بيـت المقـدس) ولمـا أحـس الكامـل أنـه تـورط مـع الإمبراطور، أخذ يهوّن مـن أمـر تسـليم بيـت المقـدس، ويعلـن أنـه لم يعـطِ الصـليبيين إلا الكنائس والبيوت وبقي المسجد الاقصى على حالـه غـير أن هـذه المـبررات لم تؤخـذ بعـين الاعتبار من المسلمين[2] وقد كان للبدو موقف في معركة دمياط سنة(615هـ/1218م) فقد كان الملك الكامل بجيشه في مصر يتصدى للصليبيين الزاحفين لاحتلال دمياط[3] كان والـدة الملك العادل في الشام يجمع له النجدات ويوجهها إليه، وفي هذه الأوقات مات العادل وما كانت الاخبار تتسرب الى مصر بموته ((حتى وقع الطمع في الملـك الكامـل، وثـارت العـرب بنواحي أرض مصر، وكثر خلافهم واشتد ضررهم))[4] ينظر الملحق رقم(6)

وفي عهد السلطان الملك الصالح ايـوب(637هــ- 647هــ/1240م- 1249م) عنـدما هاجم ملك فرنسا لويس التاسع دميـاط حاربـه البـدو بكـل شـجاعة، وكـان الـدور الأكـبر

---

(1) الاغا، الاوضاع الاجتماعية في فلسطين زمن الحروب الصليبية، ص209

(2) المغلوث، سامي بن عبدالـلـه، اطلس الحروب الصليبية على المشرق الاسلامي في العصـور الوسـطى، العبيكان(الرياض، 2009م) ط1، ص163.

(3) حمدان، تاريخ القبائل العربية في مصر، ص62.

(4) المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ص314.

لبدو مصر في مقاومة الحملة الصليبية السابعة بقيادة لويس التاسع[1]، إذ استعملهم الملك الصالح، وزوجه شجرة الدر وأمراء المماليك البحرية في نصب الكمائن للصليبيين، وكأدلاء، ومرشدين، مما أدى إلى فشل الحملة [2] وبعد ان تمكن الملك الصالح من فرض سيطرته على الشام بساعدة القوات الخوارزمية[3] ابتلي بقدوم الحملة الصليبية السابعة أثناء وجود هذه الحملة في مصر توفي الملك الصالح، وقد كان للبدو دور كبير في طرد الصليبيين من مصر في هذه الحملة [4]، وعندما نشب الصراع بين الايوبيين وبين الملك الصالح نجم الدين ايوب سلطان مصر واهل الشام من الايوبيين اضطر إلى جلب القوات الخوارزمية؛ لأنها كانت موجوده منذ عهد الملك العادل والكامل ارسلها خوارزم شاه للمساعدة في قتال الصليبيين سنة (642هـ /1244م) ويبدو ان ميول آل فضل من بني ربيعة كانت مع الملك الصالح، وقد انضموا إلى الخوارزمية بوصفهم قوة تابعة له[5]، ويبدو ان بطش الملك الصالح ايوب هو الذي

(1) لويس التاسع: وهو ملك فرنسا المعروف لدى قومه بالقديس لويس، وهو قائد الحملتين الصليبيتين السابعة على مصر والثامنة على تونس، الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج23، ص178.

(2) جوزيف نسيم يوسف، الملك لويس والحملة السابعة، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1955، ص48؛ حمدان، تاريخ القبائل العربية في مصر، ص62

(3) الربيعي، موقف اعراب الشام من الغزو الصليبي والتتري، ص221

(4) جوزيف نسيم يوسف، الملك لويس والحملة السابعة، ص48.

(5) الخوارزمية: وهم عنصر تركي، كانوا تحت قيادة جلال الدين منكوبرتي(617- 628هـ) وقد قتل في معركة مع التتر سنة 628هـ1270م فتبعثره القوات الخوارزمية وانتشروا في الجزيرة الفراتية وقد انضم بعضهم الى الملك الصالح نجم الدين سنة 633هـ1236م، ثم انقلبوا عليه سنة635 هـ/1238م، ثم عادوا إليه وقاموا بعدة غارات في بلاد الشام، واستعادوا القدس من الصليبيين سنة642هـ ولم يستطع الملك الصالح السيطرة عليهم إلا بعد هزيمتهم اما قوات حلب سنة 644هـ/1246م، ومقتل زعيمهم بركة خان؛ ينظر: سليم، صبري، الاتراك الخوارزميون في الشرق الادنى الاسلامي(هـ628- 644هـ) مكتبة الثقافة الدينية(القاهرة، 2000م)، ص130.

منع تكرار حوادث البدو في حملة لويس التاسع على دمياط واحتلاله لها. وقد تتيح له الفرصة حتى يعود البدو الى عاداتهم التي لم يبدلونها. فبعد ان احرق المسلمون الجسور التي شيدها لويس للعبور عليها لأجل الهجوم على المسلمين، إذ جاء شخص بدوي إلى معسكر الصليبيين، وإدلهم بطرق اخرى تمكنهم من العبور إلى معسكر الصليبيين وشرط عليهم مقابل ذلك أن يدفعوا له خمسمئة دينار فقام لويس ودفع له المال وعبر جيش الصليبيين إلى معسكر المسلمين وفاجأوهم[1]

وكان اعتماد الممالك الأيوبية على البدو كبيراً منذ أيام السلطان صلاح الدين، يحددها الحايك فيما يأتي:

1- انهم قاتلوا بقوى منفصلة بتنظيماتها عن الجيش نظراً لطريقة تسليحهم الخفيفة وطرقهم الخاصة في القتال؛ لأنهم غير منضبطين ضمن حركة المعركة[2].

2- تقاتل بتنظيماتها القبلية وكأحد الاجنحة المستقلة وصيغة الحذر في التعامل معهم، ولاسيما في الاعمال الحربية [3].

3- طريقة قتالهم خاصة بهم، فهي فردية غالباً إذ كانت تنعكس الصراعات بين الممالك الأيوبية على القبائل البدوية المحالفة لها، فتجري معارك بين القبائل، لا مصلحة مباشرة فيها لكلا الطرفين، إلا إرضاء لأحد الملوك الأيوبيين[4].

---

(1) سهيل، زكار الموسوعة الشاملة في تاريخ الحروب الصليبية، ج46، ص88

(2) الحايك، العلاقات الدولية في عصر الحروب الصليبية، ج1، ص151.

(3) جين جنوفيل، حياة القديس لويس، الموسوعة الشاملة، سهيل زكار، ج39، ص99.

(4) الحايك، العلاقات الدولية في عصر الحروب الصليبية، ص151.

4- قواتهم غير منضبطة ضمن سياق المعركة العام؛ إذ كانت الدولة الأيوبية عاجزة عن تجنيد الجيوش وزداد اعتمادها على البدو كقوة عسكرية بديلة، إذ كانت موجودة دائماً، ومستعدة أن تقاتل دائماً، ونادراً ما يهمها مع من تقاتل، أو ضد من، حتى شكل البدو –في بعض الأحيان- قوى كبرى لبعض الإمارات الأيوبية، فقال فيهم ابن فضل الله العمري: [1] ((وهم أسوار المدن، وحفظة الطرق، ولم يزل منهم أئمة للطلائع، وجناح للجيوش)).

5- كل معارك صلاح الدين كان للبدو مشاركة فيها إذ شهد القرن الخامس للهجره/ الحادي عشر للميلاد في كل المنطقة العربية ما قبل ظهور الدولة الايوبية عملية انتشار البدو وزيادة النسبة العددية لهم وتعاظم دورهم السياسي والعسكري لهم، مع أن ذلك لم يترافق بزيادة كبيرة في أعدادهم، أو نمو لمواردهم الاقتصادية، فتعامل الدولة الأيوبية مع البدو، كان تعاملاً مع واقع قائم، إلا أن الأيوبيين غالباً ما كانوا يسيطرون عليهم [2].

وكانت كلمة بدو في العصر الأيوبي تشمل القبائل العربية البدوية، واتسعت كلمة البدو لتشمل - فضلاً عن العرب- المجموعات العرقية البدوية الاخرى مثل: التركمان والاكراد، وكان أغلبهم من السنة، فقد اتبع التركمان مذهب الإمام أبي حنيفة النعمان، وهو المذهب الذي دخلوا عليه الإسلام، وكان مذهب الخلافة العباسية التي دانوا لها بالولاء والطاعة، في حين اتبع الأكراد المذهب الشافعي [3]

(1) قبائل العرب، ص69

(2) كاهن، كلود، الشرق والغرب زمن الحروب الصليبية، ترجمة احمد الشيخ، سيناء للنشر (القاهرة، 1995م) ص31.

(3) الحايك، العلاقات الدولية في عصر الحروب الصليبية، ص152.

المبحث الرابع

اسهام القبائل العربية

في مصر في العصر الايوبي ومشاركتها

في معركة المنصورة(648هـ- 1250م)

كان البدو يمثلون قسماً صغيراً من سكان بلاد الشام والجزيرة وكانت الغالبية تقطن في المدن والارياف [1] فقبيلة جذام اليمانية كانت تسيطر على وسط وشمال فلسطين، ومنهم: بنو مرا، وبنو فيض، وبنو شجاع في القدس، وما حولها، والعناترة حول بلدة الخليل، وكان بنو نمير في الكفرية ونمرين في حوران، وفي وسط سوريا [2]، ونجد قبيلة زبيد وأبناء عمومتهم بني ربيعة من طيء اليمانية ينتشرون في غوطة دمشق، وشمالها، وفي جنوب فلسطين، أنتشر بنو جرم من طيء، ويقال لهم: بنو ثعلبة، وقد نقلهم صلاح الدين من جنوب فلسطين الى مصر سنة (583هـ/1187م) لأنه شك بتعاملهم مع الصليبيين [3]، ومن طي أيضاً كانت قبيلة غزية التي انتشرت ما بين الشام والعراق والحجاز، ومنها البطنين [4].

استقرت اوضاع هذه القبائل العربية في القرنين الاول والثاني للهجرة/ السابع والثامن للميلاد في بلاد الشام متمثلة بقدوم موجات جديدة من المهاجرين إلى

(1) زكار، سهيل، مدخل الى تاريخ الحروب الصليبية، الموسوعة الشاملة، ص168

(2) الحايك، العلاقات الدولية في عصر الحروب الصليبية، ص159.

(3) العيني، بدر الدين ابو محمد محمود بن احمد بن موسى (ت، 855هـ) عقد الجمان في تاريخ اهل الزمان، تح، محمد امين (د. م، 1987م) ص83؛العمري، قبائل العرب، ص107.

(4) المقريزي، البيان والاعراب عما بارض مصر من الاعراب، ص5.

فلسطين مثل: قبائل طيء اليمانية بزعامة آل الجراح وكذلك من بني هلال وسليم وفـزاره واتجهت إلى الشمال قبائل عقيـل وكـلاب[1]، ولم تقـتصر هـذه الهجـرات الجديـدة الى بـلاد الشام، بل تعدت إلى ما هو أهم فقد استطاعت القبائل الثلاث الرئيسـة مـن انشـاء ثـلاث دول بدوية في بلاد الشام الاولى في الرملة لطي والثانية في دمشق لكلب والثالثة لكـلاب في حلب[2]، وكذلك كانت بقايا قبيلة غسان وهي من الأزد، من كهلان اليمانية، ومنهم طائفة في حمص، واستطاعت عدة بطون من طي أن تسيطر على مناطق واسعة جنوب فلسطين، وجنوبي شرقي الأردن، كذلك نجد زعماء طئ في فلسطين من آل الجـراح قـد اسـتولوا عـلى الرملة [3]، وأظهرت طي سيادتها على سائر القبائل في جنوب الشام أيام شيخهم دغفل بـن الجراح وأولاده مفرج وحسان ومنصور[4]، اللذين تحالفا مع الفـاطميين أولاً، ثـم اصـطدما بهم، وانتهت سيادة آل الجراح بوفاة حسان بن دغفل سنة (433هـ/1043م) [5].

وفي ظل آل الجراح كان يعيش بنو مهيد من عذرة من قضاعة من حمـير بـن سباء القحطانية ومنازلهم في وادي موسى، وكانوا يقطعون الطريق هناك، ويخضـعون لمنصور بن دغفل [6]، وحول الكـرك عـاش بنـو مهـدي وبنـو عقبـة، وزعـيمهم سـابق

(1) الاغا، والاوضاع الاجتماعية في فلسطين زمن الحروب الصليبية، ص206.
(2) زعرور، الحياة الاجتماعية في بلاد الشام، 254.
(3) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص31.
(4) ابن خلكان، وفيات الاعيان وانباء أبناء الزمان، ج2، ص342.
(5) الحياري، الامارة الطائية، ص32.
(6) اسامة بن منقذ، الاعتبار، ص12، ص158.

الدين، عينه ابن مهدي، والذي كلفه الظاهر بيبرس[1] لحماية الطريق حـول الكـرك[2]، أمـا بنو عاملة - وهم من قبيلـة سـبأ اليمنيـة، - فتواجـدوا بكثافـة في شـمال فلسـطين، حتـى سميت الجبال هناك باسم جبال عاملة. ومن قبائل عامر بن صعصعة تفرعـت بنـو هـلال حول بلدة صرخد في الجولان، حتى سمي جبـل حـوران –جبـل الـدروز الآن –بأسـم جبـل هلال [3]، وتفرع أيضا عن عامر بن صعصعة بنو عقيل بن ربيعة، فقد خرجوا من البحرين إلى العراق، ثم إلى الجزيرة الشامية، اذ أسس زعيمهم قريش وابنه مسلم الدولة العقيلية[4] هناك[5] ويتواجد في حلب وجبل الأحص وأطراف الجزيرة تحالف قـبلي مـن أعـراب شـتى يعرفون بآل بشار، وهم لا ينقادون لأمير واحد، ولو اجتمعوا لما أمن شرهم [6].

أما أشهر القبائل القيسـية الشـمالية في بـلاد الشـام، فهـم بنـو كـلاب، الـذين انتشروا في شمال حلب، وحتى سفوح جبال طوروس والدروب الى بلاد الروم، واشتهر

(1)الطاهر بيبرس: الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البنقـداري لقـب بـأبي الفتـوح سـلطان مصر والشـام ورابع سلاطين الدولـة المملوكيـة ومؤسسـها الحقيقـي وهـو اعظـم السـلاطين في الـعصر الاسـلامي الوسيط، الصفدي الوافي بالوفيات،ج10،ص207.

(2) المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج4، ص213.

(3) الحايك، العلاقات الدولية في عصر الحروب الصليبية، ص160.

(4) الدولة العقيلية: وهي احدى القبائل الخمس التي يتكون منها بنو كعب المنسوبة للقبائل المضريـة، وينتسب بنو عقيل الى الجد الاكبر جعفر بن عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصـعة مـن العرب العدنانية، كانوا ينتشرون قبل الاسلام في البحرين وعاش الى جانبهم بنو تغلب وبنـو سـليم، ثم حدث خلاف بين بني عقيل وبني تغلب، اذ استطاع فيها بنو تغلب مـن طـرد بنـي عقيـل مـن البحرين الى العراق، والجزيرة الفراتية؛ حمدي، وجـدان عبـد الجبـار، الامـارة العقيليـة في الموصـل ودورها في التصدي للبويهيين، دراسات موصلية العدد29، كانون الثاني، 2013م، ص69.

(5) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج5، ص421؛

(6) العمري، قبائل العرب، ص144

عرب بني كلاب بالشجاعة والفروسية وحاولوا فرض سلطانهم[1]، قال فيهم ابن فضل الـلـه العمري [2]: ((وبنو كلاب عرب أطراف حلب والروم، ولهم غزوات معلومة، وغارات لا تعد، ولا تزال تباع بنات الروم وابناؤهم من سباياهم، وهم يتكلمون بالتركيـة وهـم عـرب غـز، رجال حروب، وأبطال جيوش)).

وفي أيام دولـة الملـك الكامـل الأيـوبي(576- 635هــ/1218- 1238م) ظهـر بنـو كلاب على بني ربيعة، الذين اعتذروا عن حمل الغلال الى مدينة خلاط، فقال مانع بـن حديثة وغنام بن طاهر للملك الكامل لوجد الابل في البرية، ولما قـام بـالأمر بنـو كـلاب فتعهد للكامل بنقل غلاله، الامر الذي جعل لبني كلاب منزلة وقدر عند الكامل، حقـد الكامل على مانع وغنام، وعندما أتياه عند أخذه لآمد[3]، وبخهـما وقـال ((والـلــه لـولا إنكما عربيان لأفعلـن بكـما الواجـب))[4]، ونسـتدل مـن كـلام الملـك الكامـل أن صـفة العروبة التي يحملها البدو كانت من الصفات ذات التقـدير الخـاص لـدى ملـوك بنـي أيـوب، واسـتفادت كـلاب مـن هـذه الحادثـة، فتقربـت إلى الكامـل، الـذي قـدمهم، وأكرمهم،، وكانوا خير عون له في حروبه ضد الصليبيين [5]، وتقربـوا مـن الملـك الأشرف،

(1) العريني، الدولة البيزنطية، ص680.

(2) مسالك الابصار في ممالك الامصار، ج4، ص343.

(3) آمد: وهي مدينة جليلة يوجد عليها حصن عظيم وسور كبير من الحجارة السود التي لا يعمل فيهـا الحديد ولا تضرها النار والسور يوجد عليه عيون ماء وتوجد فيها بساتين ومـزارع كثـيرة، العزيـزي الحسن بن علي بن احمد(ت، 380هـ) المسالك والممالك، تح، تيسير خلف (د، م، د، ت) ص109.

(4) العمري، مساك الابصار في ممالك الامصار، ج4، ص345.

(5)، عاشور الحركة الصليبية، ج2، ص531.

وكانوا معدودين من أتباعه، وشاركوا الأشرف موسى في الكثير من الحروب التي خاضها ضد الصليبيين[1]

وحول حمص كان هناك بنو خالد، أو عرب حمص، وهم يدعون النسب إلى الصحابي الجليل خالد بن الوليد [2]، ولعلهم من ذوي قرابته من بني مخزوم، وهناك بنو زبيد منتشرون في الشام، منهم بصرخد، ومنهم بغوطة دمشق، وهم جماعة نوفل الزبيدي [3]، ونوفل هذا كان يشارك الملك الناصر الثاني[4] في حملته على مصر، ولما غدر هزم الناصر أخذه نوفل الزبيدي، وجماعة من مماليكه، وأصحابه، وعادوا إلى الشام[5] ونوفل هو الأمير ناصر الدين سيد عرب زبيد، وهم بنو زبيد بن معن بن عمرو بن طي، وهم فرق شتى في بلاد الشام كان، ذا وجهة وحرمة ومكانة، وقد توفي عام (675هـ/1276م)[6]، ويقول ابن العميد: [7]((بعد تفرق الصالح أيوب هاجمه عند نابلس حسام الدين لؤلؤ، وهو من غلمان عمه الصالح إسماعيل، ومعه جموع عظيمة من العربان اليزيديين))، وغالباً فهذا تصحيف، فهم العربان الزبيديون، وليس اليزيديين[8].

---

(1) قاسم، الايوبيين والمماليك التاريخ السياسي والعسكري، ص127.

(2) القلقشندي، صبح الاعشى في صناعة الانشا، ج4، ص214؛العمري، مسالك الابصار في ممالك الامصار، ج4، ص343,

(3) العمري، قبائل العرب، ص143.

(4) الناصر الثاني: الملك المعظم شمس الدولة توران شاه بن أيوب بن شاذي بن مروان الملقب بـ(فخر الدين)، وقد تقدم ذكر أبيه وأخيه تاج الملوك، وهو أخو السلطان صلاح الدين (رحمه الله تعالى)، وكان أكبر منه، وكان السلطان يكثر الثناء عليه ويرجحه على نفسه، ابن خلكان، وفيات الاعيان، ص306

(5) ابن تغردي بردي، النجوم الزاهره، ج7، ص8.

(6) ابن تغردي بردي المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، ج3ص144.

(7) المكين جرجس، أخبار الأيوبيين، مكتبة الثقافة الدينية (القاهرة، د، ت)، ص29.

(8) الحايك، العلاقات الدولية في عصر الحروب الصليبية، ص162.

ومع تمدد القبائل البدوية في العصر الأيوبي كان بنو ربيعة هم وجوهها، فقد سادوا القبائل العربية جميعاً في الشام والعراق والجزيرة ومصر، يقول فيهم ابن فضل العمري [1]: ((هم ملوك البر، وأمراء الشام والعراق والحجاز))، وجدهم ربيعة نبغ بين القبائل العربية أيام الأتابك زنكي وولده نور الدين محمود [2] فهم: آل فضل، وآل مرا، وآل علي من آل فضل[3]، وقد بدأ ظهور بني ربيعة بزعامة آل فضل على مسرح احداث المناطق الجنوبية في بلاد الشام ومنطقة دمشق في بداية الحروب الصليبية أي: منذ مطلع القرن السادس للهجرة الثاني عشر للميلادي، ومع أن الأمير مانع بن حديثه بن فضل بن ربيعة كان أمير عرب الشام بلا منازع في عصر حكم اتابكة دمشق أيام طغتكين نشأت علاقات بين طغتكين أتابك دمشق ومانع بن حديثه بن فضل بن ربيعة، إلا أنه لم يصرح له، ولا لغيره، من بني ربيعة بالإمرة على العرب، بتقليد من السلطان، ولم يبدأ ذلك العرف حتى أيام الملك العادل بن أيوب، إذ أمر منهم مانع بن حديثة بن فضل بن ربيعة[4]ومنحه العادل رسمياً لقب أمير العرب، وفي الحقيقة استمر هذا اللقب طيلة العصر الأيوبي غير واضح المعالم، غير محدد الواجبات والمهمات؛ لطبيعة الحكم في الممالك الأيوبية، فصحيح هناك سلطان أعظم تدين له بالطاعة جميع أو معظم، وأحياناً بعض الممالك الأيوبية، لكنه غالباً لم يكن يملك قوة كافية لفرض كل ما يريد، وسلطنته خارج مملكته كانت دائماً تخضع لتقييم المصالح المحلية والسياسية الإقليمية، لذلك ومع وجود منصب أمير العرب ظلت قبائل الشام البدوية تتحالف مع الممالك الأيوبية، وتخوض حروبها، وتلتزم بمعاهداتها منفردة، فالانقسام الأيوبي السياسي حمى الانقسامات البدوية، ورعاها؛ لتسخيرها وفقاً

(1) قبائل العرب، ص112.

(2) العمري، قبائل العرب، ص112.

(3) العمري، مسالك الابصار في ممالك الابصار، ج4، ص306.

(4) زعرور، الحياة الاجتماعية في بلاد الشام، ص256.

لمصالحه، وبالتالي لم يتمكن السلطان الأيوبي من إعطاء أمير العرب قوة كافية، لإخضاع كل القبائل له ولأسرته، ولذا سيرتقي منصب أمير العرب من شأنه مع قيام دولة المماليك القوية الموحدة [1]

وما دفع العادل الأيوبي لأحداث منصب رسمي لإمرة العرب هو دور القبائل العربية المتنامي، سواء كانوا في الصراع ضد الفرنجة، أو في الصراعات الداخلية بين ممالك البيت الأيوبي، ويبدو أن لقب أمير العرب في العصر الأيوبي لم يكن رتبة دائمة للشخص، فكان يمكن تبديله، ومنح اللقب إلى شخص أخر، كذلك لم يكن وراثياً بالضرورة، فإذا مات أمير العرب يعود الأمر للسلطان، فقد يولي ابنه، إذا كان أهلاً لها، أو غيره، فعندما تولى حديثة أمير العرب قام الملك الكامل بقسمة ألامر نصفين، نصفاً لمانع بن حديثة، ونصفاً لغنام ابي طاهر بن غنام [2].

وينقسم بنو ربيعة إلى ثلاثة - أفخاذ كما ذكرناهم- هم المشهورين منهم، وما عداهم أتباع، ولكل من الثلاثة أمير مختص بهم [3]، وهم آل فضل وديارهم من حمص إلى الفرات، وهم أعلاهم وأرفعهم مكانة، وآل علي وديارهم مرج دمشق وغوطتها [4]، وآل مرا بن ربيعة، وهم رجال محاربون، منزلهم بين الجولان وحوران[5].

(1) الحايك، العلاقات الدولية في عصر الحروب الصليبية، ص163.
(2) العمري، قبائل العرب، ص177
(3) الحايك، العلاقات الدولية في عصر الحروب الصليبية، ص164
(4) القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الانشا، ج4، ص204.
(5) العمري، قبائل العرب، ص183.

وكان بنو ربيعة طوال العصر الأيوبي اكابر وسادات العرب ووجوهها، ولهم عند سلاطين بني أيوب حرمة كبيرة وصيت عظيم [1]، وتتبعهم كل القبائل وكان لا يوجد في ذلك الوقت من لا يؤثر صحبتهم ويظهر محبتهم[2].

أما قبائل البدو غير العربية من التركمان والاكراد فقد أدوا دوراً أكثره سلبياً طوال العصر الأيوبي؛ لعدم توحدها او لعدم تمكنها من تنظيم نفسها اذ لم تشكل قوة عسكرية كبيرة او سياسية ضاغطة فلم يحسب إليهم اي حساب في ميزان القوى في الدولة الأيوبية إلا بأحداث حداث يقومون بها، وهي الاضطرابات وقطعهم الطرق[3].

وفي مصر أسهمت القبائل العربية والبدوية في مقاومة الصليبيين، وهم: جهينة، والحويطات، ومطير، والعقايلة، والجهمة، والعبابدة، وبنو واصل، والعليقات، والأشراف، والفوايد، والهوارة، وجذام،، وقبائل المساعيد في سيناء، والترابين، والبياضية، وغافق، وتجيب، وخولان، والمعافر وهذال وخزاعة وكنانة والفهريين وجرش، والسهميين وبنو عدي، وبنو جمح، والعمريون، وبنو مخزوم، وبنو تميم بن مرة، وبنو طلحة وبنو زهرة، والجعافرة، والأمويين، ومدلج، وقبائل أسد وتميم والقيسيين، وباهلة، وفزارة وعبس وغيرها من القبائل العربية التي هاجرت من شبه الجزيرة العربية، إلى مصر [4].

ومن مظاهر ذلك موقف القبائل العربية في مصر من الصراع بين شاور، وأسد الدين شيركوه، فقد استعان شاور بالصليبيين فبعث شيركوه رسالة إلى البدو في

(1) القلقشندي، صبح، الاعشى في صناعة الانشا، ج4، ص203.

(2) العمري، قبائل العرب، ص141.

(3) الحايك العلاقات الدولية في عصر الحروب الصليبة، ص152.

(4) المقريزي، البيان والاعراب عما بارض مصر من الاعراب، ص10- 143.

صعيد مصر والشرقية لمعاونته ضد شاور، واستجابوا له[1] فقد قام شاور بجمع اعداد وفيرة من العربان والصعيد واسرع بالسير بهم عن طريق الواحات إلى ان وصل إلى تروجه بالقرب من الاسكندرية، ومن ثم توجه الى القاهرة ودخلها[2].

وعارضت القبائل العربية شاور، ووقفت ضده مع أسد الدين شيركوه، وفي ذلك قال أبو شامة [3]: ((وسار أسد الدين إلى الجيزة، وخيم بها مقدار خمسون يوما، واستمال قوماً يقال لهم الأشراف الجعفريين والطلحيين والقرشيين))،.

وعندما اتجه أسد الدين شيركوه من قوص إلى الإسكندرية بعدما بلغه قيام شاور والصليبيين بمحاصرتها، تبعته جماعة كثيرة من البدو، وأهل تلك البلاد، وبلغ ذلك شاور فرحل هو والفرنج وأضطر لطلب الصلح [4].

وكان من بين القبائل العربية التي أنضمت إلى عسكر شيركوه طائفة من لخم وجذام ومدلج، استبسلت في القتال مع الجيش النوري إلى أن تم النصر للمسلمين على الصليبيين[5].

وهكذا انتصر العرب في مصر شمالها وجنوبها لأسد الدين شيركوه وابن أخيه صلاح الدين الأيوبي، وأيدوهما بالسلاح والرجال، والمعلومات، وأعانوهما في الوقوف في مواجهة شاور والصليبيين [6]. ينظر ملحق رقم(7)

---

(1) ابن تغردي بردي، النجوم الزاهرة، ج2، ص433.

(2) الحويري، بناء الجبهة الاسلامية المتحدة واثرها في التصدي للصليبيين، ص126.

(3) الروضتين في اخبار الدولتين النورية والصلاحية، ج2، ص95.

(4) ابو شامة الروضتين في اخبار الدولتين النورية والصلاحية، ج2، ص67.

(5) المقريزي، البيان والاعراب عما بارض مصر من الاعراب، ص103.

(6) السيد، محمود، القبائل العربية في مصر في عهد الدولة الأيوبية والمملوكية، مؤسسة شباب الجامعة (الاسكندرية، 1998م)، ص10.

وعندما تولى صلاح الدين الوزارة الفاطمية بعد وفاة عمه شيركوه، غزا الروم والصليبيون ثغر دمياط، بأسطول قوامه ألف ومئتي سفينة، وقبل أن يصل خبر الغزوة الى صلاح الدين كان أهل دمياط ومنهم عرب بني كنانة، يستبسلون في مقاومة الغزاة وصدهم عن دخول دمياط، ولم يتردد صلاح الدين في تحصين دمياط بالرجال والسلاح، وبعث يستنجد بنور الدين في الشام، وترتب على ذلك أن خفف الفرنج خناقهم على دمياط، واضطروا لرفع الحصار عنها والعودة من حيث أتوا [1].

وهكذا تخلصت دمياط من خطر محدق بفضل شجاعة أهلها ومن آزرهم من بني كنانة، وظل البدو عوناً لصلاح الدين، وخلفائه من سلاطين بني أيوب في مصر، وكانوا في حقيقة الأمر يمثلون طلائع الجيش، ويتولون القيام بالأعمال الفدائية التي تسبق المعارك الحربية والتحام الجيوش المقاتلة [2]. ومن أمثلة ذلك ما قيل عن دور البدو في معارك مصر الكبرى ضد الصليبيين، ما رواه المقريزي عندما تعرض لوصف الأعمال الفدائية في دمياط في عهد الملك الكامل الأيوبي، إذ قال[3] ((والعربان تتخطف الفرنج في كل ليلة بحيث امتنعوا عن الرقاد خوفاً من غاراتهم)).

ومن الجدير بالذكر أن البدو سايروا سلاطين الدولة الأيوبية، ولم يخرجوا عليهم، وكان السلاطين من بني أيوب يبعثون برسائلهم إلى ولاة الأقاليم يدعونهم فيها إلى اتباع سياسة رشيدة عادلة مع البدو[4].

وفي معركة المنصورة التي قادها مماليك الملك الصالح نجم الدين أيوب أدى البدو بالاشتراك مع عامة المصريين دوراً كبيراً في الدفاع، ومقاومة الصليبيين، إذ أقام

---

(1) ابو شامة المقدسي، الروضتين في اخبار الدولتين النورية والصلاحية، ج1، ص196.

(2) ابن تغردي بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهر، ج1، ص351.

(3) السلوك لمعرفة دول الملوك، ج1، ص313

(4) السيد، محمود، القبائل العربية في مصر في عهد الدولة الأيوبية والمملوكية، ص13.

الفرنج الأسوار وحفروا الخنادق، لحماية معسكراتهم من هجمات البدو في الوقت الذي أخذ فيه الفدائيون من العرب والمصريين في مهاجمة قوات الفرنجة [1]. ويصف المقريزي هذا الدور العظيم الذي قام به الاهالي من البدو وغيرهم فيقول: [2] ((وأبلى عوام الناس في قتال الفرنج بلاءً كبيراً، وأنكوهم نكاية عظيمة وصاروا يقتلون منهم ويأسرون)).

واستمرت مضايقة البدو للفرنجة لئلا يسببوا لقيادتهم الشعور بالفزع والارتباك [3]وذكر ابن أياس، دور الأهالي في معركة المنصورة، فقال: [4] ((ركب الأمير بيبرس البندقداري والأمير لاجين وغيرهما من الأمراء، وخرج معهم السواد الأعظم من العوام والفلاحين والبدو من قبائل بني كنانة وبني مذحج وبني عدي، وفي أيديهم المقاليع والدبابيس والرماح، ومنهم طائفة يرمون بالنشاب، فحملوا على الفرنج حملة واحدة))؛ وقد سقط الشهداء من البدو والاهالي والمماليك جنباً الى جنب دفاعاً عن مصر [5].

ومع ان البدو قدموا خدمات لا تنكر في مقاومة الغزاة الصليبيين سواء كان ذلك بالتجسس، والغارات الخاطفة على معسكرات العدو او بنصب الكمائن على الطرقات للجيش الصليبي والخروج اليهم إلا انهم كانوا في الاغلب متقلبين في مواقفهم بين الصليبيين والمسلمين؛ لأن في ذلك خدمة اكبر لمصالحهم [6] ولأن من عادة البدوي أن ينحاز إلى صفوف الغالب وينتقض على المغلوب ولو كان في صفوفه لأن غايته

---

(1) ابو شامة المقدسي، الروضتين في اخبار الدولتين النورية والصلاحية، ج1، ص133.
(2) المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج1، ص337.
(3) حسن، علي ابراهيم، دراسات، في تاريخ المماليك البحرية (القاهرة، 1948م) ص74.
(4) ابن اياس، زين العابدين بن علي بن محمد(ت، 930هـ) بدائع الزهور في وقائع الدهور، تح، محمد مصطفى، دار الباز(مكة المكرمة، د، ت) ج1، ص70.
(5) المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج1، ص351.
(6) زعرور، الحياة الاجتماعية في بلاد الشام، ص211.

السلب والنهب[1]، وبعد كل هذا الحديث عن البدو هل باستطاعتنا الحكم على القبائل البدوية بالعمالة المطلقة للصليبيين؟ لا أظن ذلك، فإن ما ورد هو نصف الحقيقة، وقد لا ينفي أنه لكثير من طوائف البدو كان لها مواقف وطنية مشرفة ووقفات لكثير منها قد سجلها التاريخ لهم، فقد كان جيش صلاح الدين لا يخلو من فرسان البدو المتطوعة للجهاد [2] ينظر ملحق رقم(8)

(1) علي، خطط الشام، ج3، ص149

(2) غنيم، اسمت، الدولة الأيوبية والصليبيون، ص34.

الخاتمة

الحمد اللـه الذي بنعمتـه تـتم الصـالحات، وبعـد ففـي نهايـة رحلتـي مـع هـذه الدراسة التي جاءت بعنوان ((دور البدو في مقاومة الحروب الصليبية)) فقد توصلت هذه الدراسة إلى عدة نتائج اهمها:

- شارك البدو العرب مشاركة فعلية اثناء الحملات الصليبية، اذ رفض البدو المنـتشرون في بعض القرى وعلى أطـراف المـدن والقـرى وفي الصـحراء الشـامية الواقـع الجديـد المتمثل في الاحتلال الصليبي لبلادهم.
- أسهم البدو مساهمة كبيرة في قتل وخطـف العديـد مـن فرسـان وجنـود الصـليبيين وذلك باختراق الحصار المضروب حول المدينة المقدسة.
- شارك البدو في مقاومة الحملة الصليبية الاولى بما أبدوه مع سـكان عكـا مـن تعـاون لمقاومة محاولة الفرنجة السيطرة عليها سنة (496هــ/1103م) اذ شـاركوا في تزويـد أهلها بالأسلحة والمؤن والمياه.
- شارك البدو عماد الدين زنكي في معركة بعرين أو بارين، تلك المعارك التي كانت من أهم المعارك الحربية ضد الصليبيين في عهد عماد الدين زنكي.
- قـدم البـدو الكثـير مـن المعلومـات للقـادة المسـلمين عـن الطـرق التـي ستسـلكها الحملات الصليبية.
- أدى البدو دوراً محورياً في حصار حصن بعرين، فقد شكلوا سنداً قوياً لعماد الـدين زنكي في الطرق المؤدية الى الحصن، اذ مكثوا عليها يترقبـون وصـول أيـة أمـدادات أو نجدات أو قوات مساعدة للصليبيين.

- أدى البدو دوراً مهماً في هزيمـة الحملـة الصـليبية الثانيـة، إذ عملـوا كعيـون لجمـع المعلومات عن القدرات العسكرية لقادة حملـة كـونراد الثالـث ولـويس السـابع، و اشتغلوا كأدلاء للجيوش الإسلامية التي واجهت هذه الحملة.
- كان اعتماد الممالك الأيوبية على البدو كبيراً سواء في مصر أو الشام منذ أيـام صـلاح الدين، ومن جاء بعده من الأيوبيين، إذ برزت أول المواقف الإيجابية للبدو والمناصرة للقوات الإسلامية في عهد صلاح الدين، في معركة الرملة.
- وكان البدو من الجماعـات الشـعبية المشـاركة في معركـة حطـين ولاسـيما في طبريـة والكرك،، ولعل ابرز وأوضح المواقف لمجموعـات البـدو في المقاومـة ضـد الصـليبيين، هي التي ظهرت في حصار الصليبيين لمدينة عكا.
- شارك البدو السلطان الكامل الأيوبي في الدفاع عـن مصر ضـد الملـك حنـا لوزجنيـان، قائد الحملة الصليبية الخامسة، وبالاخص سكان الشرقية ودمياط والجيزة والصعيد، والذين شكلوا عائقاً للقوات الصليبية حال دون احتلال الدلتا.
- كان لظهور حركة اليقظة الاسلامية ايام عماد الدين زنكي، ومن جاء بعـده ابنـه نـور الدين محمود ثم بلغت ذروة نضجها عـلى يـد القائـد الملـك النـاصر يوسـف صـلاح الدين الايـوبي. فـنجح في توجيـه الضربـة القاصـمة الى المملكـة اللاتينيـة في موقعـة حطين(583هـ/1178م) واستولى على بيت المقدس ومعظم مـدن السـاحل الشـامي، وفقدت المملكة هيبتها الاولى واصـبحت لا تتمتـع بـأي حـال مـن الاسـتقلال الـذاتي والحرية في العمل كما كان الحال من قبل.

الملاحق

ملحق رقم (1)

مخطط يظهر الحملة الصليبية الاولى وابرز قادتها



المصدر، أطلس الحروب الصليبية على المشرق الاسلامي في العصور الوسطى، سامي بن عبدالله المغلوث، ص 47.

ملحق رقم(2)

مخطط يظهر فتوحات عماد الدين زنكي



المصدر، اطلس الحروب الصليبية على المشرق الاسلامي في العصور الوسطى، سامي بن عبدالله المغلوث، ص81.

ملحق رقم(3)

مخطط يظهر الحملة الصليبية الثانية المصدر، اطلس الحروب الصليبية على المشرق الاسلامي في العصور الوسطى



المصدر، سامي بن عبدالـلـه المغلوث، ص 87.

ملحق رقم (4)

مخطط يظهر معركة حطين



المصـدر: أطلـس الحـروب الصـليبيه عـلى المشرق الاسـلامي، سـامي بـن عبدالـلـه المغلوث ص 105.

ملحق رقم(5)

يظهر الوضع السياسي بعد صلح الرملة



المصدر، اطلس الحروب الصليبية على المشرق الاسلامي في العصور الوسطى، سامي بن عبدالله المغلوث، ص127

ملحق رقم(6)

مخطط يظهر موقعة حصار دمياط



المصدر، اطلس الحملات الصليبية على المشرق الاسلامي في العصور الوسطى، سامي بن عبدالـلـه بن المغلوث، ص154

ملحق رقم(7)

مخطط يظهر فتوحات صلاح الدين الايوبي

المصدر، أطلس الحروب الصليبية على المشرق الاسلامي في العصور الوسطى، سـامي بن عبدالـلـه المغلوث، ص 99.

ملحق رقم (8)



المصدر: أطلس الحروب الصليبية على المشرق الاسلامي في العصور الوسطى، سامي بن عبدالـلـه المغلوث، ص 155.

قائمة

المصادر والمراجع

القران الكريم

اولاً: المصادر

*ابن الاثير، عز الدين ابو الحسن علي بن أبي الكرم الشيباني (ت، 630هـ/1232م).

1- الكامل في التاريخ، تح، عمر عبد الاسلام التدمري، دار الكتب العربي(بيروت1993م).

2 - التاريخ الباهر في الدولة الاتابكيه، تح: عبد القادر احمد طليمات، دار الكتب الحديثة، (القاهرة، 1963م).

*الادريسي، محمد بن محمد بن عبدالله(ت، 560هـ/1164م)

3- نزهة المشتاق في اختراق الافاق، عالم الكتب، (بيروت، 1989م).

*الأزهري، ابو منصور محمد بن الأزهر بن طلحة الأزهر الهروي، (ت370هـ980م)،

4- تهذيب اللغة، تح، محمد عوض مرعب، دار احياء التراث العربي، (بيروت، 2001م).

* الاصطخري، أبو اسحاق ابراهيم بن محمد (ت، 346هـ/957م).

5- المسالك والممالك، دار صادر (بيروت، 2004م).

*الاصفهاني، محمد بن حامد الكاتب (ت، 597هـ/1200م).

6 - البرق الشامي، تح، فالح صالح حسن، مطبعة مؤسسة عبد شومان (عمان، 1987م).

7 - الفتح القسي في الفتح القدسي، تح، ابراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية (بيروت، 2003م).

*ابن اعثم الكوفي، محمد بن أحمد بن أعثم، (ت 314هـ/926م).

8- الفتوح، تح، علي شيري، دار الكتب العلمية، ط1، (بيروت، 1986م).

*ابن اياس، زين العابدين بن علي بن محمد(ت، 930هـ/1523م).

9- بدائع الزهور في وقائع الدهور، تح، محمد مصطفى، دار الباز(مكة المكرمة، د، ت).

*البكري، ابو عبيد عبدالـلـه بن عبد العزيز، (ت، 487هـ/1094م).

10 - المسالك والممالك، دار الغرب الاسلامي. (د، م، 1992م).

*البلاذري، احمد بن يحي بن جابر(ت279هـ/892م).

11 - فتوح البلدان، مكتبة الهلال، ط5، (بيروت، 1988م).

*التطيلي، الربي بنيامين، (ت، 569هـ/1173م).

12- رحلة بنيامين، المجمع الثقافي، (ابو ظبي، 2002م).

*ابن تغردي بردي، ابو المحاسن جمال الدين يوسف، (874هـ/1469م).

13- النجـوم الزاهـرة في ملـوك مصر والقـاهرة، وزارة الثقافـة والارشـاد القـومي، دار الكتب(مصر، د، ت)

14- المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، تحقيق محمد محمد امين(القاهرة، 1984م).

*ابن الجوزي، ابو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت، 597هـ/1200م).

15- المنتظم في تاريخ الملوك والامم، تح، محمد عبد القادر عطا، ومصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، (بيروت، 1992م).

*ابن حزم الاندلسي، علي بن احمد سعيد(ت، 456هـ/1063م).

16- جمهرة أنساب العرب،، تح، لجنة من العلماء، دار الكتب العلمية (بيروت، 1983م).

*الحميري، ابو عبدالله محمد بن عبدالله بن عبد المنعم (ت، 900هـ/1494م)

17- الروض المعطار في خبر الاقطار، تح، احسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، ط2، (بيروت، 1980).

*ابن خلدون، عبدالرحمن محمد بن خلدون، (ت 808هـ/1405م).

18- مقدمة بن خلدون، تح، محمد الدرويش، دار يعرب، (بيروت، 2004م)

19- تاريخ ابن خلدون المسمى العبر وديوان المبتدأ والخبر في ايام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر، تح، خليل شحادة، دار الفكر (بيروت، 1988م).

*ابن خلكان شمس الدين احمد بن محمد (ت، 681هـ/1282م).

20- وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان تح، احسان عباس، دار صادر (بيروت، 1990م).

*الذهبي، محمد بن احمد بن عثمان (ت748هـ/1347م)

21- تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والاعلام' تح، عمر عبـد السـلام التـدمري، دار الكتـاب العربي(بيروت، 1993).

22- سير اعلام النبلاء، تح، شعيب الارناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط3، (بيروت، 1985م).

* ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن الأزدي (ت،321هـ)

23- جمهرة اللغة، تح، رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين،(بيروت، 1987م)

*ابو بكرالرازي، زين الدين ابو عبدالـلـه محمد بن ابي بكر، (ت 666هـ/1267م)

23- مختار الصحاح، تح، يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، ط5، (بيروت، 1999م).

*سبط ابن الجوزي، شمس الدين بن قزاغولي بن عبدالـلـه (ت، 1256/654م).

24- مرآة الزمان في تواريخ الاعيان، تح محمد بركان واخرون دار الرسالة العالمية(دمشـق، 2013م).

*ابن سعد، ابو عبدالـلـه محمد بن سعد بن منيع(ت، 230هـ/818م)

25- الطبقات الكبرى، تح، محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية (بيروت،1990م).

*السمعاني، أبي سعد عبدالكريم بن منصور، (ت، 562هـ/1166م).

26- الأنساب، تح، عبدالـلـه عمر البارودي، دار الفكر(بيروت، 1998م).

*السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر، (ت، 911هـ/1505م).

27- حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تح، محمد ابو الفضل ابراهيم دار احياء الكتب العربية (القاهرة، 1967م).

*ابي شامة المقدسي، شهاب الدين، عبد الرحمن بن اسماعيل، (ت، هـ1266/656م).

28- الروضتين في اخبار الدولتين النورية والصلاحية، تح، ابراهيم الزيبق، مؤسسة الرسالة(بيروت، 1997).

*ابن شداد، عز الدين محمد بن علي بن ابراهيم، (ت، 684هـ/1285م).

29- الاعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، تح، سامي الدهان، ط1، المعهد الفرنسي للدراسات العربية (، دمشق، 1962م).

*ابن شداد، يوسف بن رافع بن تميم بن عتبة الاسدي، (ت، 632هـ/1234م).

30 - النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، تح، جمال الدين الشيال، مكتبة الخانجي، (القاهر، 1994م).

*الصفدي، صلاح الدين خليل بن ايبك، (ت، 764هـ/1362م).

31- الوافي بالوفيات، تح، احمد الارناؤوط وتركي مصطفى، دار احياء التراث (بيروت، 2000م).

*الطبري، ابو جعفر محمد بن جرير، (ت، 310هـ/922م).

32 - تاريخ الرسل والملوك، تح، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، ط3، (القاهرة، 1981م).

*الطرسوسي، مرضي بن علي بن مرضي، (ت، 589هـ/1193م).

33 - تبصرة أرباب الألباب، تح، كلود كاهن، دار صادر، (بيروت، 1998م).

*ابن عبد الحق، صفي الدين عبد المؤمن (ت،739هـ/1338م).

34- مراصد الاطلاع علي أسماء الأمكنة والبقاع، مكتبة دار التراث، ط1، (بيروت، 1985م).

*عبد القادر، بدران، (ت، 1346هـ1927م)

35- منادمة الاطلال ومسامرة الخيـال، تـح، زهـير الشـاويش، المكتـب الاسـلامي، (بـيروت 1985م).

*ابن العديم، كمال الدين ابو القاسم (ت660هـ/1261م).

36- زبدة الحلب في تـاريخ حلـب، تـح، خليـل المنصـور، دار الكتـب العلميـة، (بـيروت، 1996م).

*العزيزي، الحسن بن علي بن احمد(ت، 380هـ/990م)

37 - المسالك والممالك، تح، تيسير خلف (د، م، د، ت).

*ابن عساكر، ابو القاسم علي بن الحسين(ت، 571هـ/1175م).

38 - تاريخ دمشق، تح، عمر بن غرامة العمروي، دار الفكر العربي، (بيروت، 1995م).

*العصامي، عبد الملك بن حسين، (ت، 1111هـ/1699م).

39- سمط النجوم العوالي في أنباء الاوائل والتوالي، تح، عادل احمد محمـود، دار الكتـب العلمية(بيروت، 1998م).

*العليمي، مجير الدين عبد الرحمن بن محمد، (ت، 928هـ/1521م).

40 - الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل، تح، عدنان يونس عبد المجيد، مكتبة دنـيس، (عمان، 1999م).

*العيني، بدر الدين ابو محمد محمود بن احمد بن موسى(ت، 855هـ/1451م)

41 - عقد الجمان في تاريخ اهل الزمان، تح، محمد امين، (القاهرة، 1987م).

*ابو الفداء عماد الدين إسماعيل بن علي بن محمود (ت، 732هـ/1331).

42- المختصرفي اخبار البشر، المطبعة الحسينة المصرية(القاهرة، د. ت).

*الفيروز أبادي، مجد الدين طاهر محمد بن يعقوب، (ت 817هـ/1414م).

43- القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة،ط8،(بيروت،،2005م)

*ابن فضل اللـه العمري، احمد بن يحيى(ت، 749هـ/1348).

44- مسالك الابصار في ممالك الامصار، المجمع الثقافي (ابو ظبي، 1423هـ).

45 - قبائل العرب، دار ابن خلدون، (بيروت، 1998م).

46- القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، ط8، (بيروت، 2005).

*ابن قتيبة الدينوري، ابو محمد عبداللـه بن مسلم الدينوري (ت276هـ/880م).

47 - المعارف، تح، ثروت عكاشة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط2، دار المعارف، (القاهرة، 1992م).

*القحطاني، سعيد بن علي بن وهب.

48- فقه الدعوة صحيح الامام البخاري، الرئاسة العامة لا دارة البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد (الرياض، 1421هـ) ج2، ص967.

*القرطبي، أبو عمر يوسف بن عبد اللـه (ت، 463هـ/1070م).

49- الإنباه على قبائل الرواة، تح: إبراهيم الأبياري، (بيروت دار الكتاب العربي، 1985م).

*القزويني، زكريا بن محمد بن محمود، (ت، 682هـ1283م).

50- اثار البلاد واخبار العباد، دار صادر (بيروت، 1996م).

*ابن القلانسي، حمزه بن علي بن محمد، (ت555هـ/1160م).

51- تاريخ دمشق، تح، سهيل زكار، دار احسان للطباعة والنشر(دمشق، 1403هـ).

*القلقشندي، ابو العباس احمد بن علي(ت821هـ/1418م)

52 - نهايـة الأرب في معرفـة انسـاب العـرب، تـح، ابـراهيم الابيـاري، دار الكتـاب، ط2، (بيروت1980م).

53- صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، دار الكتب العلمية، (بيروت، د، ت).

*الكتبي، محمد بن شاكر بن احمد، (ت، 764هـ/1362م).

54- فوات الوفيات، تح، احسان عباس، دار صادر، ط1، (بيروت، 1973م).

*ابن كثير، ابو الفداء اسماعيل بن عمر(ت، 774هـ/1372م).

55- البداية والنهاية، تح، علي شيري، دار احياء التراث العربي، (بيروت، 1988).

*المروزي، ابو معين ناصر خسرو، (ت، 481هـ/1088م).

56 - سفر نامة، تح، يحيى الخشاب، دار الكتاب الجديد، ط3، (بيروت، 1983م).

*المسعودي، ابي الحسن علي بن الحسين، (ت، 346هـ/957م).

57 - مروج الذهب ومعادن الجوهر، مكتبة دار الكتاب الجامعي، ط1، (بيروت، 1988م).

*المقدسي، ابو عبدالـلـه محمد بن احمد(ت380هـ/990م).

58- احسـن التقاسـيم في معرفـة الاقـاليم، وزارة الثقافـة والارشـاد القـومي تـح، غـازي طليمات(دمشق، 1980م).

*المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي (ت، 845هـ/1441م).

59. المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار، دار الكتب العلمية(بيروت، 1418هـ).

60- البيـان والأعـراب عـما بـارض مصر مـن الأعـراب، تـح، فردنـاد، واسـطون، مطبعـة جوتنجن(المانيا، 1849م).

61 - - اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمـة الفـاطميين الخلفـاء، تـح، جـمال الـدين الشـيال،ط2، (القاهرة،1996م)

62- السلوك لمعرفة دول الملوك، تح، محمد عبد القـادر عطـا اللــه دار الكتـب العلميـة (بيروت، 1997).

*ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم، (ت، 711هـ/1311م).

63 - لسان العرب، دار صادر، (بيروت، 1997م).

*ابن منقذ، اسامة بن مرشد بن علي ابو المظفر الشيرازي، (ت، 584هـ/1188م).

64- الاعتبار، تحرير فليب حتى، مكتبة الثقافة الدينية، (مصر، د، ت).

*النعيمي، عبد القادر بن محمد الدمشقي، (ت، 927هـ1520م).

65- الدارس في تاريخ المدارس، تح، ابراهيم شمس الدين، (دار الكتب العلمية1990م).

*النويري، احمد بن عبد الوهاب(ت، 733هـ/1332م).

66 - نهاية الارب في فنون الادب، دار الكتب والوثائق، (القاهرة1422هـ).

*النيسابوري، الامام ابي الحسن مسلم بن الحجاج (405هـ/1014م).

67- صحيح مسلم باب الجهاد والحث عليه)، تـح، محمـد فـؤاد عبـد البـاقي، دار احيـاء التراث العربي (بيروت، 1955م).

*الهمداني، ابو محمد الحسن بن احمد، (ت، 334هـ/945م).

68- صفة جزيرة العرب، مطبعة بريل(ليدن، 1884).

*ابن واصل، محمد بن سالم بن نصر اللـه (ت، 697هـ).

69- مفرج الكروب في اخبار بني ايوب، تـح، جـمال الـدين الشـيال، دار الكتـب المصريـة (القاهرة، 1957م).

*ابن حجر العسقلاني، احمد ابن علي بن محمد، (ت، 852هـ/1448).

70- نزهة الالباب في الالقاب، تح، عبـد العزيـز محمـد صـالح السـديري، مكتبـة الراشـد، (الرياض، 1989م).

71 - الدرر الكامنة في اعيان المائة الثامنة، تح، محمـد عبـد المعـين ضـان، مجلـس دائـرة المعارف العثمانية، ط2، (حيدر اباد- الهند، 1972م).

*ياقوت الحموي، شهاب الدين ابو عبد اللـه (ت626هـ/1228م).

72- معجم البلدان، دار صادر، ط2(بيروت، 1995م).

ثانياً: المراجع:

*أسماعيل، خلف عبد العليم.

73- اماره الموصل وعلاقتها بالقوى الصليبية من الحملة الصليبية الاولى الى نهاية الدولة الزنكية، (المنيا، 1991م).

* الباشا، حسن.

74- الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والاثار، الدار الفنية، (القاهرة، 1989م).

*الباشا، عمر موسى.

75- الأدب في بلاد الشام في عصور الزنكيين والأيوبيين والمماليك، المكتبة العباسية، ط2، (دمشق، 1972م).

*توفيق، عمر كمال.

76- الدولة البيزنطية، دار الفكر العربي، ط1، (لقاهرة، 1976م).

77- مملكة بيت المقدس الصليبية، ط1، (الاسكندرية، 1960م).

*جبور، جبرائيل سليمان،

78- البدو والبادية، دار العلم للملايين، لبنان (بيروت، 1988م).

*جرجس، ابن العميد المكين.

79- أخبار الأيوبيين، مكتبة الثقافة الدينية (القاهرة، د، ت).

*الجميل، مكي

80-البدو والقبائل الرحل في العراق، مطبعة الرابطة بغداد (بغداد، 1956م).

*الجنزوري علية عبد السميع.

80- امارة الرها الصليبية، دار الفكر العربي(القاهر، 2001م).

*جوزيف نسيم يوسف.

81- الملك لويس والحملة السابعة، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1955، ص48.

*جولات ورحلات الراهب فليكس فابري.

82- الموسعة الشاملة، د. سهيل زكار، ج43.

*جين جنوفيل، حياة القديس لويس.

83- الموسوعة الشاملة، سهيل زكار.

*الحايك، منذر.

84- العلاقات الدولية في عصر الحروب الصليبية، الاوئل للنشر والتوزيع، دمشق، (سورية، 2006م).

*حبشي، حسن.

85- ذيل تاريخ وليم الصوري، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مكتبة المهتدين(القاهرة، 2002م).

86- نور الدين والصليبيون حركة الافاقة والتجمع الاسلامي في القرن السادس الهجري، دار الفكر العربي (بيروت، 1948م).

*الحريري، احمد بن علي.

87- الأعلام والتبيين بخروج الفرنجة الملاعين على ديار المسلمين، تح، سهيل زكار، ط1، مكتبة دار الملاح، (دمشق، 1981م).

*الحريري، سيد علي.

88- الأخبار السنية في الحروب الصليبية، المطبعة العمومية، ط1(القاهرة، 1899م).

*حمدان، عبد الحميد صالح،

89- تاريخ القبائل العربية في مصر، عالم الكتب (القاهرة، 2009م) ص62.

*الحويري، محمود محمد.

90- بناء الجبهة الاسلامية المتحدة وأثرها في التصدي للصليبين، دار المعارف(القاهرة، 1992م).

*الحياري، مصطفى.

91- الامارة الطائية في بلاد الشام، (عمان، 1977م).

*خماش، نجدت.

92- الشام في صدر الإسلام من الفتح حتى سقوط خلافة بني أمية، دار طلاس، ط1، (دمشق، 1987م).

*الدباغ، مصطفي، مراد.

93- بلادنا فلسطين، دار الهدى- كفرقوع (القاهرة، 1991م).

*دسوقي، محمد عزب. 17

94- القبائل العربية في بلاد الشام منذ ظهور الإسلام إلي نهاية العصر الأموي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط1، (القاهرة، 1998م).

*الزركلي، خير الدين محمود(ت، 1396هـ).

95- ، الاعلام، دار العلم للملاين(بيرت، 1396م).

*زكار، سهيل.

96- الموسوعة الشاملة في تاريخ الحروب الصليبية، مـدخل الى تـاريخ الحـروب الصـليبية، دار الفكر(دمشق، 1995م).

*سالم، السيد، عبد العزيز.

97- التاريخ السياسي والحضاري للدولة العربية، دار النهضة العربية(القاهرة، د، ت).

*ابو السعيد، محمود سالم ثابت.

98- القضاء العشائري عند قبائل بئر السـبع فلسـطين، ام الكتـاب للأبحـاث والدراسـات، (فلسطين، د، ت).

*سليم، صبري.

99- الاتـراك الخوارزميـون في الشرق الادنى الاسـلامي(هــ628- 644هــ) مكتبـة الثقافـة الدينية(القاهرة، 2000م).

*سواعد، محمد يوسف.

100- البدوفي فلسطين في الحقبه العثمانية، دار زهران للـنشر والتوزيـع، الاردن، (عـمان، 2008م).

*السيد، علي احمد محمد.

101- الخليـل والحـرم الإبراهيمـي في عصر الحـروب الصـليبية، دار الفكـر العـربي، ط1، (القاهرة، 1998م).

*السيد، محمود.

102- القبائل العربية في مصر في عهد الدولة الأيوبية والمملوكية، مؤسسة شباب الجامعة (الاسكندرية، 1998م).

*الشامي، أحمد.

103- العلاقات بين الشرق والغرب، دار النهضة العربية، ط1(القاهرة، 1985م).

*صابر محيي الدين، ولويس كامل مليكة

104- البدو والبداوة مفاهيم ومناهج، منشورات المكتبة العصرية، ط1، (بيروت، 1986م).

* صالح، عبد العزيز.

105 - الشرق الأدنى القديم مصر والعراق، مكتبة الانجلو المصرية (القاهرة، د، ت).

* الصلابي، علي محمد.

106- الدولة الزنكية، دار المعرفة، لبنان (بيروت، 2007م).

107- صلاح الدين الايوبي وجهوده في القضاء على الدولة الفاطمية وتحرير بيت المقـدس، دار المعرفة (بيروت، 2008م).

*طقوش محمد سهيل.

108- تاريخ الحـروب الصـليبية، (حـروب الفرنجـة في المشرق) (489هــ- 690هــ/1096-1291م) دار النفائس (بيروت، 2011م).

109- تاريخ السلاجقة في بلاد الشام، دار النفائس(بيروت،2009م)

*أبوظيف، مصطفي أحمد.

110 - أثر القبائل العربيـة في الحيـاة المغربيـة خـلال عصري الموحـدين وبنـي مـرين دار النشر المغربية، ط1، (المغرب، 1986م).

*العارف، عارف.

111 - بير السبع وقبائلها، مكتبة مدبولي (القاهرة، 1999م).

*عاشور، سعيد عبد الفتاح.

112- مصر والشام في عصر الايوبيين والمماليك، دار النهضة (بيروت، 1972).

113- تاريخ اوربا في العصور الوسطى، دار النهضة العربية للطباعة والنشر(بيروت، 1976م).

114- الحركة الصليبية، مكتبة الانجلوالمصرية، ط2، (القاهره، 1971م).

*عاشور، فايد حما د محمد.

115- جهاد المسلمين في الحروب الصليبية العصر الفاطمي والسلجوقي، مؤسسة الرسالة، ط4(بيروت، 1988م).

*العبادي، احمد مختار.

116- في تاريخ الايوبيين والمماليك، مؤسسة شباب الجامعة (الاسكندرية، د، ت).

*عبد القوي، زينب عبد المجيد.

117- الانجليز والحروب الصليبية، دار عين، ط1، (القاهرة، 1998م).

*العريني، السيد الباز.

118- الدولة البيزنطية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، ط2، (بيروت، د، ت).

*العسيري، احمد معمور.

119- موجز التاريخ الاسلامي منذ عهد ادم علية السلام الى عصرنا الحاضر، (الرياض، 1996م).

*علي ابراهيم، حسن.

120- دراسات في تاريخ المماليك، البحرية، (القاهرة، 1948م).

*علي، محمد، كرد (ت، 1372هـ).

121- خطط الشام، مكتبة النور، ط3، (دمشق، 1983).

*عمران، محمود سعيد.

122- تاريخ الحروب الصليبية1095- 1291، دار المعرفة الجامعية (القاهرة، 2000م).

*غريب، عبد السميع غريب،

123- عاداه وتقاليد البدو، مؤسسة شباب الجامعة (حلوان، دت).

*قاسم، قاسم عبده.

124- ماهية الحروب الصليبية، عالم المعرفة (الكويت1990).

125- الايوبيون والمماليك التاريخ السياسي والعسكر، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية.

*كحالة، عمر بن رضا. 20

126- معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، (بيروت مؤسسة الرسالة، 1994م).

*كريم، جمعة محمود.

127- الكرك عبر العصور ط1، منشورا وزارة الثقافة، عمان، ط1، (الأردن، 2004م).

*محمد شراب.

128- معجم بلدان فلسطين، ط1، (بيروت، 1997م).

*محمود، شفيق، حاسر احمد.

129- الفتح العمري للقدس نموذج للدعوة بالعمل والقدوة، الجامعة الاسلامي، بالمدينة المنورة.
*محمود السيد.
130- القبائل العربية في مصر في عهد الدولة الأيوبية والمملوكية، مؤسسة شباب الجامعة (الاسكندرية، 1998م).
*مسعود ظاهر.
131- المشرق العربي المعاصر من البداوة الى الدولة الحديثة، معهد الانتماء العربي، ط1، (بيروت، 1986).
*مشارقة، محمد زهير.
132- الحياة الاجتماعية عند البدو في الوطن العربي، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، ط1، (عمان، 1988م).
*المغلوث، سامي بن عبدالله.
133- اطلس الحروب الصليبية على المشرق الاسلامي في العصور الوسطى، العبيكان (الرياض، 2009م).
*الملاح، هاشم يحيى.
134- الوسيط في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار الكتب، ط1، (الموصل، 1994م).
*مهران، محمد بيومي.
135- تاريخ العرب القديم، دار المعرفة الجامعية، (الأسكندريه، د، ت).
*النبراوي، فتحية عبد الفتاح.

136- العلاقات السياسية للدولة الإسلامية، مكتبة الأنجلو المصرية، ط1، (القاهرة، 1978م).

*النجدي، عبد الرحمن بن محمد.

137- الدرر السنية في الاجوبة النجدية، تح، عبد الرحمن محمد بن قاسم، ط6(د، م1996م).

*أبو النصر، محمد عبد العظيم يوسف.

138 - السلاجقة تاريخهم السياسي والعسكري، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية(القاهرة، 2001م).

*الوردي علي.

139- دراسة في طبيعة المجتمع العراقي، (بغداد، د، ت).

ثالثاً: المصادر الاجنبية المعربة

*باركر، ارنست.

140- الحروب الصليبية، نقلة الى العربية، السيد الباز العريني، دار النهضة العربية، لبنان(بيروت، د، ت).

*بورشارد.

141- وصف الارض المقدسة، ترجمة سعيد عبداللة البشاوي.

*بيار، جورج.

142- معجم المصطلحات الجغرافية، ترجمة، حمد الطفيلي، المؤسسة الجامعية، ط2، (لبنان، 2002م).

*توديبود، بطرس.

143- تاريخ الرحلة الى بيت المقـدس، تـح، حسـين محمـد عطيـة، دار المعرفـة الجامعيـة (القاهرة، 2001م).

*توفيق برو.

144- تاريخ العرب القديم، دار الفكر، ط2، (دمشق، 1996م).

*دانيال الراهب.

145- رحلة الحاج الروسي دانيال الراهب في الديار المقدسة، 1106-1107م، ترجمة سعيد البيشاوي وداود ابو هدية ط1، (عمان، 1992م).

*رنسيمان، ستيفن.

146- تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة السيد الباز العريني، (بيروت1967،).

*ريموند اجيل.

147- تاريخ الفرنجة غـزاة بيـت المقـدس، ترجمـة، ترجمـة جوزيـف نسـيم يوسـف/دار المعرفة الجامعية (القاهرة، 2002م).

*سميث، جوناثان ريلي.

148- الحروب الصليبية، ترجمة سامي هاشـم، المؤسسـة العربيـة للـنشر، ط1، (بـيروت، 1982م)، ص 137.

149- الحملة الصليبية الأولي، وفكرة الحـروب الصـليبية، ترجمـة محمـد فتحـي الشـاعر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط2، (القاهرة، 1999م).

*غنيم، اسمت.

150- الدولة الايوبية والصليبيون، دار المعرفة الجامعية(الاسكندرية، 1990م).
*فورزبورغ يوحنا
151- وصف الاراضي المقدسة في فلسطين، تر، سعيد عبداللة البيشاوي، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان (الاردن، 2003م).
*فوشية الشارتري.
152- تاريخ الحملة الى القدس، ترجمة، زياد العسلي، دار الشروق للنشر والتوزيع، عـمان (الاردن، د. ت).
*كاهن، كلود.
153- الشرق والغرب زمن الحروب الصليبية، ترجمة احمد الشيخ، سيناء للنشر (القاهرة، 1995م).
*ماكس اوبنهايم
154- البدو، تح، ماجد شبر، الوراق للنشر.
*ماير، هانس ابرهارد
155 تاريخ الحروب الصليبية، تر، عماد الدين غانم (د، م، دت)
*مجهول.
156- اعـمال الفرنجـة وحجـاج بيـت المقـدس ترجـوة حسـن حـبشي، دار الفكـر العـربي (القاهرة، 1958م) ص116.
*ميخائيل زابوروف.

157- الصليبيون في الشرق، ترجمة ألياس شاهين، دار التقدم، ط1، (موسكو، 1986م).

*وليم الصوري.

158- في تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة، حسن حبشي، مؤسسه الاهرام، (القاهره، 1998).

رابعاً: الرسائل والاطاريح:

*الاغا، حسام حلمي يوسف.

159- الاوضاع الاجتماعية في في فلسطين زمن الحروب الصليبية، رسالة ماجستير غير منشوره(غزة، 2007م).

*جاسم، تفاؤل عبد اللطيف.

160- استقرار آل البت العباسي في اقليم الجزيرة الفراتية بعد احتلال بغداد سنة(656هـ /1258م)، اطروحة دكتوره غير منشورة مقدمة الى مجلس كلية التربية جامعة سامراء(سامراء، 2021م).

*الحلبي، معالي عبد السلام.

161- رسائل القاضي الفاضل السياسية في عهد صلاح الدين الايوبي، الجامعة الاسلامية، (غزة، 2013).

*الذيابات، امنة محمود عودة.

162- القبائل العربية في بلاد الشام في السياسة المملوكية(658هـ/784هـ)، اطروحة دكتوراه مقدمة الى عمادة الدراسات العليا جامعة موته(الاردن، 2006م).

*زعرور، ابراهيم.
163- الحياة الاجتماعية في بلاد الشام في العصرين الايوبي والمملوكي، اطروحة دكتوراه (دمشق 1990م).
*السامرائي، ضياء حميد صالح.
164- المطوعة المسلمون واسهامهم في الحروب الصليبية، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة الى مجلس كلية التربية جامعة سامراء، (سامراء، 1013م).
*الفراني، عبد الحميد، جمال.
165- المقاومة الشعبية للاحتلال الصليبي في بلاد الشام، رسالة ماجستير، الجامعة الاسلامية، (غزة، 2005م).
*الشواورة، احمد اسبيتان.
166 مظاهر البداوة وصورها في الشعر الجاهلي، رسالة دكتوراه غير منشورة كلية الدراسات العليا، الاردن (جامعة مؤتة، 2015م).

رابعاً: المجلات والدوريات:

*بخيت، فائز علي.
167- الاوضاع السياسية في بلاد الشام في العهد الزنكي، مجلة جامعة كركوك للدراسات الانسانية، المجلد7، العدد3(سنة، 2021م).
*حمدي، وجدان عبد الجبار.
168- الامارة العقيلية في الموصل ودورها في التصدي للبويهيين، دراسات موصليه، العدد29، كانون الثاني، 2013م.

*الربيعي، عبدالـلـه بن عبد الرحمن.

169- موقف اعراب الشام من الغزو الصليبي من الغزو الصليبيي والتتري المجلد4، العدد 14، (الدرعية، 2001م).

* السامرائي، قاسم حسن آل شامان.

170- المطوعة واسهامهم في حروب صلاح الدين الايـوبي، مجلـة دراسـات بيـت المقـدس، العدد21، سنة2021م.

*آل فتاح، شكيب راشد.

171- توجهات نور الدين محمـود بعـد مقتـل ابيـة عـماد الـدين زنـكي مقاربـة مـا بـين الطموح الشخصي والمحافظة على البيت الزنكي، مجلة دراسات موصلية، العـدد(56) (الموصل2020م).

السعدي، أسماعيل، ونسيمة لغريبي.

172- تجربة توطين البدو الرحل بالمدينة الجزائرية، مجلـة الباحـث الاجتماعـي، جامعـة منتوري قسنطينة، العدد10، (جوان2010).

*الملا جاسم، ناصر عبد الرزاق، ومحمد عبيش سباك.

173- الصراع بين نور الـدين زنـكي والملـك الصـليبي عمـوري الاول للسـيطرة عـلى مصر، (الموصل،2022م) مجلة دراسات موصلية، العدد(61).

سادساً: المصادر الاجنبية

174. Albert daix ،historia historia hierosolymitana ،p420.

175. Asbridge. Thomas. The crusade(. ispn2010). p: 662

176. Clary ،R. The conquest of constantinople ،translated ،into English by Edgar holmes New York ،1969.

177. David. brian Christopher. inventing saladin: the role of the saladin legend in European culture and identity. a thesis submitted to the graduate faculty of. james madison university may 2017.

178. Zuraikat. malek. gamal. The anti-crusade voice of Chaucer s Canterbury tales. a thesis submitted in partial fulfillment of the requirements for the degree of doctor of philosophy in English. university of(Arkansas. 2015)p:

قائمة المحتويات